

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

محمّد بن
محمّد بن الفضل بن حسين

دار النشر: دار الفکر للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



الجزء الثامن

دار النشر: المكتبة العصرية
ميسى البابي الحلبي وشركاه



(جميع الحقوق محفوظة)
الطبعة الثانية

١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م

منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
تم - اعلان ١٤٠٤ هـ ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد العليل

(١٢٤)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام في حث أصحابه على القتال :

فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ ، وَأَخَّرُوا الْحَاسِرَ ، وَغَضُّوا عَلَى الْأُضْرَاسِ ؛ فَإِنَّهُ أَنْتَهَى لِلشُّيُوفِ
عَنِ الْهَيْمِ ، وَالتَّوَوَّاهِ فِي أَطْرَافِ الرَّمَاكِ ؛ فَإِنَّهُ أَمَرَهُمْ لِلْأَيْتَةِ ، وَغَضُّوا الْأَبْصَارَ ؛ فَإِنَّهُ
أَرْبَطَ لِحْجَاشٍ ، وَأَسْكَنَ الْقُلُوبَ ، وَأَمَرَهُمْ الْأَصْوَاتَ ؛ فَإِنَّهُ أَطْرَدَ لِلْفُشْلِ . وَرَأَيْتَكُمْ
فَلَا تُحْمِلُوهَا وَلَا تُحْمِلُوهَا ، وَلَا تَجْمَعُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ ، وَالْمَانِعِينَ الدَّمَارَ مِنْكُمْ ؛
فَإِنَّ الْمَسِيرِينَ عَلَى نَزْوِلِ الْخَفَائِقِ هُمُ الَّذِينَ يَحْفَوْنَ بِرَأْيَانِهِمْ ، وَيَكْتَفِفُونَهَا : حِفَافَتِهَا ،
وَوَرَاءَهَا ، وَأَمَامَهَا ؛ لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسَلِّمُوهَا ، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفَرِّدُوهَا .

الشرح :

الدارع : لابس الدرع ، والحاسر : الذي لا درع عليه ولا منفر : أمرهم عليه السلام
بتقديم المستلهم على غير المستلهم ، لأن سورة الحرب وشذتها تلقى وتصادف الأول فالأول ؛
فواجب أن يكون أول القوم مستلثما . وأن يعضوا على الأضراس ؛ وقد تقدم شرح هذا ، وقلنا :
إنه يجوز أن يبدؤهم بالحق والجد ؛ ويجوز أن يريد أن العض على الأضراس يشد شؤن
الدهاغور باطاته ، فلا يبلغ السيف منه مبلغه لو صادف رخواً ، وأمرهم بأن يلتزموا إذا طعنوا ؛

لأنهم إذا فعلوا ذلك، فبالحرى أن يمور السنان، أى يتحرك من موضع الطمئة؛ فيخرج زلقا، وإذا لم يلتزموا لم يمر السنان، ولم يتحرك عن موضعه فيحرق وينفذ، فيقتل.

وأمرهم بنفض الأبصار في الحرب، فإنه أربط للجأش؛ أى أثبت للقلب، لأن النافض بصره في الحرب أخرى ألا يدهش ولا يرتاع لهول ما ينظر.

وأمرهم بإماتة الأصوات وإخافتها، فإنه أطرده للفشل؛ وهو الجبن والخوف؛ وذلك لأن الجبان يرعد ويهتق، والشجاع صامت.

وأمرهم بحفظ رأيهم ألا يميلوها، فإنها إذا مالت انكسر العسكر، لأنهم إنما ينظرون إليها وألا يميلوها من محام عنها، وألا يميلوها بأيدي الجبناء وذوى المآثم منهم كي لا ينجسوا ويحبسوا عن إمساكها.

والذمار: ما وراء الرجل مما يحق عليه أن يحسبه، ومتى ذمارة؛ لأنه يجب على أهله التذمر له، أى الغضب.

والحقائق: جمع حاقة؛ وهى الأمر الصعب الشديد؛ ومنه قول الله تعالى: ﴿الحاقة ما الحاقة﴾، يعنى الساعة.

ويكتنفونها: يحيطون بها. وحافاها: جانبها، ومنه قول طرفة:

كَانَ جَنَاحِي مَضْرُوحِي تَكْكَفَا حِفَافِي شُكَا فِي السَّيْبِ بِمُزْدٍ^(١)

•••

الأصل:

أَجْزَأُ أَمْرُ قِرْنَةٍ، وَأَمَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ؛ وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ؛ فَيَجْتَمِعَ

(١) اللغات - يفرح التبريزي ٦٤. المضرعي: الشيق من النور؛ يضرب إلى الياض. وحافاه: جانباه. والسبب: عظم القتب. والمزد: القصف.

عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ . وَأَيُّمُ اللَّهِ لَئِنْ قَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ ، لَا تَسْلُكُونَ مِنْ
سَيْفِ الْآخِرَةِ ، وَأَنْتُمْ لَهَا سِمْ الْعَرَبِ ، وَالسَّامُ الْأَعْظَمُ .

إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةً اللَّهُ وَالَّذِلُّ الْإِلَازِمُ ، وَالْعَارُ الْبَاقِي . وَإِنَّ الْفَارَ كَثِيرُ مَزِيدٍ
فِي عُمُرِهِ ، وَلَا تَحْبُوزُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ .

مَنْ رَامَحَ إِلَى اللَّهِ كَالظُّلْمَانِ يَرِدُ لَلَاءُ الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي .
الْيَوْمَ نُبَلِّ الْأَخْبَارُ .

وَاللَّهُ لَا نَأْشُوقُ إِلَى رِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ . اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا أَلْحَقْ فَأَقْضُضْ
جَمَاعَتَهُمْ ، وَشَقَّتْ كَلِمَتَهُمْ ، وَأَبْلَيْتُمْ بِخَطَابِهِمْ .



الْبَيْتُ :

من الناس من يحمل هذه الصيغة وهي صيغة الإخبار بالفعل للماضي ، في قوله :
« أَجْزَأُ امْرُؤُ قِرْنَهُ » في معنى الأمر ؛ كأنه قال : لِيَجْزِيَ كُلَّ امْرِي قِرْنَهُ ؛ لأنه إذا جاز
الأمر بصيغة الإخبار في المستقبل ، جاز الأمر بصيغة للماضي ، وقد جاز الأول ، نحو قوله
تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾ ^(١) ، فوجب أن يجوز الثاني . ومن الناس من
قال : معنى ذلك : هَلَا أَجْزَأُ امْرُؤُ قِرْنَهُ ! فيكون تحضيضاً محذوف الصيغة للعلم بها . وأجْزَأُ
بالهمزة ، أي كفى . وقِرْنَكَ : مقارنتك في القتال أو نحوه .

وَأَسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ مَوَاسَاةً ، بالهمز ، أي جعله أسوةً لنفسه ، ويجوز : واسيتُ زيدا
بالواو ، وهي لغة ضعيفة .

ولم يكلِّ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ ، أي لم يدع قِرْنَهُ ينضمَّ إِلَى قِرْنِ أَخِيهِ ، فيصيرا معا في

مقاومة الأخ المذكور ، وذلك قبيح محرم ، مثله : زيد و عمرو مسلمان ، ولهما قرنان كافران
 في الحرب ؛ لا يجوز لزيد أن ينكّل عن قرنه فيجتمع قرنه وقرن عمرو على عمرو .
 ثم أقسم عليه السلام أنهم إن سلموا من الألم النازل بهم لو قُتلوا بالسيف في الدنيا ؛
 فإنهم لم يسلموا من عقاب الله تعالى في الآخرة ؛ على فرارهم وتخاذلهم ، وسعى ذلك سيفاً
 على وجه الاستمارة وصناعة الكلام ، لأنه قد ذكر سيف الدنيا ، فجعل ذلك في مقابلته .
 والهاميم : السادات الأجرا من الناس ، والجياد من الخيل ، الواحد لهموم . والسنام
 الأعظم ، يريد شرفهم وعلو أنسابهم ، لأن السنام أعلى أعضاء البعير .
 وموجدة الله : غضبه وسخطه .

ويروى : « والقلّ اللازم » بالقال المعجمة ؛ وهو بمعنى اللازم أيضا ، قدّمت المكان
 بالكسر ، أى لزمته .



ثم ذكر أن الفرار لا يزيد في العُسر ، وقال الرازي :
 قدّ علمت حسناء دُعجاء القتل أن الفرار لا يزيد في الأجسل
 ثم قال لهم : أيكم يروح إلى الله فيكون كالظلمة أن يرد الماء !

ثم قال : الجنة تحت أطراف العوالى ؛ وهذا من قول رسول الله صلى الله عليه وآله :
 « الجنة تحت ظلال السيوف » . وسمع بمض الأنصار رسول الله صلى الله عليه وآله ، يقول
 يوم أحد : « الجنة تحت ظلال السيوف » ، وفي يده تميرات بلوكها ، فقال : يخرج ! ليس
 بيني وبين الجنة إلا هذه التميرات ! ثم قدّفها من يده ؛ وكسر جفن سيفه ، وحمل على
 قرش قتاتل حتى قُتل .

ثم قال : « اليوم تُنبئ الأخبار » ؛ هذا من قول الله تعالى : « وَنَبِّئُوا أَنْبَاءَكُمْ »^(١) ،
 أى تختبر أفعالكم .

ثم دعا على أهل الشام إن ردّوا الحق ، بأن يفض الله جماعتهم ، أى يهزمهم ويشتت ،
أى يفرق كلمهم . وأن يُسلّمهم بخطاياهم ، أى يسلمهم لأجل خطاياهم التى اقترفوها
ولا ينصرهم ، أبليت فلانا ؛ إذا أسلّمته إلى الملكة ، فهو مبسل ، قال تعالى : ﴿أَنْ تُبْسَلَ
نَفْسٌ﴾ ^(١) ، أى تُسَلَّم ، وقال : ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ ^(٢) ، أى أسلّموا للهلاك
لأجل ما اكتسبوه من الإثم ؛ وهذه الألفاظ كلها لا يخلو بعضها بعضاً ، وإنما هى منتزعة
من كلام طويل ، انزعها الرضى رحمه الله ، واطرح ماعداها .



الأصل :

لَهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَمَنٍ دِرَاكِ يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِيمُ ، وَضَرْبُ
بُفْلِقِ الْهَامِ ، وَيُطِيحُ الْعِظَامَ ، وَيَنْدِرُ السَّوَامِدَ وَالْأَقْدَامَ . وَحَقٌّ يُرْتَمَوُ بِالْمَنَاسِرِ
تَتَّبِعُهَا الْمَنَاسِرُ ، وَيُرْجَوُ بِالْكَتَائِبِ قَفُوهَا الْخَلَايِبُ . وَحَقٌّ يُجْرَى بِبِلَادِهِمُ الْخَيْبُ
يَقْلُوهُ الْخَيْبُ . وَحَقٌّ تَذَقُّ الْخَيْبُ فِي تَوَاجِرِ أَرْضِهِمْ ، وَبِأَغْنَانِ مَسَارِيهِمْ وَمَسَارِحِهِمْ .



قال الشريف الرضى رحمه الله تعالى :

الدَّقْ : الدَّقْ ، أى تَدَقُّ الخيول بجوافرِها أَرْضَهُمْ . وَتَوَاجِرُ أَرْضِهِمْ :
مُتَقَابِلَاتُهَا ، وَيُقَالُ : مَنَازِلُ بَنِي فُلَانٍ تَقْتَاخِرُ ؛ أى تَتَقَابَلُ .



الْبَرْجُ :

طَمَن دِرَاكِ ، أى متابع يخلو بعضه بعضاً . وَيَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِيمُ ، أى لَسَعَتِهِ ؛ ومن هذا

الدعوى قول الشاعر :

طعنتُ ابنَ عبدِ القيسِ طعنةً ثائرةً لها نَفَذٌ ، لولا الشَّعاعُ أضاعها (١)

ملكْتُ بها كفى فأنهتُ فَنَقَبًا يرى قائمٌ من دونها ما وراءها (٢)

فهذا وصف الطعنة ، بأنها لاتساعها يرى الإنسان المقابل لها يبصره ما وراءها ، وأنه لولا شعاع الدم - وهو ما تفرق منه - لبان منها الضوء . وأمير المؤمنين عليه السلام أراد من أصحابه طعنات يخرج النسيم - وهو الريح اللينة - منها .

وفلقت الشيء ، أفلقه - بكسر اللام - فلقا ، أى شققته . ويُطليح العظام : يسقطها ، طاح الشيء ، أى سقط أو هلك أو تاه في الأرض ، وأطاحه غيره ، وطوّحه .

ويُنذِرُ السواحد : يسقطها أيضا ، نذر الشيء ينذر نذرا ، أى سقط ، ومنه النوادر ، وأنذره غيره . والساعد : من الكوع إلى المرفق ، وهو الذراع .

والناسر : جمع منير ؛ وهو قطعة من الجيش تكون أمام الجيش الأعظم ، بكسر السين وفتح اليم ، ويموز منسر بكسر اليم وفتح السين ، وقيل إنها اللفة القصوى . ويرجموا ، أى يُفَرِّقُوا بالسكائب ، جمع كتيبة وهى طائفة من الجيش .

تقفوها الحلائب ، أى تنهبها طوائف انصرفت والحمامة عنها ، يقال : قد أحلبوا ، إذا جاءوا من كل أوب لنصرة ، ورجل مُحَلِّب ، أى ناصر ، وحالبت الرجل ، إذا نصرته وأصنته ؛ وقال الشاعر (٣) :

أَلَهْنا بِقُرْمى سَحْبَلٍ حينَ أُحْلِبَتْ عَنِينًا الوَلاياَ والعدوَّ البايِسَ (٤)

(١) لقيس بن الخطين ، ديوانه ٧ ، وديوان الحماسة - يفرح التبريزى ١ : ١٧٨ . الشعاع : التفرق ، ومنه : تطاير القوم شعاعا ، والغدة : الحرق ؛ يقول : لولا انتشار الشمس لأضاعها .

(٢) ملكت ، من قولهم : ملكت السجين وأملكته ؛ إذا بالقت في يده ؛ أى عذبت بهذه الطعنة كفى ووسعت خرقها حتى يرى القائم من دونها القى . القى وراءها .

(٣) هو جعفر بن عليّ الحلبي ؛ ديوان الحماسة - يفرح التبريزى ١ : ٤٤ .

(٤) قرى : اسم موضع ، وسحبَل : واد بعينه . وأحلبت : أعاثت ؛ والولاياء : جمع ولية ؛ وهى البردة ؛ يكنى بها من النساء أو الضفاد ؛ والبايس : من البأس ، من الباسة ؛ وهى الضجاعة .

أى أمانت ونصرت . والخمس : الجيش . والدعق : قد فسرته الرضى رحمه الله ؛
ويجوز أن يفسر بأمر آخر ؛ وهو الهنج والتنفير ؛ دَعَقَ القومَ يَدْعُهُمْ دَعْعًا ، أى هاج
منهم ونَقَرَهُمْ .

ونواحرأرضهم ، قد فسرته رحمه الله أيضا ؛ ويمكن أن يفسر بأمر آخر ، وهو أن يراد به
أقصى أرضهم وآخرها ، من قولهم لآخر ليلة في الشهر : ناحرة .

وأعطان مساربهم ومسارحهم : جوانبها ، والمساب : ما يسرب فيه المال الراعى ،
والمسارح : ما يسرح فيه ، والفرق بين «سرح» و «سرب» ، أن السروح إنما يكون في أوّل
النهار ، وليس ذلك بشرط في السروب .



[عود إلى أخبار صفين]

واعلم أن هذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه في صفين ، بحضرتهم به ،
وقد ذكرنا من حديث صفين فيما تقدم أكثره ؛ ونحن نذكر هاهنا تنمة القصة ؛ ليكون
من وقف على ما تقدم وعلى هذا للذكر أنفا هنا ، قد وقف على قصة صفين بأسرها .
اتفق الناس كلهم أن عمارة رضى الله عنه أصيب مع على عليه السلام بصيفين ، وقال
كثير منهم ، بل الأكثر : إن أويس القرني^(١) أصيب أيضا مع على عليه السلام بصيفين .
وذكر ذلك نصر بن مزاحم في " كتاب صفين " رواه عن حمص بن عمران البرجمي ،
عن عطاء بن السائب ، عن أبي البختري ؛ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في أويس
ما قال ، وقال الناس كلهم : إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « إن الجنة لتشتاق إلى

(١) هو أويس بن عامر القرني (بفتح الخاء والراء) سيد التابعين ؛ ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب .

مُتَّارٌ ، ورووا عنه صلى الله عليه وآله أن عماراً جاء يستأذن هنيه ، فقال : « ائذنوا له ، مَرَّحَبًا بِالطَّيِّبِ لِلطَّيِّبِ » ^(١) .

وروى سلمة بن كهيل ، عن مجاهد ، أن النبي صلى الله عليه وآله رأى عماراً وهو يحمل أحجار المسجد فقال : « ما لهم ولعمار ! يدعونهم إلى الجنة ، ويدعونهم إلى النار » .
وروى الناس كافة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له : « تفتلك المنة الباغية » ^(٢) .

وروى نصر بن مزاحم في كتاب صفين ، عن عمرو بن شير ، عن مالك بن أمية ، عن زيد بن وهب الجهني ، أن عمار بن ياسر نادى ^(٣) في صفين يوماً قبل مقتله بيوم أو يومين : أين من يبنى رصوان الله عز وجل ولا يؤوب إلى مال ولا ولد ؟ فأتته عصابة من الناس ، فقال : أيها الناس ، اقصدوا بآقصد هؤلاء القوم [الذين يتهبون دم عثمان] ، ويرحمون أنه قتل مظلوماً ، والله إن كان إلا ظالماً لنفسه ، الحاكم بغير ما أنزل الله ^(٤) . ودفع على عليه السلام الراية إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص . وكان عليه ذلك اليوم درعان . فقال له على عليه السلام كهيفة المسارح : أيا هاشم ، أما تحشى على نفسك أن تكون أخور جياناً ؟ قال : ستملم يا أمير المؤمنين ، والله لألقن بين جاحم العرب لم رجل ينوي الآخرة . فأخذ ربحاً فمزقه فانكسر ، ثم أخذ آخر فوجده جاسياً فلقاه ، ثم دعا بربيع كئبن فشد به اللواء ^(٥) .

قال نصر : وحدثنا عمرو قال : لما دفع على عليه السلام الراية إلى هاشم بن عتبة ، قال

(١) صفين ٣٦٧

(٢) صفين ٣٦٦

(٣) صفين : « نادى يومئذ » .

(٤) تسكئة من صفين

(٥) صفين ٣٦٩-٣٧٠ .

له رجل من أصحابه من بكر بن وائل : أقدم هاشم - بكرها - ثم قال : مالك [يا هاشم^(١)] قد انتفخ سحر كالأعوراً وجئنا قال : من هذا؟ قالوا : فلان ، قال : أهلها وخير منها ، إذا رأيتني قد مرعت فخذها . ثم قال لأصحابه : شدوا أسود^(٢) نعالكم ، وشدوا أزركم ، فإذا رأيتوني قد هزرت الراية ثلاثاً ، فاعلموا أن أحداً منكم لا يسبقني إلى الحلة^(٣) . ثم نظر إلى عسكر معاوية ، فرأى جماعتيها ، فقال : من أولئك؟ قيل : أصحاب ذي الكلاع ، ثم نظر فرأى جنداً ، فقال : من أولئك؟ قيل : قريش وقوم من أهل المدينة ، فقال : قومي ، لا حاجة لي في قتالهم ، من عند هذه القبة البيضاء؟ قيل : معاوية وجنده ، قال : فإني أرى دونهم أسود^(٤) ، قيل : [ذاك]^(٥) عمرو بن العاص وابناء ومواليه ، فأخذ الراية فمزها ، فقال رجل من أصحابه : البث^(٦) قليلاً ولا تمجّل ، فقال هاشم :

قَدْ أَكْثَرَا قَوْمِي وَمَا أَقْلًا^(٧) إِنْ شَرَّيْتُ النَّفْسَ لَنْ أَعْتَلَا
أَعُورُ يَبْنِي أُمَّهُ عَمَلًا قَدْ طَلَجَ الْحَيَاةَ حَتَّى مَلَا
لَا مَدَّ أَنْ يَقُلَ أَوْ يَقْلَا^(٨) أَشِلَّهُمْ بِذِي الْكُمُوبِ شَلًا^(٩)

(١) تكملة من صعب .

(٢) صعب : « إليها » .

(٣) أسود : جمع سواد ، وهو الشخص

(٤) صعب : « انكث » .

(٥) مروج الذهب ٢ : ٣٩٧ : « قد أكثر القوم » .

(٦) الفل : الهزيمة .

(٧) الشل : الطرد ، ودو الكموب : الرمح ، ورواية الطبري ٦ : ٢٤ :

• يَتَنَّهُمْ بِذِي الْكُمُوبِ تَلَا •

ويتنهم : يصرعهم . وفي إحدى روايتي صعب . « أشدتم بذى الكموب » .

مَعَ ابْنِ عَمِّ أَحْمَدَ لَأَمْلَى^(١) أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ وَصَلَّى^(٢)

■ ■ ■

قال نصر : وحدثنا عبد العزيز بن سباه ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : لما تناول هاشم الراية ، جعل عمار بن ياسر يجره على الحرب ، ويقرعه^(٣) بالرمح ، ويقول : أقدم يا أعور :

• لَا خَيْرَ فِي أَعْوَرَ لَا يَأْتِي الْعَزَّعُ •

فبستعى من عمار ، وبتقدم ، وبركز الراية ؛ فإذا ركزها طرده عمار بالقول ، فيتقدم أيضا . فقال عمرو بن الحمص : إني لأرى لصاحب الراية السوداء عملا ، لئن دام على هذا لقتلن العرب اليوم ! فقتلوا قتالا شديدا ، وعمار ينادى : ^(٤) صبرا ! والله إن الجنة تحت ظلال العيص . فكان ينادي هاشم وعمار أبو الأعور اللثمي ، ولم يزل عمار بهاشم يتخفه وهو يزحف بالراية ، حتى اشتد القتال وعظم ، والتقى الزحفان ، واقتل قتالا لم يسمع السامعون بمثله ، وكثرت القتلى في الفريقين جميعا^(٥) .

■ ■ ■

وروى نصر ، عن عمرو بن شير ، قال : حدثني^(٦) مَنْ أَتَى بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ،

(١) بده في صفين :

• فِيهِ الرَّسُولُ بِالْهَدَى اسْتَهْلَا •

(٢) بده في صفين :

• فَجَاهَدَ الْكُفَّارَ حَتَّى أَبْنَى •

والخبر في صفين ٣٧٠ ، ٣٧١ ، وسده هناك : قال : وقد كان على يده : آخفا أن يكون أعور جاليا أبا هاشم المرقلا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؟ نعمني - إن شاء الله - ألب اليوم بين هاجم القوم ؟ لحبل يومئذ يرقل ليرقلا .

(٣) صفين : « يداوله » .

(٤ - ٥) صفين : « صبرا عباد الله ، الجنة » . وليس : السيوف .

(٥) صفين : « كليهما » ، والخبر هناك في ٣٧١ ، ٣٧٢ .

(٦) في صفين : « عن عمرو بن شير ، عن أبي إسحاق ، عن أبي السفر » .

قال: لما التقينا بالقوم في ذلك اليوم، وجدناهم خسة منوف [قد قتلوا أنفسهم بالهائم]^(١)،
فقتلنا صفًا، ثم صفًا، ثم خلصنا إلى الرابع؛ ما على الأرض شاة ولا عراقى يوتى دُبْرُهُ،
وأبو الأعور يقول:

إِذَا مَا قَرَرْنَا كَانَ أَسْوَأَ فِرَارِنَا صُدُودَ الظُّلُودِ وَأَزُورَانَ الْمُنَاكِبِ^(٢)
صُدُودَ الظُّلُودِ وَالْقَنَاءَ مَتَشَاوِرًا وَلَا تَبْرَحُ الْأَقْدَامُ عِنْدَ التَّنْصَارِبِ

قال نصر: والتقت في هذا اليوم همدان العراق بعك الشام، فقال قائلهم:

هَمْدَانُ هَمْدَانُ؛ وَعَكٌّ هَكٌّ سَتَمَلُمُ الْيَوْمِ مِنَ الْأَرْكَ^(٣)

وكانت على عك الخروج، وليس عليهم رايات^(٤)، فقالت: همدان: خذموا القوم،

أى اضربوا سوقهم - فقالت هك: ابركوا روك أكمل^(٥)، فبركوا كما برك^(٦)

الجل ثم رموا الحجر، وقالوا: لا خير حتى يفر الحسكر^(٧).

قال نصر: واقتتل الناس من حين اعتدالي النهار إلى صلاة الدرب، ما كان صلاة القوم

إلا التكبير عند مواقيت الصلاة.

ثم إن أهل العراق كشموا ميمنة أهل الشام، فطاروا في سواد الليل، وكشف أهل

الشام ميسرة أهل العراق، فاحتلطوا في سواد الليل، وتبدلت الرايات بعضها ببعض، فلما

أصبح الناس وجد أهل الشام لواءهم وليس حوله إلا ألف رجل، فاقتاموه وركزوه من

(١) من صفى.

(٢) ليس بن الخطم؛ ديوانه ١٠.

(٣) الأرك: الصيف.

(٤) صفين: د رانات، والرائات: جمع ران؛ وهو كالثب إلا أنه لا لدم له.

(٥) بريد: الخيل؛ وعك قلب الميم كالة. واسطر صمين ٢٥٦.

(٦) صمين: كما برك.

(٧) أى الحجر، بلغة عك.

(٨) صمين: ميسرة العراق.

وراء موضعه الأول وأحاطوا به، ووجد أهل العراق لواءهم مركوزاً وليس حوله إلا ربيعة؛
وحلى عليه السلام بينها، وهم يحيطون به، وهو لا يعلم من هم، ويظنهم غيرهم؛ فلما أذن
مؤذن على عليه السلام الفجر، قال على عليه السلام:

يَا مَرْحَبًا بِالْقَاتِلِينَ عَدُوًّا وَبِالصَّلَاةِ مَرْحَبًا وَأَهْلًا

ثم وقف وحلى الفجر، فلما اغتلت أصر وجوهاً ليست بوجوه أصحابه بالأمس، وإذا
مكأه الذي هو فيه ما بين الميسرة إلى القنب، فقال: مَنْ الْقَوْمُ؟ قالوا: ربيعة، وإنك
بأمر المؤمنين لمتدنا منذ الليلة^(١)! قال:

• نَفَرْتُ طَوِيلًا لَكَ يَا رِبِيعَةُ •

ثم قال لحاشم بن عتبة: خذ اللواء؛ فراه مارأيت مثل هذه الليلة. فخرج حاشم باللواء
حتى ركزه في القلب^(٢).



قال نصر: حدثنا عمرو بن شير، عن الشعبي، قال: هي معاوية تلك الليلة أربعة آلاف
وثلاثمائة من فارس وراجل مُتَلَبِّينَ^(٣) بالخضرة، وأمرهم أن يأمروا عليها عليه السلام من
ورائه. فَتَقَطَّعَتْ لَحمُ هَمْدَانَ، فَوَاجَهُوهم وَصَدُّوا إِلَيْهم، فَبَاتُوا نَلكَ اللَّيْلَةَ بِتَحَارُسٍ، وَحَلَّى
عليه السلام قد أفضى به ذهابه ومجيئه إلى رايات ربيعة؛ فوقف يسها وهو لا يعلم، وبظن
أنه: مكر الأشعث، فلما أصبح لم ير الأشعث ولا أصحابه، ورأى سعيد بن قيس
المهتدي على مركزه، فجاء إلى سعيد رجل من ربيعة، يقال له زُفَرٌ^(٤) فقال [له]: أأنت
القاتل بالأمس: أنن لم تنته ربيعة لتكوان ربيعة، وهمدان همدان؟ فما أعنت همدان

(١) صفين: • وقد بت لهم تلك الليلة • .

(٢) صفين ٣٧٣، ٣٧٤ .

(٣) يقال رجل مسلم، بكسر اللام؛ إذا علم مكانه في الحرب بعلامة أعطها؛ ومنه قول الشاعر:

فَتَمَرَّعُونِي إِنِّي أَنَا ذَاكُمْ شَاكٍ سِلَاحِي فِي الْخَوَادِثِ مُعَلِّمٌ

(٤) صفين: • زفر • .

(٥) من صفين • .

البارحة ! فنظر إليه على عليه السلام نظر منكّر ، ونادى منادى على عليه السلام : أن اتعدوا للقتال ، وانعدوا عليه ، وانهدوا إلى عدوكم . فكلهم تحرك إلا ربيعة لم تحرك ، فبث إليهم على عليه السلام : أن انهدوا إلى عدوكم ، فبث إليهم أبا ثروان ، فقال : إن أمير المؤمنين عليه السلام بقرئكم السلام ، ويقول لكم : يا معشر ربيعة ، ما لكم لا تنهدون إلى عدوكم وقد نهّد الناس ! قالوا : كيف نهّد وهذه الخيل من وراء ظهرنا ! قل لأمر المؤمنين فليأمر هذان أو غيرها بما جزتهم لنهّد . فرجع أبو ثروان إلى على عليه السلام ، فأخبره ، فبث إليهم الأشتر ، فقال : يا معشر ربيعة ، ما منعكم أن تنهدوا وقد نهّد الناس - وكان جهر الصوت - وأنتم أصحاب كذا ، وأصحاب كذا ؟ فجعل يمدد إليهم . فقالوا : لسا نفعل حتى ننظر ما صنع هذه الخيل التي خلف ظهورنا ؛ وهي أربعة آلاف ، قل لأمر المؤمنين : فليبتث إليهم من يكفيه أمرهم .

وراية ربيعة يومئذ مع الحصين^(١) بن النضر . فقال لهم الأشتر : فإن أمير المؤمنين يقول لكم : اكهونها ، إنكم لو بستم إليهم طائفة منكم أتركوكم في هذه الفلاة ، وفرّوا كاليمافير^(٢) . فوجهت حينئذ ربيعة إليهم نبي الله والسير بن قاسط وعزة . قالوا : فشبنا إليهم مستلثين مقنّين في الحديد - وكان عامة قتال صفّين مشاك - قال : فلما أتيناهم حرّبوا وانتشروا انتشار الجراد ، فذكرت قوله : « وفرّوا كاليمافير » . ثم رجعنا إلى أصحابنا وقد نسب القتال بينهم وبين أهل الشام ، وقد اقتطع أهل الشام طائفة من أهل العراق ، بعضها من ربيعة ، فأحاطوا بها ، فلم تصل إلينا حتى حملنا على أهل الشام ، فسلّوهم بالأسياف حتى أخرجوا لنا ، فأفضينا إلى أصحابنا فاستنقذناهم ، وعرفناهم تحت النقع بسيماهم وعلااتهم . وكانت علامة أهل العراق بصفّين الصوف الأبيض ، قد جعلوه في رؤوسهم وعلى

(١) في الأصول : حصين ، بالصاد للهيملة ؛ تصحيف ، وهو الحصين بن النضر بن الحارث بن وعة الرطبي ، كان من كبار التابعين ، وانظر المؤلف ٨٧ .
(٢) اليمافير : جمع يماير ؛ وهو الظبي .

أكتافهم ، وشعارهم : « يا الله ، يا الله ، يا أحد يا محمد ! يا رب محمد ! يا رحمن يا رحيم ! » ، وكانت علامة أهل الشام خيراً فحاً صُفْراً ، قد جملوها على رؤوسهم وأكتافهم ، وشعارهم :
• نحن عباد الله حقاً حقاً •

والنارات هُمان !

قال نصر : فاجتذروا بالسيوف وُعُمد الحديد ، فلم يتعاجزوا حتى حَجَزَ بينهم الليل ، وما يرى رجلٌ من هؤلاء ومن هؤلاء مولياً ^(١) .

• • •

قال نصر : حدثنا عمر بن سعد ^(٢) ، قال : كانوا عرباً يعرف بعضهم بعضاً في البعاهلية ، ولما هم كالحديثو عهد بها ، فالتقوا في الإسلام . وفيهم بقايا تلك الحمية ، وعند بعضهم بصيرة الدين والإسلام ، فتضاربوا واستعصموا من الفرار ؛ حتى كادت الحرب تبيدُهم ، وكانوا إذا تمساجروا دَخَلَ هؤلاء . فسُكِر هؤلاء ، فيستخرجون قتلاًهم ويدفنونهم ^(٣) .

قال نصر : فحدثنا عمر بن سعد ، قال : فبينما على عليه السلام واقفاً بين جماعة من هَمْدَان وحِمْيَر وغيرهم من أَفْئَاء ^(٤) قُحْدَن ، إذ نادى رجل من أهل الشام : من دلَّ على أبي نوح الحميري ؟ فقبل له : قد وجدته ، فإذا تريد ؟ قال : فحَسَر من رِثْأَةٍ ، فإذا هو ذوالكَلاَع الحميري ، ومعه جماعة من أهله ورهطه ، فقال لأبي نوح : يسرْ معي ، قال : إلى أين ؟ قال : إلى أن نخرجَ عن الصَّف ، قال : وما شأُك ؟ قال : إن لي إليك حاجة ، فقال أبو نوح ، معاذ الله أن أسير إليك إلا في كتيبة ! قال ذوالكَلاَع : بلى فيسرْ فلك ذمَّة الله وذمَّة رسوله

(١) صفين ٢٧٤ - ٢٧٦

(٢) في صفين : « نصر ؟ عمر ، حدثني صديق أبي عن الإفريقي بن أنس قال » .

(٣) الخبر في صفين ٣٧٧ موصول بما بعده ؛ وهناك : « يدفنونهم » فلما أصبحوا . وذلك يوم الثلاثاء . خرج الناس إلى مصافهم ، فقال أبو نوح : فكنت في الخيل يوم صفين ، في خيل على عليه السلام ، وهو واقف بين جماعة من همدان وحِمْيَر وغيرهم من أَفْئَاء قُحْدَن

(٤) أسماء الناس : أخلاطهم .

وفدته ذى الكلاع ، حتى ترجع إلى خيلك ، فإنما أريد أن أسألك عن أمر فيكم نمارينا فيه . فسار أبو نوح ، وسار ذو الكلاع ، فقال له : إنما دعوتك أحدثك حديثاً حدثناه عمرو بن العاص قدبماً في خلافة^(١) عمر بن الخطاب ، ثم أدكرناه الآن به فأعاده ؛ إنه يزعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه قال : « يلتقي أهل الشام وأهل العراق ، وفي إحدى الكتبتين الحق وإمام الهدى ، ومعه عمار بن ياسر » . فقال أبو نوح : نعم والله^(٢) ؛ إنه لفينا . قال : نشدتك الله ، أجاد هو على قتال^(٣) ؟ قال أبو نوح : نعم ورب الكعبة ، هو أشد على قتالكم مني ، ولوددت أنكم خلق واحد فذبحته وبدأت بك قتلهم ، وانت ابن عمي^(٤) . قال ذو الكلاع : وبك ! علام تمنى ذلك منا ؟ فوالله ما قطعك فيما بيني وبينك قط ، وإن رحمتك لقريبة ، وما يسرني أن أقتلك . قال أبو نوح : إن الله خلق بالإسلام أرحماً قربة ، ووصل به أرحماً متباعدة ، وإنى فأنلك وأصحابك ، لأتاعلى الحق وأنتم على الباطل . قال ذو الكلاع : فهل تستطيع أن تأتي منى صف أهل الشام ، فأنا لك جار منهم ، حتى تلقى عمرو بن العاص ، فتخبره بحال عمار وجده في قتالنا ، لعل أن يكون صلح بين هذين الجندين !

- قلت : وأتجابه من قوم يعتريهم الشك في أسرهم لمكان عمار ، ولا يعتريهم الشك لمكان علي عليه السلام ! ويستدلون على أن الحق مع أهل العراق بكون عمار بين أظهرهم ، ولا يعتريهم شك في مكان علي عليه السلام ! ويحذرون من قول النبي صلى الله عليه وسلم : « تقتلك الفئة الباغية » ، ويرتاعون لذلك ، ولا يرتاعون لقوله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » ، ولا لقوله : « لا يحببك إلا مؤمن »

(١) صعب : « إمارة »

(٢) صعب : « لعن الله »

(٣) صعب : « في قتالنا »

(٤) كذا في « د » وفي ب : « أنت وابن عمي » .

ولا يبتغى إلا منافق . وهذا يدق على أن عليا عليه السلام اجتهدت قريش كلها من مبدأ الأمر في إدخال ذكره وستر فضائله ، وتسوية حصائمه حتى يحى فضله ومرتبته من صدور الناس كافة إلا قليلا منهم .

قال نصر : فقال له أبو نوح : إنك رجل غدير ، وأنت في قوم غدير ، وإن لم يرد المدر أغدروك ، وإنى أن أموت أحب إلى من أن أدخل مع معاوية . فقال ذو الكلاع : أنا جارك من ذلك ؛ ألا تفضل ولا تسلب ولا تكره على بيعة ، ولا تحبس عن جندك ؛ وإنما هي كلمة تبغها عمرو بن العاص ، لعل الله أن يصلح بذلك بين هذين الخدين ، ويصع عنهم الحرب . فقال أبو نوح : إني أخاف غدراتيك وغدرات أصحابك . قال ذو الكلاع : أنا لك بما قلت زعيم ، قال أبو نوح : اللهم إنك ترى ما أعطاني ذو الكلاع ، وأنت تعلم ماى عسى ، فاعصيني واختر لي وابصر لي ، واذا وقع عتي ثم سار مع ذى الكلاع حتى آتى عمرو بن العاص وهو عند معاوية وحوله الناس ، وعبد الله بن عمر يحرض الناس على الحرب ، فلما وقفنا على القوم ، قال ذو الكلاع لعمرو : يا أبا عبد الله ، هل لك في رجل ناصح لييب مشفق ؛ يخبرك عن عمار بن ياسر فلا يكذبك ؟ قال : ومن هو ؟ قال : هو ابن عتي هذا ، وهو من أهل الكوفة . فقال عمرو : أرى عليك سبأ إلى تراب فقال أبو نوح : هل سبأ محمود أصعابه ، وعليك سبأ أبي جهل وسبأ فرعون أقام أبو الأعرس في سيفه ، وقال : لأرى هذا الكذاب المقيم بسبنا بين أظهرنا وعليه سبأ إلى تراب فقال ذو الكلاع : أقسم بالله لئن بطلت يدك إليه لأحطمن أفتك بالسيف ؛ ابن عتي وجارى ، هتفت له ذنتي ، وجئت به إليكم ليخبركم عما تماريتم فيه . فقال له عمرو بن العاص : يا أبا نوح ، أذكرك بالله إلا ما صدقتنا ولم تكذبنا ، أفحكم عمار بن ياسر ؟ قال أبو نوح : ما أنا بخبرك حتى تحبر : لم تسأل عنه ومعنا من أصحاب محمد صلى الله عليه عدة غيره ، وكلهم جاد على قتالكم ؟ فقال عمرو : سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول : « إن

عماراً تقتله الفئة الباغية، وإنه ليس لعمار أن يخارق الحق، ولن تأكل النار من عمار شيئاً»،
 فقال أبو نوح: لا إله إلا الله، والله أكبر، والله إنه لفينا جاذ على قتالكم! فقال عمرو:
 الله الذي لا إله إلا هو إنه لجاذ على قتالنا! قل: نعم والله الذي لا إله إلا هو؛ ولقد
 حدثني يوم الجبل أنا منظر على أهل البصرة، ولقد قال لي أمس: إنكم لو ضربتمونا
 حتى تهلكوا بناسخات^(١) هجر! لعمري أنا على الحق، وأنكم على باطل؛ ولكانت قتالنا
 في الجنة وقتالكم في النار. قال عمرو: فهل تستطيع أن تجتمع بيني وبينه؟ قال: نعم،
 فركب عمرو بن العاص وابداً، وعُتْبة بن أبي سفیان وذو الكلاع، وأبو الأعور السلمي،
 وحوشب، والوليد بن عقبة واسطفوا، وسار أبو نوح ومعه شُرَحْبِيل بن ذي الكلاع
 يحميه؛ حتى انتهى إلى أصحابه، فذهب أبو نوح إلى عمار، فوجده قاعداً مع أصحابه،
 منهم الأشتر وهاشم وابداً بُدَيْل، وخالد بن صبر، وعبد الله بن حنبل، وعبد الله بن العباس.
 فقال لهم^(٢) أبو نوح: إنه دعاني ذو الكلاع، وهو ذو رجم؛ فقال: أحيي عن عمار
 ابن ياسر، أفهكم هو؟ فقلت: لم تسأل؟ فقال: أخبرني عمرو بن العاص في امرأة عمر بن
 الخطاب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه، يقول: «يلتقي أهل الشام وأهل العراق،
 وعمار مع أهل الحق، وتقتله الفئة الباغية»، فقلت: سم، إن عماراً فينا، فسألني: أجاد
 هو على قتالنا؟ فقلت: نعم والله، إنه لأجدتني في ذلك، ولوددت أنكم خلق واحد فذبحته
 وبدأت بك إذا الكلاع، فضحك عمار، وقال: أبسرك ذلك؟ قال: نعم، ثم قال
 أبو نوح: أخبرني الساعة عمرو بن العاص، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه يقول:
 «تقتل عماراً الفئة الباغية»، قال عمار: أفررت به بذلك؟ قال: نعم، لقد قررت به بذلك فافتر،

(١) الحديث في النهاية ٧: ١٦٢؛ قال في شرحه: «السعات: جمع سعة، بالتحريك؛ وهي
 أغصان النخيل؛ وقيل: إذا عشت سميت سعة؛ وإذا كانت رطبة؛ فهي شطبة؛ وإنا نحن هجر
 للمباعدة في المسافة؛ ولأنها موصوفة بكثرة التحيل». .
 (٢) صعب: «وقال أبو نوح» .

قال عمار : صدق ، وليضرتنه ماسمع ولا ينفعه . قال أبو نوح : فإنه يريد أن يلتصق ، فقال عمار لأصحابه : اركبوا ، فركبوا وساروا . قال : فبعثنا إليهم فارساً من عهد الفيس بسى عوف بن بشر فذهب ، حتى إذا كان قريباً منهم ، نادى : أين عمرو بن العاص ؟ أقولوا : ها هنا ؛ فأخبره بمكان عمار وخيله ، قال عمرو : قل له : فليسر إلينا ، قال عوف : إنه يخاف غدارتك وفجراتك ، قال عمرو : ما أجرأك على وأنت على هذه الحال ؟ قال عوف : جرتأني عليك بصري فيك وفي أصحابك ، وإن شئت ما بدتلك لأن على سواء ، [وإن شئت لتفتت أنت وحملاؤك ، وأنت كنت غادراً]^(١) ؛ فقال عمرو : إنك لفسيف ، وإني بأمت إليك رجلاً من أصحابي يوافقك^(٢) ، قال : أبعث من شئت ، فليست بالسو حش ، وإليك لا تبث إلا شقياً ، فرجع عمرو ، وأنفذ إليه أبا الأعور ، فلما تواقفاً تشارفاً ، فقال عوف : إني لأعرف الجسد وأنكر القلب ، وإني لا أراك مؤمناً ولا أراك إلا من أهل النار ، قال أبو الأعور : يا هذا ؛ لقد أعطيت لسانا يكتبك الله به على وجهك في النار ، قل عوف : كلاً والله إني لأتكلّم بالحق وتكلمم بالباطل ، وإني أدعوك إلى الهدى وأقاتك على الصلال^(٣) ؛ وأمر من النار ، وأنت بعمدة الله ضال ، تنطق بالكذب وتقاتل على حلافة ، وتشتري القباب بالهفرة ، والضلالة بالهدى ؛ انظر^(٤) إلى وجوهنا ووجوهكم وسياها وسياكم ، واسمع دعوتنا ودعوتكم ، فليس أحد منا إلا وهو أولى بالحق وبعده ، وأقرب إليه منكم . فقال أبو الأعور : لقد أكرمت الكلام ، وذهب للنهار ، ربحك ادع أصحابك وأدع أصحابي ، وليأت أصحابك في قلة إن شاءوا أو كثرة ، وإني أحيى من أصحابي صدقهم^(٥) ، [فإن شاء أصحابك فليقتلوا ،

(١) تسكلمة من كتاب صعب

(٢) كذا في د ، وفي ب : « يوافقك » .

(٣) صعب : « وأقاتل أهل الصلال » .

(٤) صعب : « انظروا . . . واسمعوا . . . » .

(٥) صعب : « بمددكم » . وفي ب : « مددكم » .

وإن شأوا فليكنوا^(١) . فسار^(٢) عمار في اثني عشر فارساً ، حتى إذا كانوا بالمصنف سار
عمرو بن العاص في اثني عشر فارساً حتى اختلفت أعناق الخيل^(٣) ؛ خيل عمار وخيل عمرو ،
ونزل القوم واحتبوا بمحافل سيوفهم ، فنشده عمرو بن العاص ، فقال له عمار : اسكت ،
فلقد تركتها وأنا أحق بها منك ، فإن شئت كانت خصومة فبدفع حنفاً باطك ، وإن
شئت كانت خطبة ؛ فنحن أعم جمل الخطاب منك ، وإن شئت أخبرتك بكلمة تفصل
بيننا وبينك ، وتكفرك قبل القيام ، ونشهد بها على نفسك ، ولا نستطيع أن تكذبني
فيها . فقال عمرو : يا أبا الهيثمان ، ليس لهذا جثث إنما جثث لأنى رأيتك أطوع أهل هذا
المسكر فيهم . إذ كرك الله إلا كفنت سلاحهم ، وحفنت دعاءهم ، وحرصت^(٤) على ذلك ،
فسلام تقاتلوننا أولنا نمجد إلهاً واحداً ، وصلى إلى قبلكم وندعو دعوتكم ، ونقرأ
كتابكم ، ونؤمن بنبيكم أقوال عمار : الحمد لله الذي أخرجنا من عبادة الأصنام ،
والدين ، والدين ، وعبادة الرحمن ، والنبي والكتاب ؛ من دولك ودون أصحابك . الحمد لله
الذي قررك لنا بذلك موجهك خالاً مصلحاً ، وسأخبرك على ما أفاقتك عليه وأصحابك ؛
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أقاتل الناس كثرين ؛ فقد فعلت ، وأمرني أن أقاتل
الفاستين وأنهم هم ، وأما المارقون فلا أدري أدركم أولاً أم آتياً الأبرار ، ألسن تعلم أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ كُنْتُ مُوَلَّاهُ فَهُوَ مُوَلَّاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَطَاعِ مَنْ
طَاعَاهُ » . فأنامولي الله ورسوله وعلى مولاي بدمعاه . قل عمرو : لِمَ تشتمني يا أبا الهيثمان
ولست أشتمك أقال عمار : وِمَ تشتمني ؟ أنستطيع أن تقول : إني عصيت الله ورسوله
يوماً قط أقال عمرو : إن فيك لمأب^(٥) سوى ذلك ؛ قال عمار : إن الكبريم من أكرمه

(١) تكملة من كتابه صفي

(٢ - ٣) صفي : « سار أبو الأعور في مائة فارس حتى إذا كان حيث كان المرة الأولى وهو سار
في عشرة بصرو ، وسار عمار في اثني عشر فارساً حتى اختلفت أعناق الخيل . . . »

(٣) صفي : « وحرصت على ذلك » .

(٤) صفي : « لمأب » .

الله اكنتُ وضيماً فرغني الله ، وعملاً فأحدثني الله ، وضيماً فتوأتني الله ؛ وقصيراً فأغنانني الله ؛ قال عمرو : فأتري في قتل عثمان ؟ قال : ضحك لكم بلب كل سوء ، قال عمرو : قتلته قتله ؟ قال عمار : بل الله ربُّ عليّ قتلوه عليّ معه ، قال عمرو : فكنتُ^(١) فبمن قتله ؟ قال : كنتُ مع مَنْ قتله ، وأنا اليوم أقاتل معهم ، قال عمرو : فلم تقتلوه ؟ قال عمار : إنه أراد أن يغير ديننا فقتلناه ، فقال عمرو : ألا تسمعون ؟ قد اعترف بقتل إمامكم اقتال عمار ، قد قالها فرعون قبلك قومه : ﴿ أَلَا تَنصَحُونَ ﴾^(٢) . فقام أهل الشام ولم زَجَل فركبوا خيولهم ورجعوا ، وقام عمار وأصحابه فركبوا خيولهم ورجعوا ، وبلغ معاوية ما كان بينهم فقال : هلكت العرب إن حرَّكنهم خفة العبد الأسود - بني عمار^(٣) .



قال نصر : حدثنا عمرو بن شمر ، قال : رُحِمَ جثتي^(٤) انطبول إلى القتال واصطفت بضها البض ، وتزاحفت الناس ، وعلى عمار دِرْعٌ بيضاء ؛ وهو يقول : أيها الناس ، الرواح إلى الجنة .

فقاتل القوم قتالاً شديداً لم يستمع السامعون بمثله ، وكثرت القتل حتى أن كان الرجل يشدُّ طَنْبَ قُسطاطه بيد الرجل أو برجله . وحكى الأشعث بعد ذلك ، قال : لقد رأيت أخبية صفيين وأدوقتها ، وما فيها خباء ولا رواق ولا قُسطاط إلا مَرْبُوطاً بيد إنسان أو برجله .

قال نصر : وجعل أبو السماك الأسدي بأحد إداوة من ماء وشقيرة حديدية ، فيطوف في القتل ، فإذا رأى رجلاً حاربياً وبهرمقاً أقعده ، فيقول له : مَنْ أمير المؤمنين ؟ فإذا قال :

(١) صفيين : « أ كنت » .

(٢) من الآية ٢٥ في سورة الشعراء .

(٣) صفيين ٣٧٧ - ٣٨٤ .

(٤) صفيين : « وخرج لقتال » أي عمار .

« على » غسل الدم عنه ، وسقاء من الماء ، وإن سكنت وجاء بالسكين حتى يموت ولا يسقيه ^(١) .

• • •

قال نصر : وحدثنا عمرو بن كثير ، عن جابر ، قال : سمعت الشعبي ، يقول : قال الأحنف بن قيس : والله إنى إلى جانب عمار بن ياسر ، [بينى وبينه رجل من بنى السعيراء ^(٢)] .

فتقدمنا حتى دنونا من هاشم بن عتبة ، فقال له عمار : أنجل فذاك أبى وأتى ! فقال له هاشم : يرحمك الله يا أبا القيس ! إنك رجل تأخذك خفة في الحرب ، وإنى إنما أزحف بالقواء زحفاً ، أرجو أن أتال ذلك حاجتى ، وإن خفت لم آمن الهلكة . وقد كان قال معاوية لعمرو : ويحك ! إن القواء اليوم مع هاشم بن عتبة ، وقد كان من قبل يُرقل به إرقالاً ، وإن زحف به اليوم زحفاً لم يلبث اليوم الأطول على أهل الشام ، فإن زحف في عتق ^(٣) من أصحابه : إلى لأطعم أن تنقطع . فلم يزل به عمار حتى حمل ، فبصر به معاوية ، فوجه إليه حماة أصحابة ^(٤) ومن يزل ^(٥) بالبأس والنجدة منهم في ناحية ، وكان في ذلك الجمع عبد الله بن عمرو بن العاص ، ومعه بوشاذ سيفان قد تقلد بأحدهما ، وهو يقرب بالآخر ، فأطافت به خيول على عليه السلام ، وجعل عمرو يقول : يا الله ، يا رحمن ! ابنى ، ابنى ! فيقول معاوية : اصبر فلا بأس عليه . فقال عمرو : لو كان يزيد ابن معاوية ، أصبرت ^(٦) ! فلم يزل حماة أهل الشام تذب عن ^(٧) عبد الله حتى نجا هاربا على فرسه ^(٨) [ومن معه ، وأصيب هاشم في المعركة] ^(٩) .

• • •

(١) صفح ٣٨٥

(٢) على ، أى جماعة .

(٣) من صفح .

(٤) يرون ، أى يتهم .

(٥) صفح : « إذا أصبرت » .

(٦) صفح : « يذبون عنه » .

(٧) صفح ٣٨٥ ، ٣٨٦

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، قال : وفي هذا اليوم قُتل عمار بن ياسر رضي الله عنه ، أصيب في الحركة ، وقد كان قبل حين نظر إلى راية عمرو بن العاص : والله إنها لراية قد قاتلتها ثلاث حركات وما هذه بأرشدهن ، ثم قال :

نَحْنُ ضَرْبَانُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا ضَرْبَانُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقْبِلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ
• أَوْ يَرْجِعَ الْحَقُّ إِلَى سَبِيلِهِ •

ثم استقى وقد اشتد عطشه ، فأنته امرأة طوية اليدين ، ما أدرى أعس معها أم أدوات ، فيها ضياع^(١) من لبن أقتل حين شرب : « الحنة تحت الأسنة ، اليوم ألقى الأحبة ، محمدا وحزبه » . والله لو ضربونا حتى يُسلمونا سَفَنَاتِ هَجَرَ لَطَعْنَا أَنَا عَلَى الْحَقِّ ، وَأَسْهَمَ عَلَى الْبَاطِلِ . ثم حمل وحمل عليه ابن حوَيِّ السَّكَنِيِّ^(٢) وأبو العادية ، فأما أبو العادية فطمعه ، وأما ابن حوَيِّ فاحتد رأسه ، وقد كان ذو الكلاع يسمع عمرو بن العاص يقول : إن النبي صلى الله عليه يقول لعمار : « تَقْتُلُهُ الْقَتْلَةُ الْبَاهِيَّةُ ، وَآخِرُ شُرَيْكٍ ضِيَاحٌ^(٣) مِنْ لَبْنٍ » ، فقال ذو الكلاع لعمر : وبحك ما هذا ؟ قال عمرو : إنه سيرجع إلينا ، ويفارق أبا تراب ؛ وذلك قبل أن يصاب عمار ، فلما أصيب عمار في هذا اليوم أصيب ذو الكلاع ، فقال عمرو لمعاوية : والله ما أدرى بقتل أيها أنا أشد فرحا ، والله لو بقي ذو الكلاع حتى يقتل عمار لسال بعامة قومه إلى علي ، ولأفقد علينا أمرنا^(٤) .

• • •

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، قال : كان لا يزال رجل يحمي ، فيقول لمعاوية وعمر : أنا قُلت عمارا ، فيقول له عمرو : فما سمعته يقول ؟ فيخطئ ، حتى أقبل ابن حوَيِّ^(٥) ،

(١) الضياع بالفتح : القبح الرقيق الكثير الماء .

(٢) صفين : « ابن حوَيِّ السَّكَنِيُّ » ، و « صروح القصب » : ٢ : ٢٩ : « أبو حواء السَّكَنِيُّ » .

(٣) صفين : « حنذا » : ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

(٤) صفين : « ابن حوَيِّ » .

قال : أما قلته ، فقال عمرو : فما كان آخر منطقته ؟ قال : سمعته يقول : « اليوم أنى الأحببه .
ههنا وحزبه » . فقال : صدقت ، أنت صاحبه ، أما والله ما نظرت يدك ؛ ولقد
أسخطت ربك ^(١) .

• • •

قال نصر : حدثنا عمرو بن شمر ، قال : حدثني إسماعيل التدي ، عن عبد خير
المهذاني ، قال : نظرت إلى عمار بن ياسر يوم ما من أيام صيفين ، قد رُمِيَ رميةً فأغشى عليه ،
فلم يصل الظهر ولا العصر ولا المغرب ولا المشاء ولا الفجر ، ثم أفلق فقصاهن جميعاً ، يبدأ
بأول شيء فاته ، ثم بالتي تليها ^(٢) .

• • •

قال نصر : وحدثنا عمرو بن شمر ، عن التدي ، عن أبي حريث ، قال : أقبل غلامٌ
لعمار بن ياسر ، اسمه راشد ، يحمل إليه يوم قتل بشربة من لبن ، فقال عمار : أما إني سمعتُ
خليفة رسول الله صلى الله عليه يقول : « إن آخرَ زادك من الدنيا شربة لبن » ^(٣) .

■ ■ ■

قال نصر : وروى عمرو بن شمر ، عن التدي ، أن رجلين بصيفين احتصا في سلب
عمار وفي قتله ، فأتيا عبداً لله بن عمرو بن العاص ، فقال : وبمكما أخرجنا عنى إنا إن رسول
الله صلى الله عليه قال : « ما قرئش ^(٤) ولعمار ا بدعوم إلى الجنة ويدعونه إلى النار .
قائه وسألته في النار » .

(١) صعين : ٢٨٧ ، ٢٨٨

(٢) صعين ٢٨٨

(٣) صعين ٢٨٨

(٤) المبارة في صعين : « ولت قرئش بمار ، ما لهم ولعمار .. »

قال الشدي : قبلنى أن معاوية قال لما سمع ذلك : إنا قتلناه من أخرجناه ؛ يندفع
بذلك طغى أهل الشام ^(١) .

• • •

قال نصر : وحدثنا عمرو، عن جابر، عن أبى ثوير ، قال : أتى حذيفة بن اليمان رهطاً
من جبهة ، فقالوا له : يا أبا عبد الله ، إن رسول الله صلى الله عليه استجار من أن تعظم
أمته ^(٢) ، فأجبر من ذلك ، واستجار من أن يذيق ^(٣) أمته بعضها بأس بعض ، فنع من
ذلك ، فقال حذيفة : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن ابن سمية لم
يخبر بين أمرين قط إلا احتار أشدهما - يعنى عماراً - فالزموا سمته » ^(٤) .

• • •

قال نصر : وحدثنا عمرو بن شعراء قال : حل عمار ذلك اليوم على صف أهل الشام
وهو يرتجز :

كلا ورب البيت لا أبرح أجى حتى أموت أو أرى ما أشتى
لأفنا الذعر أحامى عن على ^(٥) صهر الرسول ذى الأمانات الوفى
ينصرنا رب السموات العلى ^(٦) ويقطع الهام بحمد المشرقى
يمنعنا النصر على من يبتنى ^(٧) ظلماً علينا جاهلداً ما يأتلى

قال : فضرب أهل الشام حتى اضطرم إلى الفرار ^(٨) .

• • •

(١) صفين ٣٨٨ ، ٣٨٩

(٢) تعظم : لتأصل .

(٣) صفين : « واستجار من أن يفوق بعضها بأس بعض » .

(٤) صفين ٣٨٩

(٥) صفين : « أنا مع الحق ألقى عن على » .

(٦) صفين : تكل أعداءه وينصره العلى .

(٧) صفين : « والله ينصرنا » .

(٨) صفين ٣٨٩

قال نصر : وقد كان عبد الله بن سويد الحيرى من آل ذى الكلاع ، قال لى الكلاع : ما حديث سمعته من ابن العاص بن عمار ؟ فأخبره ، فلما قُتل عمار خرج عبد الله ليلاً يمشى ، فأصبح فى عسكر على عليه السلام ، وكان عبد الله من عباد أهل زمانه ، وكاد أهل الشام أن يضطربوا لولا أن معاوية قال لهم : إن علياً قتل عماراً ، لأنه أخرجه إلى الفتنة . ثم أرسل معاوية إلى عمرو : لقد أصدت على أهل الشام ؛ أكل ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله تقوله ! فقل عمرو : قلنا واستأعلم الغيب ، ولا أدري أن صفيين تكون ! قلنا وعمار يومئذ لك ولي ، وقد رويت أنت فيه مثل ما رويت . فغضب معاوية وتنفّر لعمرو ، وعزم على منعه خبره ، فقال عمرو لابنه وأصحابه : لا خير فى جوار معاوية ؛ إن تحملت هذه الحرب عنه لأفارقته . وكان عمرو يحى الألف ، قال (١) :

تعاينى أن قلت شيطاناً سمعته	وقد قلت لو أصفى مثله قبلى
أملك فيما قلت نعل ثبته	وترأى لى فى مثل ما قلته نعل !
وما كان لى علم بصفيين أهما	نكون وعمار يمشى على قلى
ولو كان لى ما ليس علم كتبتها	وكابدت أفواماً مراجيم تدلى (٢)
أبى الله إلا أن صدرك واغرى	على بلا ذنب جنيت ولا دخل
سوى أنتى والراقصات عشية	منصرك مدخول الهوى ذاهل العقل
فلا وضعت عنى حصان قيامها	ولا حملت وجنأ ذغلية رجلي (٣)
ولازلت أذهى فى لوى بن غالب	فبلا غنائى لا أمير ولا أخلى
إن الله أرخى من خيافك مرة	ونلت الذى رجيت إن لم أزر أهلى

(١) صبي : فقال لى ذلك .

(٢) ب : د كابدت د تصحيف صوابه من د .

(٣) الوحاء : الناقة الشديدة ، شبهت بالوحش من الأرض ؛ وهو الأرض الصلبة . والقذبة : السريمة

وَأَرْكَكَ الشَّامَ الَّتِي ضَاقَ رُحْبُهَا عَلَيْكَ وَلَمْ يَهْنِكْ بِهَا الْعِيشُ مِنْ أَجْلِ
فَأَجَابَهُ معاوية :

أَلَا أَلَا لَمَّا أَقْتَرِ الْحَرْبُ بَرَكَا وَقَامَ بِنَا الْأَمْرَ الْجَلِيلُ عَلَى رِجْلٍ
غَمَزَتْ قَتَايَ بَعْدَ سَتَيْنِ حَجَّةً رَبَّاعًا كَأَنِّي لَا أَمِيرٌ وَلَا أُخْلِي
أَتَيْتَ بِأَمْرِ فِيهِ شَامُ خَنَّةٌ وَفِي دُونَ مَا أَظْهَرْتَهُ زَانَةُ التَّمَلُّ
قَلَّتْ لَكَ الْقَوْلُ الَّذِي لَيْسَ ضَائِرًا وَلَوْ ضَرَّ لَمْ يَضُرُّكَ حَمْلُكَ لِي تَقْلٍ
تُعَاتِبُنِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلِيَّةٍ كَانَ الَّذِي أَبْلَيْكَ لَيْسَ كَأَبِيلٍ ^(١)
فِي أَقْبَحِ اللَّهِ الْعَطَابِ وَأَمْسَهُ أَلَمْ تَرَمَا أَصْبَحْتُ فِيهِ مِنَ الشُّعْلِ
فَدَعِ ذَاوَلَكُنْ هَلْ لَكَ الْيَوْمَ حَيَّةٌ تَرَدَّ بِهَا قَوْمًا مَرَّاجِلُهُمْ تَقْلٍ
دَعَامَ عَلَى فَاَسْتَعَابُوا ^(٢) [لَا غَوِيَّةَ] أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ تَرَمَى لِلْمَالِ وَالْأَهْلِ
إِذَا قُلْتَ هَابُوا حَوَامَةَ الْمَوْتِ أَرَقَدُوا إِلَى الْمَوْتِ إِنْ قَالَ الْخُلُوكُ إِلَى الْفَعْلِ
قَالَ : فَلَمَّا آتَى عَمْرَأَ شَعْرَ معاوية أَمْرَهُ ، فَأَعْتَبَهُ ^(٣) وَصَارَ أَمْرُهُمَا وَاحِدًا .

قال « نصر » : ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعَا فِي هَذَا الْيَوْمِ هَاشِمَ بْنَ عُبَيْدَةَ وَسَمِعَهُ لَوَاؤَهُ
[وَكَانَ أَعُورٌ] ^(٤) فَقَالَ لَهُ : يَا هَاشِمُ ^(٥) حَقٌّ مَعِيَ : لَا أَجْهَدُنَّ إِلَّا أَرْجِعَ إِلَيْكَ
أَبَدًا . فَقَالَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ يَزَائِكَ ذَا الْكَلَّاحِ ، وَعِنْدَهُ لِلْمَوْتِ الْأَحْمَرُ . فَقَدَّمَ هَاشِمَ

(١) صَفِين : « صَانِتِي »

(٢) أَعْتَهُ : أَرْصَاهُ .

(٣) مِنْ صَفِين .

(٤) صَفِين : « يَا هَاشِمَ حَقٌّ مَعِيَ نَأْكُلُ الْمُبَرَّ وَنَتَصَرَّبُ لِلْمَاءِ » . فَقَالَ هَاشِمُ : لَا أَجْهَدُنَّ عَلَى إِلَّا أَرْجِعَ إِلَيْكَ
أَبَدًا ، قَالَ عَلَى : إِنَّ يَزَائِكَ ذَا الْكَلَّاحِ وَعِنْدَهُ الْمَوْتُ الْأَحْمَرُ . فَقَدَّمَ هَاشِمَ فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ معاوية : مِنْ هَذَا
الْمَقِيلِ ؟ فَقِيلَ : هَاشِمُ الرُّفَّالُ . . . فَقَالَ : أَعُورٌ بَيْنَ زُهْرَةَ ! قَاتِلُهُ أَقَاتُ ! وَقَالَ : إِنَّ حِمَاةَ الْقَوَاءِ رِييَّةٌ ،
فَأَجِيلُوا الْقَدَاحَ ، فَمِنْ حَرَجٍ سَجِيهٍ عِيْجَةٍ لَهُمْ ، فَمِنْ حَرَجٍ سَهْمٍ دَى الْكَلَّاحِ لِبَكْرٍ بَنِي وَائِلٍ ، فَقَالَ : تَرَحُّكُ أَقَاتُ
مِنْ سَهْمٍ ! كَرِهْتُ الضَّرَابَ ! وَإِنَّمَا كَانَ حُلُّ أَصْحَابِ عَلَى أَهْلِ الْقَوَاءِ مِنْ رِييَّةٍ ؟ لِأَنَّهُ أَمْرٌ حَادٌّ مِنْهُمْ أَنْ
يَحَامُوا عَنِ الْقَوَاءِ ، فَأَقْبَلَ هَاشِمٌ وَهُوَ يَقُولُ : .

فلما أقبل ، قال معاوية : من هذا القبل ؟ فقيل : هاشم الميرقال ، فقال : أعور بن زُهرة !
 كاته الله ! فأقبل هاشم وهو يقول :

أَعْوَرُ بَيْنِي فَهَ غَلَامَا مثل الفَيْقِ لِأَبْسَا دِلَامَا^(١)
 لَادِبَةٌ يَخْشَى وَلَا فِصَامَا كلُّ أَمْرٍ وَلِإِنْ كَبَا وَحَامَا^(٢)
 • لَيْسَ يَرَى مِنْ بَوَّيْهِ مَنَامَا •

فجعل صاحب اللواء ذي الكلاع - وهو رجل من عُذرة - فقال :
 يَا أَعْوَرَ الْعَيْنِ - وَمَا مِنْ عَوَرٍ - انبُتْ فَإِنِّي لَأَسْتُ مِنْ فَرْعَى مُضَرٍ
 نَحْنُ الْيَمَانُونَ وَمَا فِينَا خَبَرٌ كَيْفَ تَرَى وَقَعَ غُلَامٍ مِنْ عُذْرٍ !
 بَنَى ابْنُ عَفَّانٍ وَبَلَغَى مَنَ عَذْرٍ سَيِّانٍ عِنْدِي مَنْ سَعَى وَمَنْ أَمَرٍ
 فاحتلفا طمعتين ، فطامته هاشم فقتله ، وكثرت القتل حول هاشم ، وحل ذو الكلاع ،
 واختلط الناس واجتلدوا ، فقتل هاشم وذو الكلاع جميعا ، وأخذ عبدُ الله بن هاشم اللواء
 وارتجز ، فقال :

يَا هَاشِمَ بْنَ عَتَبَةَ بْنِ مَالِكٍ أَغْزِرْ شَيْخٍ مِنْ قُرَيْشٍ هَالِكٍ !
 تَحِيطُهُ إِنْ لَيْلَانُ بِالسَّابِكِ فِي أَسْوَدٍ مِنْ تَقْمِينَ حَالِكِ
 أَبْشُرْ بِمُحَوِّرِ الْعَيْنِ فِي الْأَوَانِكِ وَالرُّوحَ وَالرِّيحَانِ عِنْدَ ذَلِكَ^(٣)

• • •

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، عن الشعبي ، قال : أخذ عبد الله بن هاشم بن عتبة
 راية أبيه ، ثم قال : أيها الناس ، إن هاشمًا كان عبداً من عباد الله الذي قدر أرزاقهم ،

(١) جده في صفين :

• قَدْ جَرَّبَ الْحَرْبَ وَلَا أَمَامَا •

(٢) حاس : حرب .

(٣) صفين ٣٩٢ - ٣٩٥

وكتب آثارهم ، وأحصى أعمالهم ، وقضى آجالهم ، فدعاه الله ربه فاستجاب لأمره ^(١) ، وسلم لأمره ،
وجاهد في طاعة ابن عم رسول الله - أول من آمن به ، وأفتهم في دين الله ، الشديدي على أعداء
الله ، المستعدين حرم الله ، الذين عملوا في البلاد بالجور والفساد ، واستحوذ عليهم الشيطان ،
فأنساهم ذكر الله ، وزين لهم الإثم والمدران ، فعق عليهم جهاد من خالف الله ، وعطل
حدوده ، ونايذا أوليائه . حودوا بهم حكم في طاعة الله في هذه الدنيا ، نصيبوا الآخرة
والمزل الأمل ، والأبد الذي لا ينفى . فوالله لو لم يكن ثواب ولا عقاب ، ولا جنة ولا نار ،
لكان القتال مع علي أفضل من القتال مع معاوية ، فكيف وأنتم ترجون ما ترجون !

• • •

قال نصر : وحدثنا عمرو بن شير ، قال : لما انقضى أمر صفين ، وسلم الحسن عليه
السلام الأمر إلى معاوية ، ووفدت عليه الوفود ، أشخص عبيد الله بن هاشم إليه أسيراً ، فلما
مثل بين يديه ، وعنده عمرو بن العاص ، قال : يا أمير المؤمنين ، هذا المختل ابن الرقال ،
فدونك الصب للصب ^(٢) ، المر للقرن : فاقله ، فإن العصا من العصية ، وإنما تلد الحية
حية ، وجزاء السيئة سيئة مثلها .

فقال عبيد الله : إن تقتلى فما أنا بأول رجل خذله قومه ، وأسلمه يومه . فقال عمرو :
يا أمير المؤمنين ، أمكنني منه أشعب أوداجه على أتباعه . فقال عبيد الله : فهلاً كانت هذه
الشجاعة منك يا ابن العاص في أيام صفين ، ونحن ندعوك إلى التراجع ، وقد ابتلت أقدام
الرجال من ثقب الجربال ^(٣) ، وقد تضايقت بك المسالك ، وأشرقت منها على المهالك !
وايم الله لو لا مكالمك منه لرميتك بأحد من وقع الأشاش ^(٤) ؛ فإليك لا تزال تكتر في

(١) دعه ،

(٢) الصب : اللاتم .

(٣) الجربال : صبيح أحر ، ويريد به ما اهدم .

(٤) الأشاش : جرد لاشي ، وهو عصف الإسكاف .

هَوَيْكَ ، وَتَخِيطُ فِي دَهَيْكَ ، وَتَنْشِبُ فِي مَرْسِكَ ، [تَخِيطُ الْعِشْوَاءُ ، فِي الْإِلَهِةِ الْخُنْدِيسِ
الْقُلْدُ] . (١) وَأَمْرٌ مَعَاوِيَةَ بِهِ إِلَى الْحَبَسِ ، فَكُتِبَ عَمْرُو إِلَى مَعَاوِيَةَ (٢) :

أَمَرْتُكَ أَمْرًا حَازِمًا فَصَبِيتَنِي وَكَانَ أَبُوهُ بِمَعَاوِيَةَ الْقَدَى
وَكُنَّ مِنْ التَّوْفِيقِ قَتْلُ ابْنِ هَاشِمٍ رَمَاكَ عَلَى حَرْبٍ بِحَزْمِ النَّعْلَامِ
فَقَتَلْنَا حَتَّى جَرَتْ مِنْ دِمَائِنَا (٣) بِصَفَيْنَ أَمْثَالُ الْبُحُورِ الْخَضَارِ
وَهَذَا ابْنُهُ ، وَالْمَرْءُ بِشَبِّهِ أَصْلَهُ مَسْتَرْعٍ - إِنْ أَبْقِيَتْهُ - مِنْ نَادِمٍ

فَبَعَثَ مَعَاوِيَةَ بِالْشَّعْرِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَاشِمٍ ، فَكُتِبَ فِي جَوَابِهِ مِنَ السَّجْنِ :
مَعَاوِيَةُ إِنَّ الْمَرْءَ كَهَمَزًا أَبَتْ لَهُ ضَحِيحَةُ صَدْرِ وَدَّهَا غَيْرِ سَالِمٍ
يَرَى لَكَ قَتْلِي بِابْنِ حَرْبٍ ، وَإِنَّمَا تَوَهَّيْ مَا يَرَى عَمْرُو مُلُوكُ الْأَحَامِ
عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَتَنَلَوْنَ أَسِيرَهُمْ إِذَا كَانَ فِيهِ مَنَّمَةٌ لِلْسَّائِمِ
وَقَدْ كَانَ مَتَا يَوْمِ صَفَيْنَ نَفَرَةً عَلَيْكَ ، جِنَاهَا هَاشِمٌ وَابْنُ هَاشِمِ
قَضَى اللَّهُ فِيهَا مَا قَضَى ثُمَّتَ اقْضَى وَمَا مَاضَى إِلَّا كَأَصْفَاتِ حَالِمِ
فَإِنْ تَفْعَلْ عَنِّي تَفْعَلْ عَنِّي قِرَابِجٍ وَإِنْ تَرَ قَتْلِي تَسْعَلْ مَخَارِجِي
هَذِهِ رِوَايَةُ نَصْرِ بْنِ مَزَاحِمٍ (٤) .

(١) من صفين .

(٢-٣) صفين : « قَالَ فَأَعْبَدَ مَعَاوِيَةَ مَا سَمِعَ مِنْ كَلَامِ ابْنِ هَاشِمٍ فَأَمَرَ بِهِ إِلَى السَّجْنِ وَكَفَّ عَنْ قَتْلِهِ »
فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَمْرُوَ بِأَيَّاتٍ يَقُولُ لَهُ « . »

(٣) صفين :

« فَمَا بَرَّحُوا حَتَّى جَرَتْ مِنْ دِمَائِنَا »

(٤) صفين ٣٩٥ ، ٣٩٠

وروى أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى بن عبيد الله للرزباني ، أن معاوية لما تم له الأمر بسد وفاة علي عليه السلام ، بعث زيادا على البصرة ، ونادى منادى معاوية : **أَمِينَ** الأسود والأحر بآمان الله ؛ إلا عبد الله بن هاشم بن عتبة ! فكث معاوية يطلبه أشد الطلب ، ولا يعرف له خبراً ، حتى قدم عليه رجل من أهل البصرة ، فقال له : أنا أدلك على عبد الله بن هاشم بن عتبة ؛ اكتب إلى زياد ؛ فإنه عند قلانة الخزومية ؛ فدعا كاتبه فكتب : من معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى زياد بن أبي سفيان ، أما بعد ، فإذا أتاك كتابي هذا فاحمد إلى حمى بنى مخزوم ، فتنش دأراً داراً ، حتى تأتي إلى دار قلانة الخزومية ؛ فاستخرج عبد الله بن هاشم الميرفأل منها ؛ فاحلق رأسه ؛ وألبسه جبّة شعر ، وقبده ، وغلّ يده إلى عنقه ، واحمله على قنّب بغير بنير وطاء ولا خذاء ، واخذ به إلى . قال للرزباني : فأما الزبير بن بكار فإنه قال : إن معاوية قال لزياد لما بعثه إلى البصرة : **إِنَّ** عبد الله بن الميرفأل في بنى ناجية بالبصرة ، عند امرأة منهم يقال لها قلانة ، وأنا أعزم عليك إلا سخطت رحلتك بياها ، ثم اتصحت الفار واستخرجته منها ، وحملته إلى . فلما دخل زياد إلى البصرة ، سأل عن بنى ناجية ، وعن منزل المرأة فاقصم القدر ، واستخرج عبد^(١) الله منها ، فأنفذه إلى معاوية فوصل إليه يوم الجمعة ، وقد لاق نصيباً كثيراً ، ومن الهجير ما غر جسمه ، وكان معاوية يأمر بطعام فينخذ في كل جمعة لأشراف قريش ولأشراف الشام ووفود العراق ، فلم يشعر معاوية إلا وعبد الله بين يديه ، وقد ذبل وسهم وجهه ، فرفه ولم يعرفه عمرو بن العاص ، فقال معاوية : يا أبا عبد الله ، أنعرف هذا الفقي ؟ قال : لا ، قال : هذا ابن الذي كان يقول في صمّين :

أغور بيني أهله تحلاً قد حالج الحياة حتى مثلاً

• لا بد أن يخل أو يفتل •

قال عمرو : وإنه هو ! دونك الضب للضب ، فاشعب أوداجه ، ولا ترجعه إلى أهل

(١) ب : • واستخرجه •

المراق فإنهم أهل فتنة وثقاق ، وله مع ذلك هوى يُرديه ، وبطالة تنويه ، فوالذى
 نفس يده لئن أفلت من حباتك ، ليُجتوزن إليك جيشاً تكثر صواهد ، لشر يوم لك .
 فقال عبد الله وهو فى القيد : يا بن الأبر ، هلا كانت هذه الحامسة عندك يوم صفين ،
 ونحن ندهوك إلى البراز ، ونلوذ بشمائل الخليل كالأمّة السوداء والنسجة القوداء ^(١) أما
 إنه إن قتلى رجل كرم الخبرة ، حميد القدرة ^(٢) ، ليس بالجيش للكوس ، ولا
 الثلب ^(٣) للكوس . قال عمرو : دع كيت وكيت ، فقد وقعت بين تلحي لهزم ،
 فرؤوس للأعداء ، يسعطك إسقاط الكودن ^(٤) للاجم . قل عبد الله : أكثر إكثارك ،
 فإن أهلك بطراً فى الرخاء ، جهاناً فى الفناء ، هيابة عند كفاح الأعداء ، ترى أن تقى
 مهجتك ، بأن تهدى سوءتك . أنسيت يوم صفين وأنت تذهى إلى النزال ، فحميد عن القتال ،
 خوفاً أن يفرّك رجال لم أبدان شداد ، وأجته حداد ، ينهبون السرح ، ويدلون العزير .
 قال عمرو : لقد علم معاوية أى شهدت تلك للوالم ، فكنت فيها كيدرة الشوك ،
 ولقد رأت أبك فى بعض تلك للوالم تحقيق أحشاؤه ، وتنق أساؤه . قال : أما والله
 لو لقيك أبى فى ذلك للقام ، لارتدت منه فرائصك ، ولم تسلم منه مهجتك ، ولكنه
 قاتل خيرك قتل دونك .

فقال معاوية : ألا نكت لا أم لك ؟ فقال : يا بن هند ، أنقول لى هذا ؟ والله لئن
 شئت لأعرقن جبينك ، ولأقيمك وبين عينيك ونسّم يلين له أخذعاك . أبأكثر من
 للوت نخوتنى ؟ فقال معاوية : أو نكف يا بن أخى ! وأمر به إلى السجن .
 فقال عمرو : وذكر الأبيات ، فقال عبد الله : وذكر الأبيات أيضاً ، وراود :
 « فأطرق معاوية طويلاً حتى ظن أنه لن يتكلم » ، ثم قال :

(١) القوداء : الذبيلة المتعادة .

(٢) القدرة ، مثلثة الحال : القوة والجمار .

(٣) الثلب : اللب .

(٤) الكودن : البردون يوكف وبش به اليد .

أَرَى الْعَفْوَ عَنْ عَلِيٍّ قَرِيبًا وَسِيَةً إِلَى اللَّهِ فِي الْيَوْمِ الْعَبَّاسِ الْقَطَاطِرِ
وَلَسْتُ أَرَى قَتْلِي فَقَى ذَا قِرَاةٍ لَهُ نَسَبٌ فِي حَيٍّ كَعَبٍ وَعَامِرِ
بَلِ الْعَفْوِ عَنْهُ بَعْدَ مَا خَابَ قِدْحُهُ وَزَلَّتْ بِهِ إِحْدَى الْجُدُودِ الْمَوَائِرِ
وَكَانَ أَبُوهُ يَوْمَ صِفَيْنَ مُحَنَّفًا عَلِيًّا، فَأَرَدَتْهُ رِمَاحُ بُحَايِرِ

ثم قال له : أتراك فاعلا ما قال عمرو من الخروج علينا ؟ قال : لا تسأل عن عقوبات الغنائم ، لاسيما إذا أرادت جهادا في طاعة الله . قال : إذن يقتلك الله كما قتل أبائك ، قال : وَمَنْ لِي بِالشَّهَادَةِ !

قال : فأحسن معاوية جائزته ، وأخذ عليه موثقا ألا يسأله بالشام فيفسد عليه أهله .



قال نصر : وحدثنا عمرو بن شهر ، عن الهدي ، عن عبد خير الهمداني ، قال : قال هاشم بن عتبة يوم مقتله : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ رَجُلٍ صَحَّ ، فَلَا يَهْوِ لِنَفْسِكَ سَقَطَى إِذَا سَقَطَ ، فَإِنَّهُ لَا يَفْرَغُ مِنْ أَقْلٍ مِنْ شَرِّ جَزُورٍ ، حَتَّى يَفْرَغَ الْجَزَارُ مِنْ جَزَرِهَا . ثم حمل فصرع ، فمر عليه رجل وهو صريع بين القتلى ، فناداه : اقرأ على أمير المؤمنين السلام ، وقال له : بركات الله ورحمته عليك^(١) يا أمير المؤمنين ، أشدك الله إلا أصبحت وقد ربطت مقاور خيلك بأرجل القتلى ، فإِنَّ الدَّبْرَةَ تَصْبَحُ خَدَانِ مَنْ غَلَبَ عَلَى الْقَتْلِ . فَأَخْبَرَ الرَّجُلُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَا قَالَ ، فَسَارَ فِي اللَّيْلِ بِكَذَابِهِ حَتَّى جَعَلَ الْقَتْلَى خَلْفَ ظَهْرِهِ ، فَأَصْبَحَ وَالْدَّبْرَةَ لَهُ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ^(٢) .



قال نصر : وحدثنا عمرو بن شهر ، عن الهدي ، عن عبد خير ، قال : قاتل هاشم الحارث بن المنذر التَّوْحَجِيَّ ، حمل عليه بعد أن أعيأ وكل ، وقتل بيده ، فطعنه بالرمح فسقط بطنه فسقط ، وبعث إليه على عليه السلام وهو لا يعلم : أقدم بلوائك ، فقال للرسول : انظر

إلى بطنى ، فإذا هو قد انشق ، فجاء على عليه السلام حتى وقف عليه ، وحوله عصا به من
أسلم قد صرعوا معه ، وقوم من القراء ، فجزم عليه ، وقال :

جَزَى الله خيراً عَصَةَ أَسْلِيَّةَ صَبَاحَ الْوُجُوهِ صُرْعُوا حَوْلَ هَاشِمٍ
يَزِيدُ وَسَعْدَانُ وَيَشْرُ وَمُعَبَّدُ وَسَفِيَانُ ، وَابْنَا مُعَبَّدِ ذِي الْكَارِمِ
وَعُرْوَةُ لَا يَبْعُدُ نَشَاءُ وَذِكْرُهُ ^(١) إِذَا اخْتَرِطْتَ يَوْمًا خَفَافُ الصَّوَارِمِ ^(٢)

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، عن الشعبي ، عن أبي سلمة ^(٣) ، أن هاشم بن عتبة
استصرخ الناس عند النساء : ^(٤) « أَلَا مَنْ كَانَ لَهُ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ ، وَمَنْ كَانَ يَرِيدُ الْآخِرَةَ
فَلْيَقْبِلْ » . فأقبل إليه ناس كثير شدة بهم على أهل الشام مرارا ، ليس من وجه يحمل عليه
إلا صبروا له ، فقاتل قتالا شديدا ثم قال لأصحابه : لا يهولتكم ما ترون من صبرهم ، فوالله
ما ترون منهم إلا حية العرب وصبرها تحت برايتها ، لو عند مراكرها ؛ وإنهم لعل العلال ،
وإنكم لعل الحق ؛ يا قوم اصبروا وجابروا واجتمعوا ، وامشوا بنا إلى عدونا على تودة ،
رويدا ، واذكروا الله ، ولا يسلمن رجل أحياه ، ولا تكثروا الالتفات ، واصمدوا صمدهم ،
وجالهموم محتسبين ؛ حتى يحكم الله بيننا وبينهم ؛ وهو خير الحاكمين .

قال أبو سلمة : فبينا هو وعصاة من القراء يجالسون أهل الشام ، إذ طلع عليهم فتى
شاب ، وهو يقول :

أَمَا ابْنَ أَرْبَابِ مُلُوكٍ غَسَّانُ وَالْدَائِنُ الْيَوْمَ بَدْرَيْنِ عَمَّانُ ^(٥)

(١) تاء : خبره .

(٢) اختلطت : سبت ، والمخرف صعين ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(٣) صعين : « من همرون شهر » عن رجل .

(٤ - ٤) صعين : « أَلَا مَنْ كَانَ يَرِيدُ اللَّهَ وَالْآخِرَةَ فَلْيَقْبِلْ » .

(٥) صعين : « غسان » .

أبناؤنا قراؤنا بما كان^(١) أن علياً قتل ابن عفان

ثم شدة لا يتنى حتى يضرب بسيفه ، ثم جعل يلعن علياً ويشتمه ويسهب في ذمّه ، فقال له هاشم بن عتبة : يا هذا إن الكلام بدمه الخصام ، وإن لعنك سيده الأبرار ، بدمه عقاب النار . فأتى الله ، فإنك راجع إلى ربك فيسألك عن هذا للوقوف عن هذا المقال^(٢) . قال الفقي : إذا سألتني ربي قلت : قاتلت أهل العراق ، لأن صاحبهم لا يصل كما ذكر لي ، وإنهم لا يصلون ، وصاحبهم قتل خليفتنا ، وهم آذروه على قتله . فقال له هاشم : يا بني ، وما أنت وعثمان إنما قتل أصحاب محمد ؛ الذين هم أولى بالنظر في أمور المسلمين ، وإن صاحبنا كان أبداً يقوم من جمعه ، وأما قولاك : « إنه لا يصل » ، فهو أول من صلى مع رسول الله ، وأول من آمن به . وأما قولك : إن أصحابه لا يصلون ، فكل من ترى معه قراء الكتاب ، لا ينامون الليل تهجداً ، فأتى الله واخشى عقابه ، ولا يتركونك من غشك الأشقياء الضالون .

فقال الفقي : يا مهاد الله ، لقد دخل قلبي وجعل من كلامك ، وإني لأظنك صادقا صالحا ، وأظنني غطيتا آثما ، فهل لي من توبة ؟ قال : نعم ، ارجع إلى ربك وتب إليه ، فإنه يقبل التوبة ويغفر عن السيئات ، ويحب التوابين ويحب المتطهرين . فرجع الفقي إلى صفته منكسراً نادماً ، فقال له قوم من أهل الشام : خدمك العراق قال : لا ، ولكن نسعى العراق^(٣) .

قال نصر : وفي قتل هاشم وعمار تقول امرأة من أهل الشام :
لأنتم مؤاقوماً أذقوا ابن بأسير شعوباً ولم يملوكم بالخراسم .

(١) ص ١ : « أبناؤنا أقواما »

(٢) ص ١ : « وما أردت »

(٣) ص ١٠٣ ، ١٠٤

فَعَنْ قَتْلَا الْيَثْرِيَّ ابْنَ مَحْصَنٍ خَطِيئَتُكُمْ وَابْنِي بُدَيْلٌ وَهَاشِمٌ^(١)

قال نصر : أما اليثري ، فهو عمرو بن محسن الأنصاري ، وقد رثاه النجاشي شاعر

أهل العراق ، فقال :

<p>لِنَعْمَ فَتَى الْحَيَيْنِ عَمْرُو بْنُ مَحْصَنٍ إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ فِيهَا قِمَدُ الْقَتَا^(٢) لَقَدْ قُبِعَ الْأَنْصَارُ طَرًّا بِسَيْدٍ فِيَارِبٌ خَيْرٌ قَدْ أَفْدَتْ ، وَجَفَتْ وِيَارِبٌ خَظْمٌ قَدْ رَدَدَتْ بِنَهْطِهِ وَرَايَةُ مَجْدٍ قَدْ حَلَّتْ وَخَزَوَتْ حَوِيطًا عَلَى جِلِّ الْعَشِيرَةِ مَاجِدًا^(٣) طَوِيلَ عِمَادِ الْمَجْدِ رَحْبًا فِتَاوُهُ عَظِيمَ رِمَادِ النَّارِ لَمْ يَكُ فَاحِشًا وَكَلَّتْ رِيحًا يَنْفَعُ النَّاسَ سَبَبُهُ فَنَ يَكُ مَسْرُورًا يَقْتُلُ ابْنَ مَحْصَنٍ وَعُودِرَ مَسْكَبًا لَفِيهِ وَوَجْهِهِ فَإِنْ يَقْتُلُوا الْحَرَّ الْكَرِيمَ ابْنَ مَحْصَنٍ</p>	<p>إِذَا صَارَخُ الْحَيِّ لِلصَّبْحِ ثَوْبًا^(٤) يَبْزُنُ حَبَابًا سَاطِعًا مَتْنَبًا أَخَى ثَقَلِي فِي الصَّالِحَاتِ عَجْرًا مَلَأَتْ ، وَقِرْنٍ قَدْ تَرَكْتَ مَسَلًا^(٥) فَأَبْ ذَلِيلًا بِسَدِّ أَنْ كَانَ مِنْضَبًا شَهَدَتْ إِذَا انْكَسَرُ الْجَبَانُ تَهَيَّبًا وَمَا كُنْتُ فِي الْأَنْصَارِ نِيكًا مَوْثَبًا خَصِيْبًا إِذَا مَارَأَتْ الْحَيُّ أَجْدَا وَلَا قِشْلًا يَوْمَ التَّنْزَالِ مَغْلَبًا وَسَيِّفًا جُرَّازًا بِأَتِكَ الْحَدَّ مِقْضَبًا فَعَالٌ شَقِيًّا نَمَّ مَاتَ مَعْدِيًا بِصَالِحِ رَحْمًا ذَا سَنَانٍ وَلَعَلَّهَا^(٦) فَعَنْ قَتْلَا ذَا الْكَلَّاعِ وَحَوْشَبَا</p>
--	---

(١) صفين ٤٠٥

(٢) للصبح . القى سحبه الفار ، والخروب : الاستصراح .

(٣) القصد : جمع قصدة ؛ وهي القطعة .

(٤) صفين : « مصل » .

(٥) صفين : « حووطا » .

(٦) الكمل : طرف الرمح .

وإث يقتلوا ابني بُذَيْلٍ وحاشما
 ونحن تركنا خيراً في صفوفكم
 وأفلتتكم تحت الأستة مرثد^(١)
 ونحن تركنا عند مختلف لقنا
 بصقين لما ارفض عنه رجالكم^(٢)
 وطلعة من بعد الزير ولم ندع^(٣)
 ونحن أخطنا بالبحر وأهل^(٤)
 فلعن تركنا منكم القرن أعضاء
 لدى الحرب صرعى كالفخيل مُشَدَّبا
 وكان قدبما في الفرار مدرجا
 أحاكم عبيد الله لما ملحقا
 ووجه ابن عتاب تركناه مُلَفَّبا^(١)
 لضبة في الهيجا حريقا وَمَنَكْبا^(٢)
 ونحن سقيناكم سماما مقشبا^(٣)

قال نصر : وكان ابن مخض من أحلام أصحاب علي عليه السلام ، قتل في المعركة ،
 وجزع علي عليه السلام قتله .

قال : وفي قتل هاشم بن عتبة يقول أبو الطغلب عامر بن وائلة الكنانى ، وهو من
 الصحابة - وقيل إنه آخر من بقى من صحب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وشهد مع
 علي صديق ، وكان من مخلص الشيعة :

يا هاشم الخبير جُزيت الجنة قالت في الله حدوث الشنة
 والتاركى الحق وأهل الظنة أعظم بما فزت به من مئة !
 صبيرنى الدهر كائن شنة وسوف تملو حول قبرى رنة^(١)
 • من زوجة وخوابة وكنته •

(١) صديق : • عنه صفوفكم • • طلب • من القرب • وهو الحب والنصب •

(٢) العريف : النقيب دون الرئيس • والنسك : من يمازى •

(٣) اللغوب : المخلوط •

(٤) الرنة : التذبة والمويل على الميت •

قال نصر : والخوبة^(١) القرابة ، يقال : لي في بني فلان حوبة ، أي قرابي^(٢).

• • •

قال نصر : وقال رجل من عُذرة ، من أهل الشام :
 قد رأيتُ أموراً كلها تجبُّ وما رأيتُ كتاباً بصفيّاً
 لنا غدوّاً وغدوّنا كلُّنا حيٌّ كما رأيتُ الجمالَ الجملةَ الجوّاً
 خيلٌ تبولُ وأخرى في أعينها وآخرون على غيظٍ يرأّمونا
 ثم ابتذلنا سهوفاً في جاجهم وما نساقبهم من ذاك يمزّونا
 كأنهم في أكف القوم لامةً سلاسلُ البرق يبدّعن العرائننا
 ثم انصرفنا كأشلاء مقطّعة وكلّهم عند قتلام يصلّونا^(٣)

• • •

قال نصر : وقال رجل^(٤) لدى بن جهم الطائي - وكان من جهة أصحاب علي عليه السلام - يا أبا طريف ، ألم اسمك تقول يوم الدار : « والله لا يحمي فيها عناق حوثية »^(٥) وقد رأيت ما كان فيها وقد كان قتلت عينا عدي ، وقتل بنوه - فقال : أما والله لقد حبّقت في قتله العناق والتيس الأعظم^(٦).

• • •

قال نصر : وحدثنا عمرو بن شمر ، قال : بعث علي عليه السلام خيلاً ليعبسوا من معاوية مادته ، فبحث معاوية الصهاك بن قيس الفهري في خيل إلى تلك النخيل ، فأرأوها ،
 (١) ولله من أبي عبيد : « وهي عدي كل حرمة نصيب إن تركتها ، من أم أو أخت أو ابنة أو غيرها » .

(٢) صفح ٤٠٧ ، ٤٠٨

(٣) صفح ٤٠٥ ، ٤٠٦

(٤) صفح : « نصر عن عمرو بن شمر بإسناده »

(٥) الحبش : ضراط الفز ، والصالح : الأتي من ولد المر .

(٦) صفح ٤٠٨ ، ٤٠٩

وجاءت عيون علي عليه السلام فأخبروه بما كان ، فقال لأصحابه : ماترون فيا هاهنا ؟ فقال بعضهم : نرى كذا ، وقال بعضهم : نرى كذا ، فلما زاد الاختلاف ، قال علي عليه السلام : اغدوا إلى القتال ، ففاداهم إلى القتال ، فانهزمت صفوف الشام من بين يديه ذلك اليوم ، حتى فرّ عتبة بن أبي سفيان عشرين فرسخا عن موضع المعركة ، فقال النجاشي فيه من قصيدتها ولها :

لقد أمنت يا عتب الفرارا وأورثك الوغى خزيًا وعارا
فلا يحمد خضاك سوى طمر إذا أجريته أنهر أنهارا

وقال كعب بن جعيل - وهو شاعر أهل الشام - بعد رفع المصاحف ، يذكر أيام صفين ويحرض معاوية :

مماوى لا نهض بنير ^{وثيقة} فربك بسيد اليوم بالذل عارف
نركم عبيد الله بالقام ^{سنداً} بجمع نجيبا والعروق نوازف
ألا إنما تبكي الميؤن قمارس نصيحين أجلت خيله وهو واقف
بنوه وتعلوه شآيب من دم كالأح في جيب القميص اللفاف ^(١)
تبدل من أسماء أسياف وائل وأى فتى لو أخطأته المتالف
ألا إن شر الناس فى الناس كلهم بنو أسد ، إني بما قلت عارف
وفرّت نيم : سمدّها وربابها وخالعت الجعراء فيمن يخالف ^(٢)
وقد صبرت حول ابن عمك على اللوت شهباء الماكب شارف ^(٣)
فما برحوا حتى رأى الله صبرهم وحق أتيت بالأكف المصاحف

(١) الجعراء : لقب بنى النضر بن عمرو بن نعيم .

(٢) ورد هذا البيت ونائبه فى كتاب صفين منسوبين إلى أبي جهل الأسدي ، يرد بهما على كعب ابن جيل .

وقد تقدم ذكر هذه الآيات بزيادة على ما ذكرناه الآن ^(١) .

• • •

قال نصر : وهما كعب بن جُمَيْل عتبة بن أبي سفيان وهيمه بالفرار ، وكان كعب من شيعة معاوية ، لكنه هبما عتبة لمحربضا له ، فهبما عتبة جوابيا ، فقال له :

وَسُمِّيتَ كَعْبًا بِشَرِّ الْعِظَا مَ وَكَانَ أَبُوكَ يُسَمَّى الْجَعْلَ ^(٢)
وَإِنَّ مَكَانَكَ مِنْ وَائِلٍ مَكَانُ الْقُرَادِ مِنْ اسْتِ الْجَعْلِ ^(٣)

• • •

قال نصر : ثم كانت بين الفريقين الوقعة المعروفة بوقعة الخبيس ، حدثنا بها عمر ابن سعد ، عن سليمان الأحمر ، عن إبراهيم التخفي ، قال : حدثنا القمقاع بن الأبرد الطهوي ، قال : والله إني لو اتفقت فرجاً من علي عليه السلام بصفين يوم وقعة الخبيس ، وقد اتفقت مذحج وكانوا في مهينة علي عليه السلام وعك نلم وجذام والأشعريون ، وكانوا مستبصرين في قتال علي عليه السلام ، فلقد والله رأيت ذلك اليوم من قتالهم ، وسمعت من وقع السيوف على الرءوس وخطب الخيلول عوفرها في الأرض وفي القنلى ؛ ما الجبال تهتد ^(٤) ، ولا الصواعق تصمق ، بأعظم من هؤلاء في الصدور من تلك الأصوات ونظرت إلى علي عليه السلام وهو قائم ، فدنوت منه فاسمعه يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله اللهم إليك الشكوى وأنت المستعان ! ثم نهض حين قام قائم الظهيرة وهو يقول : ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين . وحمل على الناس بنفسه ، وسيفه محمّد بيده ، فلا والله ما حجز بين الناس ذلك اليوم إلا الله رب العالمين ، في قريب من ثلث الليل

(١) صفح ٤١٠ ، ٤١١

(٢) صعب : « سمي الجعل » .

(٣) صفح : ٤١٢

(٤) تهتد : تحدث صوتاً ، والحدة : الصوت .

الأول ، وقُتِلَ يومئذ أعلام العرب ، وكان في رأس علي عليه السلام ثلاثُ ضربات ، وفي وجهه ضربتان .

قال نصر : وقد قيل : إن عليا عليه السلام لم يخرج قط ، وقُتِلَ في هذا اليوم خزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين ، وقُتِلَ من أهل الشام عبد الله بن ذي الكلاع الحميري ، قُتِلَ معقل بن نهيك بن يساف الأنصاري :

بالهف نفسي ومن بشى حزارتها	إذ أفلت الفاسق الضليل منطلقاً
وأفلت الخيل عمرو وهي شاحبة	تحت المعاج تحت الركض والفتق ^(١)
وافت منية عبد الله إذ لحقت	قُب الخيل به ، أنجز بمن لحقاً
وانساب مروان في الظلما مستتراً	تحت الدجى كلما خاف الردى أرقاً

وقال مالك الأشتر :

نحن قتلنا حوشاً لما خدا قد أعلنا
وذا الكلام قبه وممهداً إذ أقدمنا
إن تقتلوا منا أبا القحطان شيوخاً مسلماً
قد قتلنا منكم سبعين كئلاً مجرمنا
أضعوا بصفين وقد لاقوا تكالاً مؤثماً

وقالت ضبيعة بنت خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين ترى أباهما رحمه الله :
عين جودي على خزيمة بالدمع قتل الأحراب يوم الفرات
قتلوا ذا الشهادتين عتوا أدرك الله منهم بالثرات
قتلوه في فتية غير عزل بسرهون الركوب في الدعوات
نصروا السيد للوقد ذا المد لي ، ودابوا بذاك حتى المات

(١) الفسق : ضرب من السج .

لعن الله مشركاً قتلوه ورماماً بالغزى والآفات^(١)

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، عن الأعشى ، قال : كتب معاوية إلى أبي أيوب خالد بن زيد الأنصارى ، صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله - وكان سيداً معظماً من سادات الأنصار ، وكان من شيعة علي عليه السلام - كتاباً ، وكتب إلى زياد بن سمية - وكان عاملاً لعلي عليه السلام على بعض فارس - كتاباً ثانياً . فأما كتابه إلى أبي أيوب فكان سطرأ واحداً : حاجيتك ! لا تنسى الشيباء أبا عذرها ولا قاتل يسكرها ، فلم يدر أبو أيوب ما هو ! قال : فأتى به علياً عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ، إن معاوية كهف للناقين ، كتب إلى بكتاب لا أدرى ما هو ! قال علي عليه السلام : فأين الكتاب ؟ فدفعه إليه ، فقرأه ، وقال : نعم ، هذا مثل ضربه لك ، يقول : لا تنسى الشيباء أبا عذرها . والشيباء المرأة البكرية اختصاها ، لا تنسى عليها الذي افترعها أبداً ، ولا تنسى قاتل يسكرها : وهو أول ولدها ، كذلك لا أسي أنا قتل حيان .

وأما الكتاب الذي كتبه إلى زياد ، فإنه كان بعيداً وتهدداً ، فقال زياد : وبلى قتل معاوية ، كهف للناقين وبقية الأحزاب ! يتهددني ويتوعدني ، وبينى وبينه ابن عم محمد ! معه سبعون ألفاً ، سيوفهم على عواتقهم ؛ يطعمونه^(٢) في جميع ما يأمرهم به ، لا يلتفت رجل منهم وراءه حتى يموت ! أما والله لو ظفرت ثم خلصت إلى ليجدني أحمر ضراً أباً بالسيف .

قال نصر : أحرر أي مولى . قلنا ادعاه معاوية حاد عريياً منافياً^(٣) .

(١) صنف ٤١٣ - ٤١٦ (٢) معين : « ومع سبعون ألفاً طوائف ، سيوفهم عند أذانهم » .
(٣) منافياً : منسوب إلى عد مناف .

قال نصر : وروى عمرو بن شير أن معاوية كتب في أسفل كتابه إلى أبي أيوب :

أبلغ لديك أبا أيوب مائة ^(١) أما وقومك مثل القتب والنفق ^(٢)
 إنما قلتم أمير المؤمنين فلا ^(٣) تزجوا المودة بينا آخر الأبد ^(٤)
 يا أيها الذي ظنوه ظالمين له ^(٥) أجتحرز أرتة صدعا على كبدى ^(٦)
 إنما قلت يميناً غير كاذبة ^(٧) لقد قلتم إسلاماً غير ذى أود ^(٨)
 لا تخيروا أنى أنسى مصيبتى ^(٩) وفي البلاد من الأنصار من أحد ^(١٠)
 قد أبدل الله منكم خير ذى كل ^(١١) واليهصبتين أهل الغوف والجند ^(١٢)
 إن العراق لنا قمع جرفرة ^(١٣) أو شعبة بزها شلو ولم يكد ^(١٤)
 واليقيم ينزلها الأبرار ، بلونها ^(١٥) أمن ، ويبيضها عرس الأسد ^(١٦)

فما قرئ الكتاب على علي بن أبي طالب السلام قال : لشد ما شغفكم معاوية يا مضر
 الأنصار أجهوا الرجل ؟ قال أبو أيوب : يا أمير المؤمنين ، إني ما أشاء أن أقول شيئاً من
 الشعر يساه به الرجال إلا قلت ، فقال : فأت إذا أنت .

فكتب أبو أيوب إلى معاوية : أما بعد ، فبك كعبت : « لا تنسى الشيباء بأعذارها ،
 ولا قاتل بكرها » ، فضربتها مثلاً بقتل عثمان ، وما نحن وقول عثمان إني الذي تربس بثمان

(١) مائة : الرسالة . والنقد : جنس صغير من النمل ، يكون بالحري .

(٢) صفي : « صدى آخر الأبد » .

(٣) صفي : « حرارة » .

(٤) الأود : الأهواج .

(٥) الجند ، بالضم : مدينة بلخ ، وفي صفي : « أهل الحق والجند » .

(٦) الفقع : البيضاء الرخوة من الكفا . والقرقرة : الأرض المنخفضة ؛ ويقال للثقل : « هو أذل

من قمع جرفرة » ، لأنه لا يجتمع على من جناه ، أو لأنه يلبس بالأرجل .

(٧) صفي : « وحوشها عريسة الأسد » .

وكتب يزيد بن أسد وأهل الشام عن نصرتهم لأنت ؛ وإن الدين قتلوه لغير الأتصار ؛
وكتب في آخر كتابه :

لا نوحسداً ابن حرب إنا فرء لا نبتى وذى البغضاء من أحد^(١)
واسموا جميعاً بنى الأحزاب كلهم لنا نريد رضاكم آخر الأبد
نحن الذين ضربنا الناس كلهم حتى استقاموا وكانوا عرصة الأود
والعام قصر كميناً إن ثبت لنا ضرب يزيد بين الروح والجسد^(٢)
أما على قانا لا نشاركه ما رفرق الآل في الدوبة الجرد^(٣)
إما نهذت مينا بعد نصرتنا دين الرسول - أناساً ساكني الجند
لا يعرفون أضل الله منهم إلا اتباعكم ، يا راعي القدر
قد بنى الحق هضماً شره ذى كلع واليحيىيون طراً بيضة البلد^(٤)
قال : فلما أتى معاوية كتاب أبي أيوب كسره^(٥)

• • •

قال نصر : وحدثنا عمرو بن شعير ، قال : حدثني مجاهد ، عن الشعبي ، عن زباد
ابن النضر الحارثي ، قال : شهدت مع علي عليه السلام صفين ، فاقتلنا مرة ثلاثة أيام ،
وثلاث ليال ؛ حتى تكسرت الرماح ، ونفذت السهام ، ثم صرنا إلى السايقة ، فاجلدهنا
بها إلى نصف الليل ؛ حتى صرنا نحن وأهل الشام في اليوم الثالث ؛ يمانق مصناً مصناً ؛
ولقد قاتلت ليلتئذ بجميع السلاح ، فلم يبق شيء من السلاح إلا قاتلت به ؛ حتى نحائنا

(١) صفين : « إنا بشر » .

(٢) صفين : « أن أقتلنا » .

(٣) الدوبة : الفأزة ؛ وى صفين : الدوبة ؛ وما سواه . والجرد : القضاء لايات فيه .

(٤) اليحيىيون : أبو محصب ؛ وعم على بن عبد

(٥) صفين ٤١٧ - ٤١٩

بالتراب ، وتكادمتنا بالأفواه ؛ حق صرنا قياما ينظر بعضنا إلى بعض ؛ ما يستطيع أحد من الفريقين أن ينهض إلى صاحبه ؛ ولا يقاتل ؛ فلما كان نصف الليل من الليلة الثالثة ، انحاز معاوية وخيله من الصف وغلب على عليه السلام على القتل ؛ فلما أصبح أقبل على أصحابه يدفنهم وقد قتل كثير منهم ، وقتل من أصحاب معاوية أكثر ، وقتل فيهم تلك الليلة ثمر بن أبرهة ^(١) .

•••

قال نصر : وحديثنا عمرو ، من جابن عن تميم ، قال : والله إني لمع على عليه السلام ؛ إذ أتاه علقمة بن زهير الأنصاري ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن عمرو بن العاص يريد يجرز في الصف بشر ، أفأسمعك أقال : نعم ، قل : إنه يقول :

إذا تمخَّزرت وما بي من شرٍّ ^(٢) ثم كسرت العين من غير عورٍ ^(٣)
أفئتنى ألوى بمهدة للسر ^(٤) فاصورة في للصنات الكبر ^(٥)
أهل ما حلت من خير وشرٍّ كالخية للصاء في أصل الخبر

فقال على : اللهم الله ؛ فإن رسولك الله ، قال علقمة : وإني يا أمير المؤمنين يريد يجرز آخر ، فأنشدك ؛ قال : قل ، قال :

أما الغلام القرمش للثوم ^(٦) الساجد الأبلج ليه كالشطن
ترضى بي الشام إلى أرض مدن ^(٧) بإفلة الكوفة ، بأهل الفتن ^(٨)

(١) صفين ٤٢٠

(٢) المخازر : تصح الخزر ؛ وهو ضيق الدين .

(٣) صفين : ثم خبات العين .

(٤) الألوى : القوى الشديدة للرأس .

(٥) للصنات : الولايع القديمة ؛ وأصل للصنات : الهامة .

(٦) بده في صفين :

• بنائها الأشراف من أهل اليمن •

أضربكم ولا أرى أحسن^(١) كفى بهذا حزناً من الحزن !

فضحك علي عليه السلام ، وقال : إنه لكادب ، وإنه بمكاني لعالم ، كما قال العربي :
« غير الوهي ترفعين وأنت مبصرة » ، ونحككم أروني مكانه ؛ فله أبوكم ؛ وخلاكم ذم !
وقال محمد بن عمرو بن العاص :

لو شهدت بجل مقامى ومشهدى ^(٢)	بصنين يوماً شاب منها النوائبُ
غداة غداً أهلى العراق كآتهم	من البحر موجٌ بلبه متراكبُ
وجشائهم عيش صفوا كأننا	سحب خريف صففته الجنائبُ
فطارت إلينا بالرماح كآتهم	وملأنا إليهم والسيوف قواضبُ
فدارت رحانا واستدارت رحاهم	مرّة نهار ماتوا للناكبُ
إذا قلت يوماً قد ونوا برزت لنا	كناكب منهم واحجت كتابُ
وقالوا نرى من رأينا أن تبايعوا	علياً ، قلنا بل نرى أن نصاريبا ^(٣)
فأبنا وقد أردوا سراً فجالنا ^(٤)	رئيس كما لا قرأ سوى الله حاسبُ
فلم أرى يوماً كان أكثر باكياً	ولا عارصاً منهم كياً بكالبُ
كان تلالى البيض فينا وفيهم	نلاؤ برق في يهامة ثاقب ^(٥)

(١) بسند في صنين :

• أحنى علياً وأين هم اللوائس •

(٢) صنين : « وموقف »

(٣) في البيت إلقاء .

(٤) صنين : « نالوا سراً وحالنا » .

(٥) في صنين : « فرد عليه محمد بن علي بن أبي طالب :

لو شهدت بجل مقامك أبصرت	مقام لثيم وسط تلك الكنايب
أنذ كراً يوماً لم يكن لك صخره	وقد ظهرت فيه عليك الجلايب
وأعطيتونا ما نهمم أذلة	على غير تقوى الله والدين وأصيب

وقال النجاشي^١ بذكر عليا عليه السلام ، وجده في الأمر :
 إني إخال^٢ علياً غير مرتدٍ حتى تقام حقوق الله والحرم
 أما ترى النقع مصوباً بمنته^٣ كأنه الصقر في عزيمته ثم^(١)
 غضبان يهرق نايبه على خلق^(٢) كما بسط النيق للصعب القطم^(٣)
 حتى يزيل ابن حرب عن إمارته كما تنكب تيس الحبله الحلم^(٤)

قال نمر : وحدثنا عمر بن سعد عن الشعبي ، قال : بلغ النجاشي أن معاوية تهدده
 فقال : ^(٥) .

يأيها الرجل البدي مداورته روي لنفسك أي الأمر تأتير
 لا تحسني كأقوام ملكتهم كلوم الأئمة لما ترشح القدر
 وما علمت بما أضمرت من خلق حق ألقى به الركنان والتذر
 إذا فشت على الأنجاد مجدهم فابسط يدك ، فإن الخير مبدّر
 واعلم بأن على الخيرين نقر شتم العرائين لا يملوهم بشر
 لا يبعد الحاسد المضبان فضلمهم ما دام بالحرز من صانها حبر
 نعم الفتى أنت إلا أن يسكا كما تفاضل ضوء الشمس والقمر

(١) في معنى : « تقع القائل في عزيمته ثم »

(٢) معنى : « نايه بمرته » .

(٣) للصعب : القمل ، والقطم : الشنش للضراب .

(٤) معنى ٢٢٠ - ٢٢٤ ، وبعد هذا البيت صك :

تَوَرَّوْهُ كَيْثُلُ الصَّقْرِ مُرْتَدِّتًا بِحَفِيقٍ مِنْ حَوْلِهِ الْعُقْبَانُ وَالرَّخْمُ

(٥) في معنى : « والله النجاشي أيضاً يمدح علياً ويهجو معاوية ، وقد بلغه أنه يتهدده » .

(٦) معنى : « الأنجاد » .

(٧) معنى : « لا يترقى الحاسد المضبان عديم » .

ولا إخالك إلا لست منها
لا تحمدن امرأة حتى تجر به
حتى أرى بفض ما يأتي وما يذر
في الصبر أو كان في أبصارهم خزر
أجمت عزماً جريماً بقافية
قال : فلما بلغ معاوية هذا الشر ، قال : ما أراه إلا قد قارب ^(١) .

• • •

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، أن عبد الله بن جعفر بن
أبي طالب ، كان يحمل على الخيل يوماً ، لحاء رجل ، قتل : هل من فارس يان
ذي الجناحين ! قال : تلك الخيل نخذ أيتها شئت ، فلما ولي قال ابن جعفر : إن نصب
أفضل الخيل تقتل ، فاعتم أن أجد أصل الخيل ، فركبه ، ثم حل على فارس قد كان دعاه
إلى البراز ، فقتله الشامي ، وحل علامان آخران من أهل العراق ؛ حتى اتبها إلى سرادق
معاوية ، فقتلا عنده ؛ وأقبلت الكتائب بعضها نحو بعض ، فاقتلت قياماً في الركب ،
لا يسمع السامع إلا وقع السيوف على البيض والذرق .

وقال عمرو بن العاص :

اجتمنا إلىنا تفكون دماءنا وما رءسهم وعز من الأمر أعسر
لعمري لئما فيه يكون حجاجنا إلى الله أذهى لو عظم وأنكر
نماورتهم خرباً بكل مهدي إذا شد وردان تقدم قنبر ^(٢)
كتائبكم طوراً تشد وتارة كتائبنا فيها القنا والستور ^(٣)

(١) يقال : سم فلان جريماً ؛ إذا ربح ما انتصر من ثيابه ثم مضى ؛ يريد أنه أجمع أمره ومضى ،
ويريد بالقافية ، الشر بقوة في الجاه ، وفي صفي : « جمت صرا » .

(٢) صعب ٤٢٤ . (٣) لمر علام على ، ووردان غلام عمرو بن العاص

(٤) السور هنا : الدروع ، والخبري صعب ٤٤٤ .

إذا ما ألقوا يوماً تدارك بينهم طعانٌ وموتٌ في العاركِ أحرُّ
وقال رجلٌ من كلبٍ مع معاويةَ يهجو أهلَ العراقِ ويوبخهم :

أقد ضلّلتُ معاشرٌ من زارِ إذا أنقادوا لثعلبِ أبي ترابٍ^(١)
وانهمهم ويهمهم علياً كواشيةَ التفضنِ بالفضابِ
ترقنُ من سفاهاها بديها ونحسِرُ باليدِ عن النقابِ
فإياكم وداهيةٌ تنوًا نسرُ إليكم تحتَ العقابِ^(٢)
إذا ساروا صمّتَ لحافهم دويًا مثلَ نصيفِ السحابِ^(٣)
يجيئون الصريحَ إذا دعاهم وقد طمن الدوارسُ بالحرابِ^(٤)
صيمهم كلُّ سابغةٍ دلاميرٍ وأبيضَ صارمٍ مثلَ الشهابِ^(٥)

وقال أبو حنيفة بن غربة الأنصاري وهو الذي عقر الجمل يوم البصرة ،
وصيه عمرو :

سائلٌ حليّةٌ معبدٍ عن دليها وحليّةٌ اللعيّ وابنُ كَلَامٍ^(٦)
واسأل عبيدَ الله عن فرساننا لنا ثوى متحدلاً بالقاعِ
واسأل معاويةَ المولى هارماً والخيلَ تمجٍ وهي جدّ سراعٍ^(٧)
ماذا يخبرُك الخمرُ منهم عنهم وعنا عند كلِّ وُطاعٍ^(٨)
إن بصدّقوك يخبرُوك بأننا أهلُ الندى قدماً يجيبو الداعي

(١) ص ١٧٧ .

(٢) الثود : الفاحية الشديدة والغاب : الرابة

(٣) صين : « إذا حشوا » .

(٤) الصريح : المنفث .

(٥) الدلام : الدرع

(٦) صين : ١٣١ .

(٧) تمج : تسرع ، وق صين : « والخيل تندو » .

(٨) الوطاع : المواقعة في الحرب .

إن بصدقك يجتبروك بأنسابا نعي الحقيقة كل يوم مصاع^(١)
ندعو إلى التقوى ونرعى أهلها برعاية للأمن لا للضياع
ونسن للأعداء كل متغيب لذن وكل مشطب قطع^(٢)
وقال عدى بن حاتم الطائي :

أقول لما أن رأيت للعمه^(٣) واجتمع الجندان وحطت البلقمة
هنا على والهدى حفاصة يارب فاحفظه ولا تصيغه
فإنه يحشاك رب فارغة ومن أراد عيبه فضميمة
• أركاده بالتي منك فارغة •

وقال النعمان بن جحلان الأسدي :
سائل بصفين عتاً عند الذوات أتم كيف كنا إلى العلياء نتدبر^(٤)
وسل غداة لقينا الأرد فاطمة يوم البصرة لما استجتمت مضر
لولا الإله وهو من أبي حسن عنهم ، وما زال منه العفو ينتظر^(٥)
لما تداعت لهم بالمصر داعية إلا الكلاب ، وإلا الشاة والحمير
كم مقصي قد تركناه بمنقرة نموى الباع عليه وهو منقر^(٦)
ما إن يؤوب ولا ترجوه أسرته إلى القيامة حتى يفتح الصور^(٧)
قال عمرو بن الحقيق الخزازي :

(١) للمصاع : المحاربة والقتال . و من سعين : • عد كل مصاع • .
(٢) سبب مشطب : فيه مشطب ؛ وهي المخطوط والخراتق .
(٣) سفين : ٤٣٣ .
(٤) البيت في سفين :
(٥) لولا الإله وقوم قد عرقهم
(٦) النفس : اللنول بمكانه ، أو المهبز عليه .
(٧) سفين : • ما إن تراه ولا ينكي ملابة • .

تقول يزيي لما أن رأت أرقى ماذا يهيجك من أصحاب صفينا^(١)
ألت في عصبة يهدي الإله بهم لا يظلمون ، ولا بغيًا يريدون !
قلت إني قتل ما كان من رشدي أخشى عواقب أمر سوف يأتينا
إدانة القوم في أمر يراد بنا فاقنني حياء وكفى ما نقولنا^(٢)
وقال حُبر بن عدي الكندي .

بلوبنا سلم لنا علينا سلم لنا للهدب القفيا^(٣)
للؤمن للرشيد الرضا واجله هادي أمة مهديا
واحفظه رب حفظك علينا لا خيل الرأي ولا غيا^(٤)
فإنه كان لنا وليا ثم ارتضيه بعده وصيا



قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، عن الشعبي ، قال : قال الأحنف بن قيس في
صفين لأصحابه : هلكت العرب أقتلوا له : وإن غلبنا يا أبا بحر ؟ قال : نعم ، قالوا : وإن
غلبنا ؟ قال : نعم ، قالوا : والله ما جلت لنا مخرجنا . فقال الأحنف : إنا إن غلبنا
لم نترك بالشام رئيسا إلا ضربنا عنقه ، وإن غلبونا لم يبرح بعدها رئيس عن معصية
الله أبدا^(٥) .



قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، عن الشعبي ، قال : ذكر معاوية يوما صفين بعد
عام الجماعة ، ونسليم الحسن عليه السلام الأمر إليه ، فقال الوليد بن عقبة : أي بني عمك

(١) صفين : ٤٣٣

(٢) القى حياء ، أي الزى الحياء .

(٣) صفين : ٤٣٤

(٤) في الأصول : « بيا » وما أثبتته من صفين

(٥) صفين : ٤٤٠

كان أفضل يوم صفين [ياوليد] ^(١)، عند وفدان الحرب، واستشاعة لظلمها حين قاتلت الرجال على الأحساب؛ قال: كلهم قد وصل كففيها عند انتشار وقعتها، حتى ابتلت أتباج الرجال من الجريال، بسكل لذن عتال، وبكل عصب قتال. فقال عهد الرحمن بن خالد بن الوليد: أما والله لقد رأيتنا يوما من الأيام، وقد غشينا لباناً في مثل الطود الأرمن، قد أثار قسلاً حال بيننا وبين الأفق، وهو على أديم شائل الغرة، — يعني علياً عليه السلام — بضربهم بسيف ضرب غراب الإبل؛ كاشراً عن نابه كشر الخضر الحرب، فقال معاوية: نعم إنه كان يقاتل من ترويه وعليه ^(٢).

قال نصر: وحدثنا عمر بن سعد، عن الشعبي، قال: أرسل علي عليه السلام إلى معاوية: أن ابرؤ إلى وأعف الفريقين من القتال، فأبى قتل صاحبة كان الأمر له. فقال عمرو: لقد أنصفك الرجل، فقال معاوية: أما أبارز للشجاع الأخرق! أظنك يا عمرو طيمت فيها. فلما لم يجب قال علي عليه السلام: وانفاه! أبطاع معاوية وأعمى! ما قاتلت أمة قط أهل يستر فيها وهي مقرة بنبيها غير هذه الأمة!

ثم إن علياً عليه السلام أمر الناس أن يحملوا على أهل الشام، فحملوا، فتقتضوا صفوف الشام، فقال عمرو: على من هذا الرجح لتطاع؟ قالوا: على ابنك عبدالله وعمره، فقال عمرو: يا وردان، قدم لوأى، فأرسل إليه معاوية: إنه ليس على ابنك بأس فلا تنقض الصف، والرم موقفك، فقال عمرو: هيهات هيهات.

الليث يحمي شبيهه ماحيؤه نعد ابنه!

ثم تقدم بالهواء، فأدركه رسول معاوية [فقال] ^(٣): إنه ليس على ابنك بأس؛ فلا تميلن،

(١) من صفين

(٢) صفين ١١٠، ١١١

(٣) من دوسج .

قال : قل له : إنك لم تلهما ، وإنى أنا ولدتها . وبلغ مقدم الصفوف ، فقال له الناس : مكانك ! إنا لا بأس على ابنك ! إنهما في مكان حريز . قال : أسمعوني أصواتهما حتى أعلم أحيانهما أم قتلان ! ونادى : ياوردان ، قدم لواءك فيد قوم ! فقدم لواءه ، فأرسل على عليه السلام إلى أهل الكوفة : أن املوا ، وإلى أهل البصرة : أن املوا . فعمل الناس من كل جانب ، فاقتلوا قتالاً شديداً ، وخرج رجل من أهل الشام ، قال : من يبارز ! فبرز إليه رجل من أهل العراق ، فاقتلا ساعة ، وضرب العراقي الشامي على رجله ، فأسقط قدمه ، فقاتل ولم يسقط إلى الأرض ، فصر به العراقي أخرى ، فأسقط يده ، فرمى الشامي سيفه إلى أهل الشام ، وقال : دونكم سيفي هذا ، فاستعملوا به على قتال عدوكم . فاشترى معاوية من أوليائه بشرة آلاف درهم^(١) .



قال نصر : وحدثنا مالك الجهلي ، عن زيد بن وهب ، أن علياً عليه السلام مر على جماعة من أهل الشام نصفيين ، منهم الوليد بن عقبة ، وهم يشتمونه ويقصّبونه^(٢) ، فأخبر بذلك ، فوقف على ناس من أصحابه ، وقال : انهدؤا إليهم ، وعليكم السكينة والوقار وسما الصالحين ، أقرب قوم من الجهل ، قندم ومؤذبهام معاوية ، وإن الناس ، وأبو الأعور [السلي]^(٣) ، وابن أبي سبيط شارب الحرام ، والمحدود^(٤) في الإسلام ! [وهم أولاء]^(٥) ، يقصّبونني ويشتمونني ، وقبل اليوم ما تلتوني وشتموني ، وأنا إذ ذاك أدعوم إلى الإسلام ، وهم يدعوني إلى عبادة الأصنام ، فالمدف ، ولا إله إلا الله ! لقد بئ ما عاداني الفاسقون ، إن هذا هو الخطب الجلل : إن فساقا كانوا عندنا غير مرضيين ، وقلّ الإسلام

(١) صفين ٢٢١ ، ٢٢٢

(٢) يقصّبونه : يبسونه .

(٣) من صفين .

(٤) صفين : المحدود .

وأهل متخوفين ، أصبحوا وقد خدعوا شطر هذه الأمة ، وأشرى بواقي قلوبهم حب الفتنة ، واستأثروا أهواءهم بالإفك والبهتان ، ونصبوا لنا الحرب ، وجذبوا في إطفاء نور الله ، والله متم نوره ولو كره الكافرون . اللهم فإنهم قد ردوا الحق فافضض جحيمهم ، وشقت كلمتهم ، وأبلسهم بخطاياهم ، فإنه لا يذل من واليت ، ولا يميز من عاديت ^(١) .

قال نصر : وكان علي عليه السلام ، إذا أراد الخطة هلل وكبر ، ثم قال : من أي يوم من اللوت أفر ؟ أيوم لم يقدر أو يوم قدرا ؟
فجعل معاوية لواءه الأعظم مع عبدالرحمن بن خالد بن الوليد ، فأمر علي عليه السلام جارية بن قدامة السدي أن يلقاه بأصحابه ، وأقبل عمرو بن العاص بعده في خيل ، ومعه لواء ثان ، فتقدم حتى خالط صفوف العراقيين ، فقال علي عليه السلام لابنه محمد : امش نحو هذا اللواء رويدا ؛ حتى إذا أشرعت الرماح في صدورهم فأمسك يدك حتى يأتيك أمرى .
ففعل - وقد كان أعد علي عليه السلام منهم مع الأشرع فلما أشرع محمد الرماح في صدور القوم ، أمر علي عليه السلام الأشرع أن يحمل فصيل ، فأزالهم عن مواضعهم ، وأصاب منهم رجالا ، واقتتل الناس قتالا شديدا ، فما صلى من أراد الصلاة إلا إيماء ، فقال النجاشي في ذلك اليوم يذكر الأشرع :

ولما رأينا اللواء المقاب ^(٢)	يقعنه الشاي الأخر
كلمت المرين حلال العجاج	وأقبل في حيله الأبر
دعونا لها الكيش كبش للعراق	وقد أضمر الفشل المسكر ^(٣)
فرد اللواء على عقيبه	وفار بخطوتها الأشر

(١) صلين ٤٤٤ ، ٤٤٥

(٢) صلين : « رأيت اللواء لواء المقاب »

(٣) صلين : « وقد خالط المسكر المسكر »

كما كان يفعل في مثلها إذا ناب منصوبٌ منكرو
فإن بدفع الله عن نفسه لحظاً العراق به الأوفر
إذا اشتد الحبرُ حلّى العراق فقد ذهب العرف والمنكر
وتلك العراق ومن عرفت كدفع تضيته للفرق^(١)

• • •

قال نصر : وحدّثنا محمد بن عتبة الكندي ، قال : حدثني شيخ من حضرموت
شاهد مع عليّ عليه السلام صفين ، قال : كان منّا رجل يعرف هانيّ بن فهدي^(٢) ، وكان
شجاعاً ، فخرج رجل من أهل الشام يدعو إلى البراز فلم يخرج إليه أحد ، فقال هانيّ :
سبحان الله ! ما يمنعكم أن يخرج منكم رجل إلى هذا الفواقه لولا أنّي موعوك ، وأنّي أجد
ضمناً شديداً نخرجت إليه . فارتدّ أحدٌ عليهم ، فقام وشدّ عليه سلاحه ليخرج ، فقال له
أصحابه : يا سبحان الله ! أنت موعوك وعكّة شديدة ، فكيف تخرج ! قال : والله
لأخرجنّ ولو قتلتني ، فخرج ؛ فما رآه عرفه ، وإذا الرجل من قومه من حضرموت ، يقال :
له بصر بن أسد الحضرمي ، فقال : يا هانيّ ، ارجع فإنّ إن يخرج إلى رجل غيرك أحبّ
إليّ ، فإنّي لا أحبّ قتلك . قال هانيّ : سبحان الله ! أرحم وقد حرحت ؛ لا والله لأقاتلنّ
اليوم حتى أقتل ، ولا أبالي فقتلني أنت أو غيرك ! ثم مشى نحوه ، وقال : اللهم في سبيلك
ونصراً لآلِين عمّ رسولك . واحتلعا ضربين ، فقتله هانيّ ، وشدّ أصحاب بصر بن أسد على
هانيّ ، فشدّ أصحاب هانيّ عليهم ، فقتلوا واخرجوا عن اثنين وثلاثين قتيلاً . ثم إنّ عليّاً
عليه السلام أرسل إلى جميع العسكر : أن احموا ، فحمل الناس كلّهم على راياتهم ، كلّ منهم

(١) القمع : السكّاة الرخوة ، والفرق : الأرض الميعة للطينة . والعرف : سبب ٤٥١ - ٤٥٢

(٢) صفين : ابن نمر .

يحمل عَلَى مَنْ يَزَاتُهُ^(١)، فُضِّعَالِدُوا بالسُّبُوف، وَمُحَمَّدُ الْحَدِيدُ؛ لَا يُسْمَعُ إِلَّا صَوْتُ ضَرْبِ
الْهَامَاتِ، كَوَقْعِ الْمَطَارِقِ عَلَى السِّنَادِينَ، وَصَوْتِ الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا، فَلَمْ يَصِلْ أَحَدٌ إِلَّا تَكْبِيرًا
عِنْدَ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ؛ حَتَّى تَفَاقَوْا، وَرَقَّ النَّاسُ، وَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِ الصَّفِّينِ، لَا يَعْلَمُ
مَنْ هُوَ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، أُحْرَجَ فِيكُمْ الْمُحَقَّقُونَ أَفْضِلُ: لَا، فَقَالَ: إِنَّهُمْ سَيُخْرِجُونِ،
الَّذِينَ أَحَلَّ مِنَ الْعَمَلِ، وَقُلُوبُهُمْ أَمْرًا مِنَ الصَّبْرِ، لَمْ تُحَاجَّ كَحُجَّةِ الْحَيَاتِ. ثُمَّ غَابَ
الرَّجُلُ فَلَمْ يَعْلَمْ مَنْ هُوَ^(٢) !



قَالَ نَصْرٌ: وَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شَمْرٍ، عَنْ قَاسِمِ بْنِ قَاسِمٍ، قَالَ: اخْتَلَطَ أَمْرُ النَّاسِ تِلْكَ الْيَوْمَ،
وَزَالَ أَهْلُ الرِّايَاتِ عَنْ مَرَكَزِهِمْ، وَتَفَرَّقَ أَصْحَابُ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْهُ، فَأَتَى رَيْمَةَ لَهْلًا؛
فَسَكَنَ فِيهِمْ، وَنَمَاطِمُ الْأَمْرِ جَدًّا، وَأَقْبَلَ عَدِيٌّ بْنُ حَتَّامٍ يَطْلُبُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَوْضِعِهِ
الَّذِي تَرَكَ فِيهِ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَطَافَ يَطْلُبُهُ، فَأَصَابَهُ بَيْنَ رِمَاحِ رَيْمَةَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛
أَمَّا إِذْ كُنْتَ حَيًّا، فَالْأَمْرُ أَمَّمٌ، مَا مَشَيْتُ إِلَيْكَ إِلَّا عَلَى قَتِيلٍ؛ وَمَا أَجَبْتَ هَذِهِ الْوَقْعَةَ لَمْ
عَمِيدًا، فَتَقَاتَلَ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ بَقِيَّةَ سِدِّ. وَأَقْبَلَ الْأَشْمَثُ يَلْمِثُ جِزْعًا،
فَلَمَّا رَأَى عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ هَلَّلَ فَكَبَّرَ، وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، خَبِلَ كَعْبِيلٌ وَرَجُلٌ
كَرَجَالٍ؛ وَلَنَا الْمُضِلُّ عَلَيْهِمْ إِلَى سَاعَتِنَا هَذِهِ، فَمَدَّ إِلَى مَكَانِكَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ؛ فَإِنَّ
النَّاسَ إِعْمًا يَطْلُبُونَكَ حَيْثُ تَرْكوكَ. وَأَرْسَلَ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ الْهَمْدَانِيَّ إِلَى عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:
إِنَّا مَشْتَعِلُونَ بِأَمْرِنَا مَعَ الْقَوْمِ، وَفِينَا فَضْلٌ، هَبْنِ أَرَدْتَ أَنْ يَمِدَّ أَحَدًا أَمْدَدْنَاهُ فَأَقْبَلَ عَلَى
عَلِيهِ السَّلَامُ عَلَى رَيْمَةَ، فَقَالَ: أَنْتُمْ دِرْعَى وَرِمَى - قَالَ: فَرَيْمَةُ تَفْخَرُ بِهَذَا السَّكَّامِ إِلَى
الْيَوْمِ - فَقَالَ عَدِيٌّ بْنُ حَتَّامٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ قَوْمًا أَيْسَتْ بِهِمْ؛ وَكُنْتَ فِي هَذِهِ الْجُلُوةِ

(١) صَفِين : « لَحْدُ النَّاسِ عَلَى رَايَاتِهِمْ كُلِّ قَوْمٍ بِجَبَاهِهِمْ »

(٢) صَفِين ١٤٧ ، ١٤٨

فيهم ، لعظيم حقهم ؛ والله إنهم لصبر عند الموت ، أشداء عند القتال . فدعا على عليه السلام بفرس رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يقال له المرتجز ، فركبه ، ثم تقدم أمام الصفوف ، ثم قال : بل البعة ، بل البعة ، تقدمت له بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الشهباء ، فركبها ، ثم تعصب بهامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت سوداء ، ثم نادى : أيها الناس ، من يشر نفسه الله يريح ، إن هذا اليوم ^(١) له ما بعده ، إن عدوك قد مته القرح كما سكم ، فانتدبوا لنصرة دين الله . فاعتذب له ما بين عشرة آلاف إلى اثني عشر ألفا ، قد وضعوا سيوفهم على مواضعهم ، فشد بهم على أهل الشام ، وهو يقول :

دبوا ديب النمل لا تقوتوا وأصيحوا في حربكم ويبتوا
حق تنالوا النار أو تموتوا أو لا فاني طالبا عصيت
قد قلتو لو جئنا لفت ليس لكم ما شتم وثبت
• بل ما يريد السحفي للبيت •

ونبهه عدو بن حاتم بطرأه ، وهو يقول :

أبسد عتار وبسد هائم وابن يذيل فارس الملاحم
نرجو البقاء ، ضل حلم الحالم لقد عصفتنا أمس بالأمم
فاليوم لا تخرج سن مديم ليس امرؤ من حفيہ سالم
وحل وحل الأشتر بمدحها في أهل العراق كافة ، فلم يبق لأهل الشام صفة إلا اعتقض ، وأحمد أهل ^(٢) العراق ما أتوا عليه حتى أفنى الأمر إلى مضرب معاوية ، وعلى عليه السلام يضرب الناس بسيفه قُدماً قُدماً ، ويقول :

(١) ج ، د : « إن هذا اليوم » .
(٢) صقن : « وأحمدوا ما أتوا عليه » .

أضربهم ولا أرى معاوية الأحزر العين العظيم الحاوية
• هوت به النار أمّ هاوية •

فدعا معاوية بفرسه لينجوه عليه ، فسا وضع رجله في الركاب توقف وتلوم قليلا ،
ثم أنشد قول عمرو بن الإطنابة :

أبت لي عفتي وأنى بلائي وأحذى الحد بالثمن الربيع
واقدامي على المكروه نفسي وضري هامة البطل للشبح
وقولي كذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات وأحيى سدأ عن عرض صحيح
بذى شطب كلون الملح صاف ونفس مآثر قلى القبيح

ثم قال : يا عمرو بن العاص ، اليوم صبر وعداً نقر ، قال : صدقت ، إنك وما أنت
فيه ، كقول القائل ^(١) :

ما عنتي وأنا جلد بابل ^(٢) والقوس فيها وتر هابل ^(٣)
نزل عن صفحتها المابل ^(٤) الموت حق والحياة باطل

ففتى معاوية رجله من الركاب ، ونزل واستصرخ بك والأشعرين ، فوقفوا دونه ،
وجالدوا عنه ، حتى كره كل من الفريقين صاحبه ، وتحاحز الناس ^(٥) .

• • •

(١) سفين : ابن أبي الأبلح ؟ وهو طسم بن ثابت بن أبي الأطلح ؟ صحابي ، ذكره ابن حجر في
الإصابة ٢ : ٢٣٥ . والرحز في اللسان ١٣ : ٥٠٦ .
(٢) في اللسان : « طب خائل » .
(٣) الصابلي : الوتر القابل .
(٤) المابل : جمع مبل ؟ وهي النمل الطويل الرئيس .
(٥) سفين ٥٥٧ - ٥٦٠ .

قال نصر : جاء رجل إلى معاوية بعد انقضاء صفتين وخلوص الأمر له ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن لي عليك حقاً ، قال : وما هو ؟ قال : حق عظيم ! قال ويحك ! ما هو ؟ قال : أتذكر يوماً قدمت فرسك لتفرّ ، وقد غشيك أبو تراب والأشتر ، فلما أردت أن تستويته وأنت على ظهره ، أمسكتُ بيدك وقلت لك : أين تذهب ! إنه لقومٌ بك أن تسمع العرب بنفوسها لك شهرين ، ولا نسمع لها بنفسك ساعة ، وأنت ابن ستين ! ومعي أن تعيش في الدنيا بعد هذه السن إذا نحت ! فلو مت في نفسك ساعة ، ثم انشدتُ شعراً لا أحفظه ثم نزلت ! فقال : ويحك ! فإنك لآمت هو ! والله ما أحلتني هذا الحل إلا أنت ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .



قال نصر : وحدثنا عمرو بن شمر ، عن الخصمي ، عن ابن عباس ، قال : تعرض عمرو بن العاص لعلّ عليه السلام يوماً من أيام صفتين ، وظنّ أنه يطعم منه في غرة فيصيبه ، فحمل عليه على عليه السلام فلما كاد أن يتخلطه أذرى نفسه عن فرسه ، ورفع ثوبه وشفر برجله ، فبذت عورته ، فصرف عليه السلام وجهه عنه ، [وارثت^(١)] ، وقام محقراً بالتراب ، هارباً على رحليه ، متعصياً بصفوفه . فقال أهل العراق : يا أمير المؤمنين : أفلت الرجل ! فقال أندرون من هو ؟ قالوا : لا ، قال : فإنه عمرو بن العاص ، تلقاني بسوءته فصرفت وجهي عنه . ورجع عمرو إلى معاوية ، فقال : ما صنعت يا أبا عبد الله ؟ فقال : لقيني على قصر عي ، قال : احده الله وعورتك ، والله إنني لأظنك لو عرفت ما أقصمت عليه ، وقال معاوية في ذلك :

ألا لله من حفوات عمرو يماني على تركي برازي

فقد لاقى أبا حسن علياً فآب الرائل مآب خازي
فلو لم يُبد عورته لطارت بمهتته قوادم أي يلزي^(١)
فإن تكن اللقية أخطائه فقد غنى بها أهل الحجاز
فغضب عمرو وقال : ما أشدّ تعظيمك [علياً]^(٢) أبا تراب في أمرى أهل^(٣) أنا لا لأرجل
لقية ابن عمه فصرعه ! أفترى السماء قاطرة فلك كما قال : لا ، ولكنها معقبة لك
خزبا^(٤) .

• • •

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، قال : لما اشتدّ الأمر ، وعظم على أهل الشام ،
قال معاوية لأخيه عتبة بن أبي سفيان : لقي الأشعث ، فإنه إن رضي رضيت العامة وكان
عتبة فصيحاً ... فخرج فنادى الأشعث ، فقال الأشعث : سلوا من هو النادى ؟ قالوا : عتبة
ابن أبي سفيان ، قال : غلام متزف ولا بد من قتانه اخرج إليه ، فقال : ما عندك يا عتبة ؟
فقال : أيتها الرجل ، إن معاوية لو كان لاقيا رجلا غير علي لقتلك ، إنك رأس أهل
العراق ، وسيّد أهل اليمن ، وقد سلف من عثان إليك ما سلف من الصهر والعمل ، ولست
كأصحابك ، أما الأشعث فقتل عثان ، وأما عدي فخرّض عليه ، وأما سعيد بن قيس فقلّد
علياً دية ، وأما شريح وزحر بن قيس فلا يرفن غير الهوى ، وإنك حامية عن أهل
العراق تكرّما ، وحاربت أهل الشام حتى ، وقد باغنا منك وملت منا ما أردت ؛ وإنا
لا ندعوك إلى ترك علي ونصرة معاوية ، ولكننا ندعوك إلى البقية التي فيها صلاحك
وصلاحنا . فحكّم الأشعث ، فقال : يا عتبة ، أما قولك : « إن معاوية لا يلقى إلا عليا » ،

(١) صفين : « به لنا يدل كل تارى »

(٢) صفين .

(٣) صفين : « هو » .

(٤) صفين ٤٦٣ ، ٤٦٤ .

فلو لقيني والله لما عظم مني ، ولا صمرتُ عنه ، وإن أحب أن أجمع بينه وبين علي فقلت .
وأما قولك : «إني رأسُ أهل العراق ، وسيدُ أهل اليمن» ؛ فإن الرأسَ للتبع والسيدَ للطاع ،
هو علي بن أبي طالب ؛ وأما ما سأل من عثمان إلى ، فوالله ما زادني صبره شرفاً ، ولا عمله
عزاً . وأما عيبك أصحابي ، فإنه لا يقر بك مني ، ولا يباعدني عنهم ؛ وأما حماماتي من أهل
العراق ؛ فمن نزل بيتنا حماء ؛ وأما البقية فلمنم بأحوجَ إليهما منا ، وسرى رأينا فيها .
فلما عاد عتبة إلى معاوية ، وأبلغه قوله قال له : لا تنفقه سدها ؛ فإن الرجل عظيم عند
نفسه ؛ وإن كان قد جَنَحَ للتلم . وشيع في أهل العراق ما قاله عتبة للأشعث وما رده
الأشعث عليه ؛ فقال النعاشي بمدحه :

يا بن قيس وحارثَ وزيدِ أنتَ والله رأسُ أهلِ العراقِ
أنتَ والله حية تنفخ السهمَ قليلٌ منها غناء الرائي^(١)
أنت كالشمس والرجالُ مجومٌ لا يرى ضوءها مع الإشرافِ
قد سميتَ العراقَ بالأسلِ السَّـمِ وبالبيض كالبروق الرقاقِ
وسَّعرتَ القتالَ في الشامِ بالهوى للواضي وبالزجاج المذاقِ
لا ترى غير أذرعٍ وأكفٍ ورموسٍ بهاها أفلاقِ^(٢)
كُلِّما قلتَ قد نصرمتَ الهوى جاء سقيتهم بكأسٍ ودهاقِ
قد قضيتَ الذي عليك من الحقِّ وسارتَ به القيلاس للناقِ^(٣)
أنتَ حلوة لمن تقرب بالوَدِّ ولشاشين مرَّ المذاقِ
بأسما ظنة ابنِ هندٍ ومنْ منْلكَ في الناس عند ضيقِ الخفاقِ

(١) صعين : قليل فيها .

(٢) أفلاق : جمع فلق ؛ وهو المكسور .

(٣) لناق : النياق السينة ، جمع منقبة .

قال نصر : فقال معاوية لما ينس من حبة الأشمث لعمر بن العاص : إن رأس
الناس بعد عليّ هو عبد الله بن العباس ، فلو كتبت إليه كتاباً لملك ترقته ، ولعله لو قال
شيئاً لم يخرج عليّ منه ؛ وقد أكلتنا الحرب ، ولا أرانا نصل إلى العراق إلا بهلاك أهل
الشام فقال عمرو : إن ابن عباس لا يُخدع ؛ ولو طمعت فيه لطمعت في عليّ ، قال معاوية :
على ذلك فاكتب ، فكتب عمرو إليه :

أما بعد ، فإن الذي نحن فيه وأنتم ابس بأزّل أمر قاده البلاء ؛ وأنت رأس هذا
الجمع بعد عليّ ، فانظر فيما بقي ، ودع ماضى ، فواقع ما أجت هذه الحرب لنا وللكم حياة
ولا صبرا ، فاعلم أن الشام لا تهلك إلا بهلاك العراق ، وأن العراق لا يهلك إلا بهلاك الشام ؛
فما خير ما بعد هلاك أعدادنا منكم ، وما خيركم بعد هلاك أعدادكم منا ؛ ولنا قول :
ليت الحرب عادت ؛ ولكننا قول : ليتنا لم تكن ؛ وإن فيما من يكره اللقاء ، كأن
فيكم من يكرهه ؛ وإما هو أمر مطاع ، ومأمور مطيع ؛ أو مؤتمن مشاور وهو أنت ،
فأما الأشتر العليّ الطيع ، القاسي القلب ؛ فليس بأهل أن يدعى في الشورى ولا في خواص
أهل النعوى . وكتب في أسفل الكتاب :

مد الإله سوى رفيق ابن عباس	طال البلاء وما يرجي له آسى
لأنّس خطك إن انطامر الناس	قولاً قول من يرجو وودته ^(١) :
لظفر ليس لها راق ولا آسى	انظر فدّى لك نفس قبل قاصم
طعم الحياة مع الدخيل القاسي	إن العراق وأهل الشام لن يحدوا
أعظم بذلك من غير قلى الناس	يا ابن الذي زمزم سقيا الحبيج له
والله يعلم ما بالسلم من باس	إني أرى الخير في سلم الشام لكم
إلا الجهول ومأمور كي كاياس	فيها التقى وأمر ليس يحملها

فما وصل الكتاب إلى ابن عباس، مرضه على أمير المؤمنين عليه السلام، فضحك، وقال: قاتل الله ابن العاص! ما أغراء بك يا عبد الله. أجيء وليردّ إليه شعره الفضل ابن العباس، فإنه شاعر؛ فكتب ابن عباس إلى عمرو:

أما بعد، فإنّي لأعلم أحداً من العرب أقلّ حياءً منك، إنه مالّ بك معاوية إلى الهوى فبعت دينك بالتمنّ البسر، ثم خبطت الناس في عشوة؛ طمعا في الدنيا فأعظمتها إعظام أهل الدنيا، ثم ترم أنك تنزّه عنها تنزّه أهل الورع، فإن كنت صادقا فارجع إلى بيتك، ودع الطمع في مصر والركون إلى الدنيا العانية، واعلم أن هذه الحرب ما معارية فيها كمل؛ بدأها على بلخ، وانتهى فيها إلى العنبر، وبدأها معاوية بالبنى وانتهى فيها إلى السرف؛ وليس أهل العراق فيها كأهل الشام؛ بايع أهل العراق عليها، وهو خير منهم، وبايع أهل الشام بطوية وم حرم منه، ولست أبا وأنت فيها سواء، أردت الله وأردت مصر، وقد عرفت الشئ الذي باعدك مني، ولا أعرف الشئ الذي قربك من معاوية، فإن تردّ شرّاً لانسك به، وإث تردّ خيراً لانسقنا إليه. والسلام.

ثم دعا أخاه الفضل، قال: يا بن أمّ، أجب عمراً، فقال الفضل:

يا عمرو حسبك من مَكْرٍ وَوَسْوَاسٍ	فاذهب فليس لداة الجهل من آسٍ
إلا توار طمعن في نموركُم	يُنْجِي النفوس وَيَشْفِي نخوة الراسِ
أما على فإن الله قَسَمُ	بغليل ذي شرفٍ عالٍ على الناسِ
إن لعلوا الحرب نعلها غبسة	أو تبسوها فلانا غير أنكاس ^(١)

(١) جده في معنى:

قَدْ كَانَ مِنَّا وَمِنْكُمْ فِي مَجَاجِنَا مالا يردّ، وكلّ مُرْضَةٍ الْبَاسِ

قَتَلَ الْعِرَاقُ بَقِيَّةَ الشَّامِ ذَاهِبَةً هَذَا يَهَذَا ، وَمَا بِالْحَقِّ مِنْ بَاسٍ ^(١)
 ثُمَّ مَرَضَ الشَّعْرَ وَالْكِتَابَ عَلَى عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : لَا أَرَاهُ يُجِيبُكَ بِمَدْعَا أَبَدًا
 بِشَيْءٍ إِنْ كَانَ يَمُوتُ ؛ وَإِنْ هَادَ عُدَّتْ ^(٢) عَلَيْهِ . فَلَمَّا انْتَهَى الْكِتَابَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ
 عَرَّضَهُ عَلَى مَعَاوِيَةَ ، فَقَالَ : إِنْ قَتَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتْلَ عَلَى قَلْبٍ وَاحِدٍ ، وَكَلَاهَا وَلَدُ
 عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ خَشِنَ فَلَقَدْ لَانَ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ تَنَزَّهَ أَوْ عَظُمَ صَاحِبُهُ ، فَلَقَدْ
 قَارِبَ وَجَنَحَ إِلَى السَّلَامِ .

قَالَ نَصْرٌ : وَقَالَ مَعَاوِيَةُ لَا كُتِبَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ كِتَابًا أَسْخَرُ فِيهِ عَقْلَهُ ، وَأَنْظُرَ
 حَافِي نَفْسِهِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكُمْ مَشَرْتُمْ بَنِي هَاشِمٍ لَسْتُمْ إِلَى أَحَدٍ أَسْرَعَ بِالسَّاءَةِ مِنْكُمْ إِلَى أَنْصَارِ
 ابْنِ عَفَّانٍ ؛ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ قَتَلْتُمْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ ؛ لَطَمْتُمْ بِدُمِهِ ، وَاسْتَعْظَلْتُمُهَا مَا بِيْلَ مَدَّةٍ ، فَإِنْ
 كَانَ ذَلِكَ مُنَافَةً لِبَنِي أُمَيَّةٍ فِي السُّلْطَانِ ، فَقَدْ رَزَيْتُمَا هَدْيَ وَتَيْمٍ قَلَمٍ تَنَافُسُومَ ، وَأَخْطَرْتُمَا
 لَمْ الطَّاعَةَ ، وَقَدْ وَقَعَ مِنَ الْأَمْرِ مَا نَرَى ، وَآكَلْتُمَا هَذِهِ الْحُرُوبُ بَعْضُهَا بَعْضًا ؛ حَتَّى
 اسْتَوَيْنَا فِيهَا ، فَمَا يَطْلِمُكُمْ فِينَا بِطِلْمِنَا فِيكُمْ ، وَمَا يُوْثِقُنَا مِنْكُمْ بِوَيْثِقِنَا مِنْنَا ؛ وَلَقَدْ رَجَوْنَا
 خَيْرَ مَا كَانَ ، وَخَشِينَا دُونَ مَا وَقَعَ ، وَلَسْتُ مَلَاقِيَا الْيَوْمَ بِأَحَدٍ مِنْ حَذَا أَمْسٍ ، وَلَا غَدَاً
 بِأَحَدٍ مِنْ حَذَا الْيَوْمِ ، وَقَدْ قَتَلْنَا بِمَا فِي أَيْدِينَا مِنْ مُلْكِ الشَّامِ ، فَاقْتَمَعُوا بِمَا فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ
 مُلْكِ الْعِرَاقِ ، وَأَجُتُوا عَلَى قَرِيْشٍ ، فَلِئِمَّا بَقِيَ مِنْ رِجَالِهَا سِتَّةٌ : رِجْلَانِ بِالشَّامِ ، وَرِجْلَانِ
 بِالْعِرَاقِ ، وَرِجْلَانِ بِالْحِجَازِ ، فَأَمَّا اللَّذَانِ بِالشَّامِ فَأَنَا وَعَمْرُو ، وَأَمَّا اللَّذَانِ بِالْعِرَاقِ فَأَنْتَ

(١) بَعْدَ لِي سَلْبِي :

لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي مَصْرِ لَقَدْ جَلَبَتْ شَرًّا وَحَظْلًا مِنْهَا حُسْوَةُ الْكَأْسِ
 بِأَعْمَرٍ إِنَّكَ هَارٍ مِنْ مَعَارِمِهَا - وَالرَّاقِصَاتِ - وَمِنْ يَوْمِ الْجَزَا كَأْسٍ

(٢) سَلْبِي : دُخُودُ إِلَيْهِ .

وعلى ، وأما اللذان بالحجاز ، فحمد وابن عمر ؛ فأتان من السنة ناصبان لك ، واثمان
واثمان فيك ، وأنت رأس هذا الجمع ؛ ولو بايع لك الناس بعد عثمان كفا إليك أسرع
مينا إلى علي ^(١) .

فلما وصل الكتاب إلى ابن عباس أسخطه ، وقال : حتى متى يخطب ابن هذيل
إلى علي ! وحتى متى أجمع على ما في نفسي ! وكتب إليه :

أما بعد [فقد] ^(٢) أتاني كتابك ، وقرأته . فأما ما ذكرت من مرعيتنا إليك
بالمساءة إلى أنصار ابن عباس ، وكرامتنا لسلطان بني أمية ، فلمعري لقد أدركت في عثمان
حاجتك حين استنصرتك فلم تنصره ؛ حتى صرت إلى ما صرت إليه . ويبى وبينك في
ذلك ابن عمك وأخو عثمان ، وهو الوليد بن عتبة . وأما طلعة والزبير ، فإنهما أجلبا عليه
وضيقا خنقه ، ثم خربا بنقضان البنية ، وبطلان الملك ، فقاتلها على السكك ، كما
قاتلك على البنى . وأما قولك : إنه لم يبق من قريش غير سنة ، فما أكثر رجالها ،
وأحسن بقوتها ! وقد قاتلك من خيارها من قاتلك ، ولم يخذلها إلا من خذلك . وأما
إغزوكم إيانا بعدى وتيمم ، فإن أبا بكر وعمر خير من عثمان ، كما أن عثمان خير منك ، وقد بقي
لك مينا ما ينسبك مافيه ، ونحاف ما بعده . وأما قولك : لو بايع الناس لي لاستقاموا ؛ فقد
بايع الناس عليا وهو خير مني فلم يستقيموا له . وما أنت والخلافة بالمعاوية وإنما
أنت طليق وابن طليق ! والخلافة للمهاجرين الأولين ؛ وليس الطلقاء منها في
شيء ! والسلام .

فلما وصل الكتاب إلى معاوية ، قال : هذا عمل بنفسي ، لا أكتب والله إليه كتابا
سنة كاملة . وقال :

(١) بعدها في صفين : « في كلام كثير كتب إليه » .

(٢) من صعب .

دعوت ابن عباس إلى جل حظه وكان لمرأأ أهدى إليه رسائل
فأخلف ظني والحوادث بجة وما زاد أن أغلى عليه مراجلي
فقل لابن عباس : أراك غموقاً بجهلك حلي ، إني غير غافل
فأبرق وأرعد ما استطعت فإني إليك بما يشجيك سبط الأامل^(١)

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، قال : عقد معاوية يوماً من أيام صفين الرئاسة على
اليمين من قريش ، قصد بذلك إكرامهم ورفع منازلهم ؛ منهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب ،
وعبد وحمزة ابنا أبي سفيان ، ونسار بن أبي أرطاة ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ،
وذلك في الوقتات الأولى من صفين ، فتم ذلك أهل اليمين ، وأرادوا ألا يأمر عليهم
أحدٌ إلا منهم . فقام إليه رجل من كندة ، يقال له عبد الله بن الحارث السكوني ،
قال : أيها الأمير ، إني قد قلت شيئاً فتمعه ، وضعه مني على النصيحة ، قال : هات ،
فأنشده :

معاوي أحييت فينا الإحن وأحدثت بالشام ما لم يكن
هفت لبسراً وأصعابه وما الناس حولك إلا اليمين
فلا تخلفن بنا غمونا كاشيب بالماء صفو اليمين^(٢)
وإلا فدعنا قلى حالنا فإنا وإنا إذا لم نهن
ستم إن جاش بحر العراق وأبدى نواجذه في الفتن
وشد على بأصعابه^(٣) ونفسك إذ ذاك عندنا قن

(١) صفين : د حد .

(٢) صفين ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٣) صفين : د حصن اليمين .

(٤) صفين : د على وأصعابه .

بأنا شعارك دون الدُّنْيَا وأنا الرِّيحُ وأنا الجَنُّ
وأنا السيوفُ ، وأنا الخوفُ وأنا الدُّرُوعُ ، وأنا اللِّجَنُ

قال : فبكي لها معاوية ، ونظر إلى وجوه أهل اليمن ، فقال : أعن رضاكم يقول
ما قال ؟ قالوا : لا مرحباً بما قال ؛ إنما الأمرُ إليك فاصنع ما أحببت . فقال معاوية : إنما
خلطتُ بكم أهلَ ثَقِيٍّ ، ومن كان لي فهو لكم ؛ ومن كان لكم فهو لي . فرضى القومُ
وسكتوا ، فلما بلغ أهلَ الكوفة مقالَ عبيد الله بن الحارث لمعاوية [فيمن عقد له من رؤوس
أهل الشام]^(١) ، قام الأعور الشقي إلى علي عليه السلام ؛ فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إنا
لا نقول لك كما قال صاحب أهل الشام لمعاوية ، ولكن نقول : زاد الله في سرورك^(٢)
وهذا ! نظرت بنور الله ، فقدمت رجلاً ، وأخرت رجلاً . عليك أن تقول ،
وعليها أن تفعل . أنت الإمام ، فإن هلكتَ فهمتَ أن من بعدك . يني حسنا وحسبنا
عليهما السلام . وقد قلتُ شيئاً فاصمه ، قال : هات ، فأشده :

أيا حين أنت شمسُ النهارِ وهذانِ في الحادثاتِ القفرِ
وأنت وهذانِ حتى للسماتِ بمنزلةِ الشجرِ بعدَ البصرِ
وأنتم أناسٌ لكم سوزةٌ تحصرُ عنها أكفَ البشرِ
يخبرُنا الناسُ من فصلكم وصلكم اليومَ فوقَ الظُّلُمِ
عقدتِ أهويةً أولى نَجْدَةٍ من أهلِ الحياءِ وأهلِ الخطرِ^(٣)
مسابيحُ بالموتِ عندَ اللقاءِ مِنَّا وإخواننا من مُضَرِ
ومن حتى ذى بَئِنَ جِلَّةٍ يقيمون في النَّائِبَاتِ الصَّغَرِ
فكلُّ بَئِرٍ في قومِهِ ومن قال لا ، فبغيرِ الجَفرِ

(١) من صفين .

(٢) صفين : زاد الله في سرورك وهذا ،

(٣) صفين ١٨٣ ، ١٨٤

ونحن القوارس يوم الزيد وطلحة إذ قيل أودى خدر
ضربهم قبل نصف النهار إلى الليل حتى قضيتا الوطر
ولم يأخذ الضرب إلا للرؤوس ولم يأخذ الطعن إلا الثغرة
فنعن أوثسك في أمنا ونحن كذلك فيما غر
قال : فلم يبق أحد من الرؤساء إلا وأهدى إلى الشق ، [أو أتمه] .

• • •

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، قال : لما تناظرت الأمور على معاوية قبل قتل
عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، دعا عمرو بن العاص ، وبسر بن أبي أرطاة ، وصبيد الله
ابن عمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فقال لهم : إني قد غنيت مقام رجال
من أصحاب علي ، منهم سعيد بن قيس المزداني في قومه ، والأشتر في قومه ، والبرقي قال ،
وعدي بن حاتم ، وقيس بن سعد في الأنصار ، وقد علمت أن يماخيتكم وقتلكم بأنفسها
أبائكم كثيرة ، حتى لقد استعصت لكم ، وأتم هذتهم من قريش ، وأنا أحب أن يعلم
الناس أنكم أهل غناء ، وقد عبات لكل رجل منهم رجلاً منكم ، فاجعلوا ذلك إلى ،
قالوا : ذاك إليك ، قال : فأنا أكنيكم غداً سعيد بن قيس وقومه ، وأنت يا عمرو
للبرقي قال أحمور بن زهرة ، وأنت يا بسر لقبس بن سعيد ، وأنت يا عبيد الله للأشتر ،
وأنت يا عبد الرحمن لأحمور طيئ - بني عدي بن حاتم - وقد جعلتها نوباً في خمسة
أيام ، لكل رجل منكم يوم ، فسكونوا على أئنة الخليل ، قالوا : نعم ، فأصبح معاوية
في غداه ، فلم يلبث فارساً إلا حشده ، ثم قصد همدان بنفسه ، وارتجز فقال :

لن تمنع الحرمة بعد العلم بين قتيل وجريح دام^(١)
سأملك العراق بالشام أسى ابن عفان مدى الأيام

(١) قبله بن سجين :

لا عيش إلا فلق فيحفر الحام من أرحب وشاكر وشام

فطن في أعراض الخليل ملياً . ثم إن همدان تنادى بشعارها ، وألهم سعيد بن قيس
فرسه على معاوية ، واشتد القتال حتى حجز بينهم الليل ، فهمدان تذكر أن سعيداً كاد
يقتنيه ؛ إلا أنه فاته ركضاً ، وقال سعيد في ذلك :

يا لَفَ قَيْسٍ فَاتِيَّ مَعَاوِيَةَ فوق طَيْرٍ كَالْعُقَابِ هَاوِيَةَ

• والرائضات لا يسودُ ثانية ^(١) •

قال نصر : وانصرف معاوية ذلك اليوم ، ولم يصنع شيئاً ، وغدا عمرو بن العاص في
اليوم الثاني في حُجاة الخليل ، قصد للرقال ، ومع للرقال لواء على حمله السلام الأعظم في
حُجاة الناس ، [وكان عمرو من فرسان قريش ^(٢)] ، فارتجز عمرو ، فقال :

لَا عَيْشَ إِنْ لَمْ أَلْقَ يَوْمًا هَانِيًا ذَاكَ الَّذِي جَشَمَنِي الْجَاهِلِيَا ^(٣)

ذَاكَ الَّذِي بَشَمَ مِرْضِي ظَالِيًا ذَاكَ الَّذِي إِنْ يَنْتَجُ مَتَى مَالِيَا

• يَكُنْ شَجِي حَقَّ الْمَاتِ لَا زِمَا •

فطن في أعراض الخليل مُزِيداً ، وحل للرقال عليه ، وارتجز فقال :

لَا عَيْشَ إِنْ لَمْ أَلْقَ يَوْمًا تَحْرَا ذَاكَ الَّذِي أَحْدَثَ فِينَا التَّغْدَرَا

أَوْ يَبْدُلَ اللَّهُ بِأَمْرِ أَمْرًا ^(٤) لَا تَجْزِي بِأَهْضُ حَبْرًا حَبْرًا

حَبْرًا هَذَا ذَبَكَ وَطَعْنَا شَرَرًا ^(٥) بَالَيْتَ مَا نَجِي بِكَوْنِ الْقَبْرَا

(١) والرقيس : ضرب من سم الإبل ، ويطعمه في صفيين :

إِلَّا عَلَى ذَاتِ خَصِيلٍ طَارِيَةِ إِنْ يَكُ الْيَوْمَ فَكُنِي طَالِيَةِ

(٢) من صفيين .

(٣) يمدح في صفيين :

• ذَاكَ الَّذِي أَقَامَ لِي الْمَأْتِمَا •

(٤) صفيين : أو يحدث الله لأمر أمراً .

(٥) هذا ذبك ، أي هذا بيد هذا ، يمدح طاعاً بيد طاع .

فطامن هرا حتى رجع ، وانصرف الفريقان بعد شدة القتال ، ولم يسر معاوية
 ذلك ، وغداً بسر بن أبي أرطاة في اليوم الثالث في حاة الخيل ، فلقى قيس بن سعد
 ابن عباد في كفة الأنصار ، فاشتدت الحرب بينهما ، وبرز قيس كأنه فتيق مفرم ،
 وهو يقول :

أنا ابنُ سعدٍ زانهُ عبادةُ والخزرجيون كاةُ سادةُ
 ليس فرارى في الموضعِ عبادةُ إنَّ الفرارَ لفتى قيلادةُ
 ياربَّ أنتَ لقيَ الشهادةُ فالقتلُ خيرٌ من عناقِ غادةُ
 • حقٌ متى تثنى لي الوِسادةُ •

وطامن خيل بسر ، وبرز بسر قارنهم وقال :

أنا ابنُ أرطاةَ العظيمِ النذرِ مُردَّةٌ في غالبٍ وفيرِ
 ليس الفرارُ من طباعِ بسرٍ إنَّ أرجعَ اليومَ بنسِرٍ وترِ
 وقد قضيتُ في الملوِّ لنزيرِ ياليتَ شعري كم بقي من همرى !

وطامن بسر قيسا ، وبضربه قيس بالسيف ، فردّه على عقبيه ، ورجع القوم جميعا ،
 وقيس الفضل ، وتقدّم عبيد الله بن عمر بن الخطاب في اليوم الرابع ؛ لم يترك فارساً
 مذكورا إلا جمعه ؛ واستكثر ما استطاع ، فقاتل له معاوية ؛ إنك اليوم تلقى أضي أهل
 المراق ، فافرق واتمد ، فلقية الأشتر أمام الخيل مُزهداً - وكان الأشتر إذا أراد القتال
 لأزبد - وهو يقول :

ياربَّ قيِّص لي سيوفَ الكفرةِ واجمل وفاني بأحسفِ الفجرةِ
 فالقتلُ خيرٌ من ثيابِ الحيرةِ لا تطلُ الدنيا جهما وبرّةِ
 • ولا بوماً في ثوابِ البرّةِ •

وشدّ أهل الخيل خيل الشام ، فردّها . فاصعباً عبيد الله وبرز أمام الخيل - وكان فارساً شجاعاً ، وقال :

أنتى ابن عفان وأرجو ربى ذاك الذى يخرجنى من ذنى
 ذاك الذى يكشف عنى كرى إن ابن عفان عظيم الخطير
 يابى له حتى بكل قلبي إلا طماني دونه وضرى
 • حتى لى أنوبه حتى حتى •

فحمل عليه الأشر ، وطمعه واشتد الأمر ، وانصرف القوم ، وللأشر الفصل . فتمّ ذلك معاوية ، وغدا عبد الرحمن بن خالد في اليوم الخامس ، وكان رجاء معاوية أن يبال حاجته ، فتواء بالخيل والسلاح ، وكان معاوية يمدّه ولها ، فلقبه عدى بن حاتم في كناه مذحج وقضاة ، فبرز عبد الرحمن أمام الخيل ، وقال :

قل لعدى ذهب الوحيد أنا ابن سوف الله لا مزيد
 وخالد يزيدك الوليد ذاك الذى قيل له الوحيد^(١)

ثم حمل فطمع الناس ، فقصده عدى بن حاتم ، وسدّد إليه الرمح ، وقال :

أرجو إلى وأخاف ذنى ولست أرجو غير عفو ربى
 يا بن الوليد بنضكم فى قلبي كالتضب بل فوق قبان التضب

فلما قاد أن يخالطه بالرمح ، توارى عبد الرحمن في المتعاج ، واستقر بأسنه أصحابه واخطلت القوم ، ثم تمحجزوا ، ورجع عبد الرحمن مقهوراً ، وانكسر معاوية ؛ وبلغ أيمن بن خزيمة ما لى معاوية وأصحابه ، فشميت بهم - وكان ناسكاً من أنسك أهل الشام وكان معتزلاً للعرب في ناحية عنها ، فقال :

(١) مثنى : « ذاك الذى هو فبك الوحيد » .

معاويةَ إنَّ الأمرَ لله وحدهُ وإنَّك لا تستطيعُ ضراً ولا نفعاً
عبأتَ رجالاً من قُرَيْشٍ لمُصْتَبَةٍ بما تَنِيْدُ لا تستطيعُ لها دَفْعاً
فكيفِ رأيتَ الأمرَ إذ جدَّ جدُّه لقد زادك الأمرُ الذي جمعه جدُّعا
نَبِيُّ قَيْسٍ أو عديّ بن حاتم والأشترُ، والنَّاسُ أَعْمَارُكُ الْجُدْعَا (١)
وتجمَعُ لُلمرقالِ همراً وإنه لَيْتَ لَقِي من دون غايته ضَبْحاً
وإنَّ سعيداً إذ برزتَ لرحمه لعارسُ همدانَ الذي يشعبُ الصَّدْعَا
مِلِّيَّ بضربِ الدارعينِ بسيفه إذا الخيلُ أبدتْ من سنايها قَهْماً
رجعتَ فلم تظفُرْ بشيءٍ تُرْبِدُهُ سوى فرسٍ أعيت وأبت بها ظِلْمَا
قد هممَ فلا والله لا نستطيعهم بحامرةٍ ؛ فاعمل لغيرهم خَدْعَا

قال : وإن معاوية أظهر لعمرو شجاعاً ، وجعل يقرعه ويوتنه ، وقال : لقد أصفقتكم ؛
لذا قيت سعيد بن قيس في همدان ، وفرزتم . وإنك لجهان يا عمرو ! غضب عمرو ، وقال :
فهلأ برزت إلى عليّ إذ دعاك إن كنت شجاعاً كما تزعم ! وقال :

نسير إلى ابنِ ذي يزنٍ سعيدٍ ونترك في المعجاجة مَنْ دَعَا كَا
فهل لك في أبي حسنٍ عليّ لعلَّ الله يُمكنُ مِنْ قضا كَا
دعاك إلى البرازِ فلم تجبهُ ولو نالته تربتُ يَدَا كَا
وكنت أحمى ، إذ ناداك عنها وكان حكوته عنها مُنَا كَا
غاب الكباشُ قد طعنت رِجَاهُ بدجْدِيهِ وما طعنت رِجَا كَا
فما أنصفتَ محبَّك يابنَ هندٍ أنفرقه وتنضب مَنْ كفا كَا
فلا والله ما أضمرتُ خبيراً ولا أظهرتُ لي إلّا هوا كَا

(١) الأعمار : جمع عمر ، وهو من لا تجربة له ، ولجوع : جمع أجدع ، وهو طيسر الغناء .

قال : وإن القريشيين استحيوا ما صنعوا ، وشيت بهم الجبانة من أهل الشام ، فقال معاوية : يا معشر قريش ؛ والله لقد قرّبكم لقاء القوم إلى الفتح ؛ ولكن لا مروة لأمر الله ؛ ويمّ تستحيون ! إنما لقيتم كهش العراق ، فقتلتم منهم وقتلوا منكم ، ومالككم على من حجة . لقد عبأت نفسي لستدم وشجاعهم سميد بن قيس . فاقطعوا عن معاوية أياما ، فقال معاوية [في ذلك] (١) :

لعمري لقد أنصفتُ والنصف عاذني وعابن طعنا في المعاج للمابن
ولولا رجائي أن تتوبوا بُهزتي (٢) وإن تسيلوا عارا وعتة الكفائن
لناديت للهيجسا رجالا سواكم ولكما تحمي للوك البطان
أتلرون من لافتم ، قل جيشكم ؛ لقيتم ليونا أصعرتها المرائن (٣)
لقيتم مناديد العراق ومن بهم إذا جاشت الهيجلة تحمي العظامن
وما كان منكم فارس دون فارس ولكي ما قدر الله كائن
فلما سمع القوم ما قاله معاوية ، أتوا فاعتذروا إليه ، واستقاموا إليه على ما يحب (٤) .



قال نصر : وحدثنا عمرو بن شمر ، قال : لما اشقت القتال وعظم الخطب ، أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص : أن قدّم عكا والأشعرين إلى من يراؤهم . فبعث عمرو إليه أن يراؤ عكرا همدان (٥) . فبعث إليه معاوية : أن قدّم عكا ، فأقام عمرو ، فقال : يا معشر عك ، إن عليا قد عرف أنكم حي أهل الشام ، فمبا لكم حي أهل العراق همدان ،

(١) من صفين

(٢) صلين : أن تتوبوا

(٣) أصعرتها : أبرزتها . والمرائن : جمع مرائن أو مكس الأسد .

(٤) صفين ١٨٢ - ١٩٢

(٥) صفين : أن همدان يراؤ عك .

فاصبروا وهبوا إلى جاجكم ساعة من النهار ؛ فقد باع الحق مقطعه . فقال ابن مسروق
العكي : أمهلني حتى آتي معاوية ، فأتاه فقال : يا معاوية ، اجعل لنا فريضة ألفي رجل
في ألفين ألفين ، ومن هلك فابن عمه مكانه ؛ لنقر اليوم عينك . فقال : لك ذلك ، فرجع
ابن مسروق إلى أصحابه ، فأخبرهم الخبر ، فقالت عك : نحن همدان ، ثم تقدمت عك ،
ونادى سعيد بن قيس : يا همدان ، أن تقدموا ^(١) فشدت همدان على عك رجالة ،
فأخذت السيوف أرجل عك ، فنادى ابن مسروق :

• يا عك برزكا كبيرك الكمل •

فبركوا تحت الحيف ، فشجرتهم ^(٢) همدان بالرماح ، وهضم شيخ من همدان ،
وهو يقول :

بالبكيل نلّمها وحاشد ^(٣) فلي فداكم طاعتوا وجالِدُوا
حتى نخرتكم القماحيد ^(٤) وأرجل يتبعها سواعدُ
• بذاك أوصى جدكم والوالد •

وقام رجل من عك ، فارتجز فقال :

تدعون همدان ومدعو مكا بركوا الرجال يا عك بركا
إن خدّم القوم فركا بركا لا تدخلوا اليوم عليكم شكّا ^(٥)
• قد تحك القوم فزيدوا تحكّا •

(١) صفين : « خدموا »

(٢) صفين : « وشجروهم بالرماح » ، وشجروهم : خسروهم

(٣) بكيل وحاشد : من بطون همدان

(٤) القماحيد : جمع قحدة ، وهي ما أشرف على اللعاب من عظم الرأس .

(٥) خسروا ، أي اضربوا موضع الخدمة ؛ وهي الخلخال ، يعني اضربوهم في سوابهم

قال : فالتقى القومُ جميعاً بالرماح، وصاروا إلى السيوف، وتعالوا حتى أدركهم الليل .
 قالت همدان : يا معشر عكّ ، نحن قسم بالله إننا لا تنصرف حتى تنصرفوا وقالت عكّ
 مثل ذلك ، فأرسل معاوية إلى عكّ أن أيرثوا قسم^(١) إخوانكم وعلتوا . فانصرفت
 عكّ ، فلما انصرفت انصرفت همدان ، فقال عمرو : يا معاوية ، والله لقد لقيت أسداً
 أسداً ؛ لم أر والله كهذا اليوم قط لو أن معك حياً كعكّ ، أومع على حتى كتم همدان
 لكان الفناء .

وقال عمرو في ذلك :

إن عكاً وحاشداً وبكلاً كأسود الصراء لاقت أسوداً
 وجئنا القوم بالقفى وناقوا بظواهر السيوف موتاً عتيداً
 ازورار للناكب الغلب بالشتم وضرب المؤمنين الخدودا
 ليس يدرون ما للفرار ولو كان في فراراً لكان ذلك سديداً
 بمسلم الله ما رأيت من القوم في ازوراراً ، ولا رأيت صدوداً
 غير ضرب فوق الطل ، وعلى الها م وقرع الحديد يملو الحديد
 واقعد قال قائل خدّموا الشوق ، فخرت هناك عكّ قموداً
 كبروك الجبال أتفلها الجمل فاستقل إلا وثيداً

قال : ولما اشترطت عكّ والأشعريون على معاوية ما اشترطوا من الفريضة والعطاء
 فأعطاهم ، لم يبق من أهل العراق أحد في قلبه مرض إلا طمع في معاوية ، وشخص^(٢)
 ببصره إليه ؛ حتى فشا ذلك في الناس ، وبلغ عليها عليه السلام ، فساءه^(٣) .

(١) صفين : أيرثوا قسم القوم

(٢) صفين : « وشخص ببصره إليه » .

(٣) صفين ٤٨٥ ، ٤٩٤

قال نصر : وجاء عدى بن حاتم يلتمس عليا عليه السلام ، مايطأ إلا على قتل أو قدام .
أو ساعدا ، فوجده تحت رايات بكر بن وائل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ألا تقوم حتى غاتل
إلى أن نموت ؟ فقال له علي عليه السلام : ادن ، فدنا حتى وضع أذنه عند أذنه ، فقال : ويحك !
إن عامة من منى اليوم بمصيفي ، وإن معاوية فيمن بطيعة ولا يصيبه !

قال نصر : وجاء المنذر بن أبي تميم الداعى - وكان شاعر همدان وفارسها - عليا عليه
السلام فقال : يا أمير المؤمنين ، إن عكا والأشعرين طلبوا إلى معاوية الفرائض والمطاء
فأعطاهم ، فباعوا الدين بالدنيا ؛ وإنا قد رضينا بالآخرة من الدنيا ، وبالعراق من الشام ، وبك
من معاوية ؛ والله لا خرتنا خير من دنياهم ، ولعراقنا خير من شامهم ، ولإمامنا أهدى
من إمامهم ؛ فاستفتحنا بالحرب ، وثق منا بالنصر ، واتحلفنا على الموت ، وأشدّه :

إن عكا سألوا الفرائض والأشعر سألوا حوائزا بشية^(١)
زكوا الدين للمطاء ولعرق من فكانوا بذاك شر البرية
وسألنا حسن الثواب من الله وصبر على الجهاد ونية
فلكل ما سألناه ونواه كلنا بحسب اختلاف خطته
ولأهل العراق أحسن في الحرب إذا ما تدايت السميرية
ولأهل العراق أحسن للثقل إذا حمت البلاد بنية
ليس منا من لم يكن في الله ولينا إذا الولا والوصية

فقال علي عليه السلام : حسبك الله ! وأثنى عليه وعلى قومه خيرا ، وانتهى
شعره إلى معاوية ، فقال : والله لأستميلن بالدنيا ثقات علي ، ولأقسم فيهم الأموال حتى
تغلب دنياى آخرته .

قال نصر : فلما أصبح الناس غدوا على مصافهم ، وأصبح معاوية يدور في أحياء
اليمن ، وقال : عجبوا إلى كل فارس مذكور فيكم ، أنفوسى به على هذا الحى من همدان

(١) بشية : يدور إلى مكة ، قرية بالشام .

فخرجت خيل عظيمة ، فلما رآها علي عليه السلام وعرف أنها هيون الرجال ، فنادى :
 والهمدان ! فأجابه سعيد بن قيس ، فقال له علي عليه السلام : احمل ، فحمل حتى خالط
 الخيل بالليل ، واشتد القتال ، وحطمتهم همذان حتى ألحقهم معاوية ؛ فقال معاوية : ما بقيت
 من همذان ! وجرع جرعا شديدا ، وأسرع القتل في فرسان الشام ، وجمع علي عليه السلام
 همذان ، فقال لهم : يا معشر همذان ، أتم دزعى ورعى ويحى ، يا همذان ما نصرتم إلا الله ،
 ولا أجبنم غيره . فقال سعيد بن قيس : أجبننا الله وأجبنناك ، ونصرنا رسول الله في قبره ،
 وقتلنا ملك من ليس مثلك ، فارمنا حيث شئت .

قال نصر : وفي هذا اليوم قال علي عليه السلام :

ولو كنت بوأبا على باب الجنة لقلت لهمذان ادخل بسلام

قال علي عليه السلام لصاحب لواء همذان : اكفيني أهل رخص ، فإن لم ألق من
 أحد ما بقيت منهم . فقدم وهدمت همذان ، وشدت واشدة واحدة على أهل رخص ،
 فضر يوم ضربا شديدا مقداركا ، بالسيف ومعد الحديد ، حتى ألجئهم إلى قبة معاوية ،
 وارتجز من همذان رجل ، يدأده في أرخب ، فقال :

قد قتل الله رجال رخص
 غرؤوا بقول كذبي وخرص
 حرموا على المال وأى حرص
 قد نكس القوم وأى تكسر

• عن طاعة الله وخوى النص •

قال نصر : فحدثنا عمر بن سعد ، قال : لما ردت خيول معاوية سيف فجرد سيفه
 وحل في كفة أصحابه ، فحملت عليه فرارس همذان ، فهاز منها ركضا ، وانكسرت كفاه
 ورجعت همذان إلى مراكزاها ، فقال حبر بن قحطان الهمداني ، يخاطب سعيد
 ابن قيس :

الآبن قيس قرنت العين إذا رأت فرارس تهمدان بن زيد بن مالك
قل حارقات لقاء عوابس طوال الهوادي مشرقات الحواريك
مموّدة لظمن في ثغرها يجنّ فيعطمن الحصى بالسنايك
عبأها على لابن هند وخيله فلو لم يفتها كان أول ملك
وكانت له في يومه عند ظنه وفي كل يوم كاسف الشمس حاله
وكانت بحمد الله في كل كربة حصونا وعزاً الرجال الصالح
فقل لأمير المؤمنين : أن ادعنا متى شئت إنا عرضة للمهلك^(١)
ومن حطمتا السمر في حى حبر وكيدة والحي الحماق الكاسك
وعك ونلم شائلين سياطهم حذار الموال كالإماء الموارك^(٢)

قال : اصبر : وحدكما عمر بن سعيد عن رجاله ، أن معاوية دعا يوماً سفين مروان
ابن الحكم ، فقال له : إن الأشر قد غشى وأفتنى ، فأخرج بهذه الخيل في محصب
والسكّالعين ، فآلقه : فقال مروان : ادعاهما عمراً ، فإني شارك دون ديثارك قال : فأتى نفسى
دون ويريدى . قال : لو كنت كذلك ألحقتنى بهى السماء والحقته فى الجرماني ، ولكذلك
أعطيت ما فى يدك ، وسبته ما فى يد غيرك ، فإن قلبت طاب له اللقام ، وإن غلبت حفّ عليه
الهرب . فقال معاوية : سيفنى الله عليك . قال : أما إلى اليوم فلم يفر . فدعا معاوية عمراً
فأمره بالخروج إلى الأشر ، فقال : أما إني لا أقول لك ما قال مروان ، قال : وكيف تقوله
وقد قد متك وأحترته ، وأدخلتك وأخرجته ؟ قال : أما والله إن كنت قطعت ، لقد قدمتنى
كافياً ، وأدخلتني ناصحاً ؛ وقد أكثر بقوم عليك فى أمر مصر ، وإن كان لا يرضيهم

(١) سفين : • إما شئت

(٢) الموارك : الحواري .

إلا رجوعك فيا وثقت لي به منها فارجع فيه . ثم قام فخرج في تلك الخليل ، فلقبه الأشر
أمام القوم ، وقد علم أنه سيلقاء ، وهو برئحز ويقول :

يا ليت شعري كيف لي بصرو ذاك الذي أوجبت فيه نذري !
ذاك الذي أطلبه موثري ذاك الذي فيه شفاء صدري
من يأتي يوماً بكل عري يقبل به عند اللقاء قذري
أجده في— طعام النسر أو لا قربني ماذيري بحدري
فلما سمع عمرو هذا الرجز ، مثل ^(١) وجئن ، واستعيا أن يرجع ، وأقبل نحو
الصوت ، وقال :

يا ليت شعري كيف لي بمالك ؟ كم كاهل جيبته وحارثك ^(٢)
وقارس قتلته وقانك ^(٣) / مقدم آب بوجه حالك
• عارلت دهرى عرصة للمالك ^(٤) •

فخشيته الأشر بالرمح ، فراغ عمرو عنه ، فلم يصنع الرمح شيئاً ، ولوى عمرو عنان
فرسه ، وجعل يده على وجهه ، وجعل يرجع راکضاً نحو عسكره . فنادى غلاماً من
يخصب : يا عمرو ، عليك المنأ ما هبت الصبا ! يا آل حير [إننا لكم ما كان معكم ^(٥)] ؛
هاتوا اللواء ^(٦) ، فأخذه وقدم ، وكان فلاناً حدثاً ، فقال :

(١) صلين : • ولعل حله وجن • .

(٢) حجه : قطعه ، والحارث على الكامل .

(٣) يده في صلين :

• ونابل فكته وبانك •

(٤) صلين : • هنا وهذا عرصة للمالك • .

(٥) من صلين

(٦) صلين : • أبلغوني اللواء •

إِنْ يَكُ هَرُوقْدَعْلَاهُ الْأَشْرُ بِأَسْمَرٍ فِيهِ سِنَانٌ أَرْهَرُ
فَذَاكَ وَاللَّهِ لَمَرَى مَفْعَرُ بِأَعْمَرٍ تَكْفِيكَ الطَّعْمَانُ حَيْرُ
وَالْبَحْمِيَّ بِالطَّعْمَانِ أَسْرُ دُونَ الْهَوَاءِ الْيَوْمَ مَوْتُ أَسْرُ
فَنَادَى الْأَشْرُ ابْنَهُ إِبْرَاهِيمَ : خُذِ الْهَوَاءَ ، فَذَلَامُ لُغْلَامُ . وَتَقْدِمُ فَأُخِذَ إِبْرَاهِيمَ الْهَوَاءَ ،

وقال :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ هَيَّ لَا تُزْعِ أَفْدِمُ فُلَانِي مِنْ عَرَابِينَ النَّحْمِ
كَيْفَ تَرَى طَمَنَ الْعِرَاقِي الْجَذَمِ أَطِيرُ فِي يَوْمِ الْوَعَى وَلَا أَفْعِ
مَسَاءَ كَمْ سَرَّ ، وَمَا ضَرَّ نَفْعِ أَعْدَدْتُ ذَا الْيَوْمِ لَهْوِ الطَّلَعِ
وَيَحْمِلُ عَلَى الْخُثَيْرِي ، فَالْتِقَاءُ الْحَمِيرِي بِلَوْنِهِ وَرَمَحِهِ ، فَلَمْ يَبْرَحَا يَطْعَنُ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، حَتَّى سَقَطَ الْحَمِيرِي قَتِيلًا ، وَثَمَّتْ سِرْدَانُ مَعْرُ ، وَغَضِبَ الْقَطْعَانِيُّونَ عَلَى
مَعَارِيهِ ، وَقَالُوا : تَوَلَّى عَلَيْنَا مَنْ لَا يَمُوتُ وَلَا يَمُوتُ رَجُلًا مِنَّا ، وَإِلَّا فَلا حَاجَةَ لَنَا بِكَ .
وقال شاعرهم :

مُعَاوِيَ إِنَّمَا تَدْعُنَا لِمُظْلِمَةٍ بُلْبُسُ مِنْ نَسْكَرَائِهَا الْعَرَضُ بِالْحَقْبِ^(١)
فَوَلَّ عَلَيْنَا مَنْ يَحْمُوطُ ذِمَارَنَا مِنْ الْحَمِيرِيِّينَ لِلْوَكْرِ عَلَى الْعَرَبِ
وَلَا تَأْمُرْنَا بِأَلْفِي لَا رِبْدُهَا وَلَا تَجْعَلُنَا بِالْمَوَى مَوْضِعَ الذَّنْبِ
وَلَا تَفْضُبْنَا وَالْحَوَادِثُ تَجْمَعُ عَلَيْكَ ، فَيَفْشُو الْيَوْمَ فِي مَحْصَبِ النَّصَبِ
فَإِنْ لَنَا حَفَا عَظِيمًا وَطَاعَةً وَحُبًّا دَحِيلًا وَالْمَشَاشِ فِي الْمَصَبِ^(٢)

•••

فَقَالَ لَهُمْ مَعَاوِيَةُ : وَاقِفُوا أَوَّلِي عَلَيْكُمْ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ إِلَّا رَجُلًا مِنْكُمْ^(٣)

(١) التمرض : حزام الرجل - والحقب : جبل يقف به الرجل في بطن البئر .

(٢) للمشاش : وهو من الظلام ، ومن صين : في لكاشة والنصب .

(٣) ص ١٩٩ - ٥٠٢

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، قال : لما أسرع أهل العراق في أهل الشام ، قال لهم معاوية : هذا يوم تمحيص ، وإنّ لهذا اليوم ما بعده ، وقد أسرعتم في القوم كما أسرعوا فيكم ، فاصبروا وموتوا كراماً . وحرض على عليه السلام أصحابه ، فقام إليه الأصمعي بن نباته ، وقال : يا أمير المؤمنين ، قد مضى في البقية من الناس ، فإنك لا تفقد في اليوم صبراً ولا نصراً ؛ أما أهل الشام فقد أصبنا ؛ وأما نحن فقينا بعض البقية . ائذن لي فأتقدم ، فقال له : تقدم على اسم الله والبركة ، فقدم وأحد الراية ومضى بها ، وهو يقول :

إنّ الرجاء بالقنوط يذمّع حتى متى يرجو البقاء الأصمعي
أما ترى أحداث دهر تنفخ فادفع هوائك ، والأديم يذبغ
والرفق فيما قد تريد اليوم شغل ، وغدا لا تفرغ

فأرسل إلى علي عليه السلام حتى غضب سيفه دماً وريحه . وكان شيخاً ماسكاً عابداً ، وكان إذا لقي القوم بعضهم بعضاً يفيد سيفه ، وكان من ذخائر علي عليه السلام ممن قد بايعه على الموت ؛ وكان علي عليه السلام يرضى به عن الحرب والقتال^(١) .



قال نصر : وحدثنا عمرو بن عمار ، عن جابر ، قال : نادى الأشتر يوماً أصحابه ، فقال : أما من رجل يشري نفسه ؟ ! فخرج أنال بن حنبل بن عامر المذحجي فنادى بين العسكريين : هل من مبارز ؟ فدعا معاوية . وهو لا يعرفه . أباه حنبل بن عامر المذحجي ، فقال : دونك الرجل . قال : وكان مستبصرين في رأيهما . فبرز كل واحد منهما إلى صاحبه ، فبدره بطمئة ، وطعنه بالعلامة ، وانسبا فإذا هو ابنة ، ففزلا فاعتنق كل

واحد منهما صاحبه ، وبكيا . فقال له الأب : يا بني ، هلم إلى الدنيا . فقال له الغلام : يا أبي هلم إلى الآخرة . ثم قال : يا أبتِ والله لو كان من رأي الانصراف إلى أهل الشام لوجب عليك أن يكون من رأيك لي أن تنهاني ، واسوائك ! فلذا أقول لعل وللمؤمنين الصالحين ! كن على ما أنت عليه ، وأنا على ما أنا عليه . فانصرف حنبل إلى صف الشام ، وانصرف ابنه أنال إلى أهل العراق ، ففتر كل واحد منهما أصحابه ، وقال في ذلك حنبل :

إن حنبل بن عامر وأثالا أصبعا بضربان في الأمثال
أقبل الفارس المدجج في الفسح أثال بدمو يربد نزال
دون أهل العراق يحظر كالفصل على ظهر هيكلي ذبال
فدعاني له ابن هند وما زلت قليلا في صعب أمثال
فتناولته بمادة **(الرئيس)** وأهوى بأمر عتال
فألقنا وذاك من حيث الدهر عظيم ، فتي لشيخ بجال^(١)
شاجرا بالقناة صدر أبيه وعزير على طين أثال^(٢)
لأبالي حين اعترضت أثالا وأثال كذاك ليس ببال
فأفترقنا على السلامة ، والتنفس بقبها مؤخر الأجال
لا يراني على الهدى وأراه من هداى على سبيل ضلال
فلما انتهى شمره إلى أهل العراق ، قال أنال ابنه بحبها له^(٣) :

إن طمعي وسط العجاجة حنلا لم يكن في الذي نويت حقوقا
كنت أرجو به الثواب من الله وكوني مع النبي رفيقا

(١) البجال : الكبير

(٢) صين : « وعظيم على »

(٣) صين : « ولكن بجهدا ومتبصرا »

لم أزل أنصر العراق على الشا م أراي بفعلٍ داك حقيقاً
قال أهل العراق إذ عظم الخط بٌ ونقّ البارزون تقيفاً:
من فنى بسلك الطريق إلى الـ هـ فكنت الذي سلكت الطريقاً^(١)
حاصر الرأس لا أريد سوى الموت ت أرى الأعظم الجليل دقيقاً
فإذا فارس تقم في البرو ع خدناً مثل السعوق عتفاً^(٢)
فبداني حبل يدرة الطم ن وما كنت قبلها مسبوفاً
فخلقته بعالية الرمة ح كيلابا بطاول السيوقا
أحمد الله ذا الجلالة والقد رة حذا يزبدني نوفيها
إذ كفت السنان منه ولم أد ن قتيلا منه ولا ثروفاً^(٣)
قلت لشيخ لست أكفر فما ك لطيف العذاء والتفنيقا^(٤)
غير أي أخاف أن تدخل النا ر فلا تسمى وكن لي رفيقا
وكذا قال لي فرتب نري ك، وشرقت راجبا تشريفا^(٥)



قال نصر: وحدهما عمرو بن شير بالإسناد للذكور، أن معاوية دعا النعمان بن شير بن سعد الأنصاري، ومسلمة بن مخلد الأنصاري - ولم يكن معه من الأنصار غيرهما - فقال: يا هذان، لقد غمّني ما بقيت من الأوس والخزرج، واضي سيوفهم كل عواتقهم يدعون إلى النزال، حتى قد جهنوا أصعاب الشجاع منهم والجبان؛ وحق واللهما أسأل من

(١) صعب: هـ سكنت التي أخذت هـ

(٢) الحذب: الضخم العظيم. والحقوق: النخلة لطيفة؛ ون صعب: هـ تقم في النعم هـ

(٣) الثغرون: قم التمرة هـ

(٤) التفنيق: التميم هـ

(٥) صعب ٥٠٣، ٥٠٦ هـ

فارس من أهل الشام إلاقيل قتله الأنصار ؛ أما والله لألقينهم بحدي وحديدي، ولأعبين لكل فارس منهم فارساً ينشأ في حلقه، ولأرميتهم بأعدادهم من قريش، رجال لم ينضم الثمر والطفيل^(١)، يقولون : نحن الأنصار ؛ قد والله آوؤا ونصروا ، ولكن أفسدوا سقمهم بهاطلهم !

فغضب النعمان ، وقال : يا معاوية لا تلو من الأنصار في حب الحرب والسرعة^(٢) نحوها ، فإنهم كذلك كانوا في الجاهلية. وأما دعاؤهم إلى الزال^(٣) فقد رأيتهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله يفعلون ذلك كثيراً . وأما قتلوك إياهم في أعدادهم من قريش فقد علمت ما لقيت قريش منهم قديماً ، فإن أحببت أن ترى فيهم مثل ذلك آتفاً فافعل . وأما الثمر والطفيل ، فإن الثمر كان لاذلاً^(٤) ذقتوه شاركتهمونا فيه. وأما الطفيل ، فكان لليهود ، فلما أكلناه غلناهم عليه ، كما غلبت قريش قلى السخينة^(٥) .

ثم تكلم مسلمة بن عجل ، فقال : يا معاوية ، إن الأنصار لا تعاب أحاسبها ولا تبتدأها. وأما غتسم إياك فقد والله غتونا ، ولو غتينا ما غرتونا ولا غرقنا جماعتهم ، وإن في ذلك مافيه من مباينة العشرة ؛ ولسنا حملنا ذلك لك ، ورجونا منك مؤضه . وأما الثمر والطفيل ؛ فإنهما يحمران عليك السخينة والغرنوب .

قال : وانتهى هذا الكلام إلى الأنصار ، لجمع قيس بن سعد الأنصار ، ثم قام فيهم خطيباً فقال : إن معاوية قال ما بلغكم ، وأجابه عنكم صاحباً كم ، ولعمري إن غظتم

(١) الطفيل ، بوزن سديد ؛ ذكره صاحب القاموس وقال : إنه روح من الرق .

(٢) صعي : « يسرعهم في الحرب » .

(٣) زال : « أما دعاؤهم الله » .

(٤) لاذلاً : « فلما أن ذقتوه » .

(٥) في اللسان : « السخينة : دقيق يلقى على ماء أو لب فيطبخ ثم يؤكل بتمر أو يمسح ، وهو الحساء . . . وفي حديث معاوية أنه مارح الأحف بن ليس فقال : ما ألفي الملقب والنجاد ؛ قال : هو السخينة يا أمير المؤمنين . والملقب في الجهاد وطب إلى يلب به ليحيى ويدرك ، وكانت تيمع نعيم به ، والسخينة : الحساء المذكور يؤكل في الجهد ؛ وكانت قريش تيمع بها » .

معاوية اليوم ؛ لقد غطتوه أمس ، وإن وترتموه في الإسلام ؛ فلقد وترتموه في الشرك ؛ وما لكم إليه من ذنب أعظم من نصر هذا الدين ، فجذوا اليوم جداً نفسونه به ما كان أمس ، وجذوا جداً نفسونه به ما كان اليوم ؛ فأنتم مع هذا اللواء الذي كان يقاتل عن يمينه جبريل ، وعن يساره ميكائيل ؛ ولقوم مع لواء أبي جهل والأحزاب . فأما التمر فإننا لم نغرسه ؛ ولكن غلبنا عليه من غرسه ، وأما الطميشل ، فلو كان طعمانا لسمينا به ؛ كما سميت قريش بسخينة ، ثم قال سعد في ذلك :

يا بن هدير دع التوثب في الحربِ بـ إذا نحن بالجihadِ سريناً^(١)
 نحن من قد حلت فاذن إذا شئت بمن شئت في المعاجِ إلينا^(٢)
 إن تشا فارس له فارس منا وإن شئت بالقيف للقيف
 أي هذين ما أردت غلبته ليس منا وليس منك الموبى
 ثم لا نسلخ المعاجل حتى نصل حريتنا ؛ لنا أو علينا^(٣)
 ليت ما نطلب العداة أتناها أنتم لفق بالشهادة عينا

فلما أتى شعره وكلامه معاوية ، دعا عمرو بن العاص ، فقال : ما ترى في شتم الأنصار ؟ قال : أرى أن توعدهم ، ولا تشتمهم^(٤) . ما عسى أن تقول لهم إذا أردت ذمتهم أقدّم أبدانهم ولا تدم أحسابهم . فقال : إن قيس بن سعد يقوم كل يوم خطيباً^(٥) ، وأظنه والله يفتينا هذا إن لم يحبته عينا حابس الغيل ، فما الرأي ؟ قال : للصبر والتوكل ، وأرسل

(١) صفي : « في اللاد نأيا » .

(٢) صفي : « في صفي : »

إن برزنا بالجمع نلقك في الجهم ، وإن شئت محضه أسرنا
 فالتقا في القيظ نلقك في الكز رج ندهو في حربنا أبويننا

(٣) في صفي : « ثم لا نسلخ المعاجلة » ، والمعاج : ما تبره الريح من الثراب ، واحده معاجة .

(٤) صفي : « أرى أن توعد ولا تشتم »

(٥) صفي : « قال معاوية ، إن خطيب الأنصار ليس بن سعد يقوم كل يوم خطيباً » .

إلى رموس الأنصار مع علي، فتابهم وأمرهم أن يماثروه، فأرسل معاوية إلى أبي مسعود^(١) والبراء بن عازب، وخزيمة بن ثابت، والحجاج بن عزية، وأبي أيوب، فتابهم فمشوا إلى قيس بن سعد، وقالوا له: إن معاوية لا يحب الشتم، فكف عن شتمه، فقل: إن مثلي لا يشتم، ولكني لا أكف من حربه حتى ألقى الله. قال: وتحركت الخيل غداة، فظن قيس أن فيها معاوية، فحمل على رجل يشبهه، فضربه بالسيف فإذا هو ليس به، ثم حمل على آخر يشبهه أيضا فقتله بالسيف^(٢).

فلما تجاوز الفريقان شتمه معاوية شتما قبيحا، وشتم الأنصار فضيب النعمان ونسله، فأرضاهما بعد أن هما أن ينصرفا إلى قومهما.

ثم إن معاوية سأل النعمان أن يخرج إلى قيس فمات به وبأهله وسلم. فخرج النعمان، فوقف بين الصفيين، ونادى: يا قيس بن سعد، أما النعمان بن بشير، فخرج إليه، وقال: هو يا نعمان! ما حاجتك؟ قال: يا قيس، إنه قد أنصفكم من دعاكم إلى مارضى لنفسه. يامعشر الأنصار، إنكم أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار، وقتلتم أنصاره يوم الجمل، وأقمتم خيولكم على أهل الشام بصفين، فلو كنتم إذ خذلتم عثمان خذتم عليا؛ لكأت واحدة بواحدة، ولكنكم^(٣) لم ترضوا أن تكونوا كالناس؛ حتى أعلتم في الحرب، ودهوتم

(١) ص ٨٧ : « فأرسل معاوية إلى رجال من الأنصار، فتابهم؛ فذهب بن عمر وأبو مسعود... »

(٢) في ص ٨٧ : ثم انصرف وهو يقول :

قولوا لهذا الشامي معاوية : إن كل ما أوهذت ريح معاوية
خوفتكم أكتاب قوم معاوية : إلى يابن الخاطئين الماضية
تزيق إرفال المجور الجارية : في أمر الساري ليلي الشاتية

(٣) ص ٨٧ : « ولكنكم خذلتم حقا، ونصرتم باطلا، ثم لم ترضوا... »

إلى البراز . ثم لم ينزل بعليّ حطب قط إلا هَوَّتْهُم عليه المصيبة ، وودعتموه الظفر . وقد أخذت الحرب منا ومنكم ما قد رأيتم ، فاتقوا الله في البقية .

فضحك قيس ، وقال : ما كنتُ أظنك بأنعمان محتوباً على هذه القالة ، إنه لا ينصح أخاه من غش نفسه ، وأنت العاش الضال للضل . أما ذكرُك عثمان ؛ فإن كانت الأخبار تكفيك فغذمتي واحدة ؛ قتل عثمان من لست خيراً منه ، وخذله من هو خير منك . وأما أصحاب الجبل فقاتلناهم على العكث . وأما معاوية ؛ فوالله لو اجتمعت عليه العرب قاطبة لقاتلته الأنصار ؛ وأما قولك إنما السنا كالناس ، فمنع في هذه الحرب كما كتبنا مع رسول الله ، تنقي السيوف بوحوشنا ، والرماح بنحورنا ؛ حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون . ولكن انظروا نعمان ؛ هل ترى مع معاوية إلا طليقاً ، أو أحرابياً ، أو يمايياً مستدرجاً بفرورنا انظر أين المهاجرون والأنصار والتائبون لم يلحقهم ؛ الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ؛ ثم انظر ، هل ترى مع معاوية أنصاراً غيرك وغير صوتيحبك ؛ ولست والله بيدريين ولا عقبيين ولا أحدين ، ولا لكما سابقاً في الإسلام ، ولا آية في القرآن . ولعمري لئن شئت علينا لقد شغب علينا أبوك^(١) !



قال نصر : وحدَّثنا عمر بن سعد ، عن مالك بن أعين ، عن زيد بن وهب ، قال : كان فارس أهل الشام الذي لا ينزع خوف بن بجزاة المرادي ، المكي أبا الحر ، وكان فارس أهل الكوفة العكبر بن جدير الأسدي ، فقام العكبر إلى علي عليه السلام ، وكان

(١) الخبر في صفين ٥٠٧ - ٥١٢ ، وبهذه ، وقال قيس في ذلك :

وَأَلْزَقِصَاتٍ بِكُلِّ أَشْمِثٍ أَعْبَرِ	خَوْصِ الْمُهَيَّوْنِ تَحْشَأُ التَّرْشُكَانُ
مَا أَبْنُ الْمُخَلِّدِ نَاسِيًا أَسِيَانَسَا	فِيمَنْ يُحَارِبُهُ وَلَا التَّمَنَاتُ
تَرَكَكَ الْيَاقَانُ فِي الْعِيَانِ كِفَايَةً	لَوْ كَانَ يَنْفَعُ صَاحِبِيهِ هَيَانُ

مِنْطَلِقًا فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ فِي أَبْذِنَا عَيْدًا مِنْ اللَّهِ لَا نَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى النَّاسِ ؛ قَدْ
ظَلَمْنَا بِأَهْلِ الشَّامِ الصَّبْرَ^(١) وَظَلَمْنَا بِنَا ، فَصَبِرْنَا وَصَبَرُوا ، وَقَدْ مَجَّيْتُ مِنْ صَبْرِ أَهْلِ الدُّنْيَا
[لِأَهْلِ الْآخِرَةِ ، وَصَبِرَ أَهْلُ الْحَقِّ عَلَى أَهْلِ الْبَاطِلِ ، وَرَغِبَ أَهْلُ الدُّنْيَا^(٢)] ، ثُمَّ قَرَأَتْ
آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَمَّتْ أَنَّهُمْ مُفْتُونُونَ^(٣) : ﴿ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُبْذَرُوا أَنْ يَقُولُوا
آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ • وَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ^(٤) 》 . قَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْرًا ، وَخَرَجَ النَّاسُ إِلَى مَصَافِهِمْ ،
وَخَرَجَ هُوَ بِنِجَازَةِ الرَّادِيِّ نَادِرًا مِنَ النَّاسِ ، وَكَذَا كَانَ بِصَنْعٍ ، وَقَدْ كَانَ قَتْلَ نَفَرٍ
مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ مَبَارِزَةً ، فَنَادَى : يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ؛ هَلْ مِنْ رَجُلٍ عَصَاهُ سَيْفُهُ يَبَارِزُنِي !
وَلَا أُخْرِجُكُمْ مِنْ نَفْسِي ! أَنَا هُوَ بِنِجَازَةِ^(٥) . فَنَادَى النَّاسُ بِالْمَكْبَرِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ

مِنْطَلِقًا عَنْ أَصْحَابِهِ لِيَبَارِزَهُ ، فَقَالَ هُوَ :

بِالشَّامِ أَمِنْ لَيْسَ فِيهِ خَوْفٌ بِالشَّامِ قَدْ لَيْسَ فِيهِ حَيْفٌ

بِالشَّامِ جُودٌ لَيْسَ فِيهِ سَوْفٌ أَنَا بِنِجَازَةِ وَاسْمِي هُوَ

هَلْ مِنْ عِرَاقٍ عَصَاهُ سَيْفٌ بَيَّزُ لِي وَكَيْفَ لِي وَكَيْفَ !

قَالَ لَهُ الْمَكْبَرُ :

الشَّامُ تَحُلُّ وَالْعِرَاقُ عَمَطٌ^(٦) بِهَا إِمَامٌ طَاهِرٌ مَطَهَرٌ^(٧)

وَالشَّامُ فِيهَا أَمُورٌ وَمُمُورٌ أَنَا الْعِرَاقُ وَاسْمِي عَكْبَرٌ^(٨)

(١) صَبْرٌ : دُخَانُهُ .

(٢) مِنْ صَبْرٍ .

(٣ - ٤) صَبْرٌ : دُخَانُهُ فَلَمَّا أَحْبَبَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ .

(٤) سُورَةُ الضَّكَّوٰتِ ١ - ٣

(٥) صَبْرٌ : دُخَانُهُ فَتَنَ زَوْفٌ ، وَزَوْفٌ أَبُو فَيْدٍ

(٦) صَبْرٌ : دُخَانُهُ

(٧) صَبْرٌ : دُخَانُهُ إِمَامٌ وَإِمَامٌ مَطَهَرٌ .

(٨) الْمُمُورُ : الْقَبِيحُ السَّرِيعُ .

ابن جدير وأبوه النضر^(١) ابن ، فإني في البراز قسور^(٢)

فأطعنا ، نصرعه المكبر وقتله ، ومعاوية على التل في وجوه قريش وخر قليل من
الناس ، فوجه المكبر فرسه ، بملا^(٣) فوجه ركضاً ؛ وبضربه بالسوط مسرعاً نحو التل .
فخطر معاوية إليه فقال : هذا الرجل مطلوب^(٤) على عقله أو مستأمن ؛ فأتاه رجل
وهو في حق فرسه ، فناداه فلم يجبه ، ومضى مبادراً ؛ حتى انتهى إلى معاوية ، فحمل
يطمن في أراض الخيل ورجا أن يفرد بمعاوية فيقتله ، فاستقبله رجال ؛ فقتل منهم قوماً ،
وحال الباقون بينه وبين معاوية بسيفهم ورماحهم ؛ فلما لم يصل إليه قال : أولئك
يا بن هند^(٥) ! أنا التلام الأسي ، ورجع إلى صف العراق ولم يكلم ، فقال له علي
عليه السلام : مادمالك إلى ما صنعت ؟ لا تلتقي نفسك إلى الهلكة ؛ قال : يا أمير المؤمنين
أردت غيرة ابن هند فحمل بيني وبينه ؛ وكان المكبر شامراً فقال :

قتلت للمرادى الذي كان باغياً ينادى وقد ثار العجاج : نزال
يقول : أنا عوف بن مجزاة والنبي قتله ابن مجزاة يوم قتال
قتلت له لما علا القوم صوته : منبت بمشوح الهدين مأوال^(٦)
فأوجرته في ملتقى الحرب صعدة ملأت بهارعباً صدور رجال^(٧)

- (١) صديق . د فإني المكبر مصر ، والصعر : للكشف لفرسه .
(٢) صديق : د فلا فروحه ؛ يقال : ملا الفرس فرجه وفروحه ؛ إذا أسرع ، والفرج : ما بين
معدى الفرس ورجليها .
(٣) أولئك : كلمة تهديد ووعيد ، معناه قد ريك ، أى تترك الفرس فاحذر . وقيل : أولئك الله
ما تسكره ، وقيل : معناه أولئك الطاب والملاك .
(٤) رجل مشوح القراعين ؛ أى عريصهما ، وفي النهاية : في صفة من الله عليه وسلم أنه كان مشوح
القراعين ، أى طويليهما ، وقيل : عريصهما ، وفي رواية : « كان شيخ القراعين » ، والشح : شد
الشيء . بأوتاد كالجلد والخيل ، وشجت للعود إذا نمت حتى تفسده .
(٥) يقال : أوجر فلانا الرمح طعه به فربه ، وقيل في صدره . والمعدة : الفتاة المستوبة ثبت كمالها
لا تحتاج إلى تنقيب .

فنادرتُه يكبو صريحا لوجهه بنو مرارا في مَكْرَجَ مَجَالٍ^(١)
وقدمت مَهْرِي رَاكِصًا نَحْوَ صَفْهِمُ اصْرَفَه في جَرْيَه بِشَائِلِي^(٢)
أرْبُدُ به القل الذي فوق رأيه معاوية الجاني لكل خَبَالٍ^(٣)
فَقَامَ رَحَالٌ دَوْتُهُ بِسُوفِهِمْ وقام رجالٌ دَوْتُهُ بِسُوفِهِمْ
فلو نلتُهُ نلتُ التي ليس بعدها وفزت بدكر صالح وفعال^(٤)
ولو مت في نيلِ الْمَيِّ ألف مَوْتَةٍ لقت إذا ماتت : لست أبالي

قال : فاكسر أهل الشام لقتل عَوْفٍ لمرادى ، وهدر معاوية دم للعكبر ، فقال
العكبر : يد الله فوق يديه ، فأين الله جل جلاله ودفاعه عن المؤمنين^(٥) ؟



قال نصر : وروى عمر بن سعد ، عن الحارث بن حصين ، عن أبي الكنود ،
قال : جزع أهل الشام على قتْلَامِ جَزَعًا شَدِيدًا ، وقال معاوية بن حديج : قَبَّحَ اللهُ
ملكًا يملكه لره بعد حَوْشَبٍ وذو الكَلَامِ ، والله لو ظفروا بأهل الدنيا بعد قتلهم ،
بنير مئونة ما كان ظفراً . وقال يزيد بن أسد لمعاوية : لا خير في أمرٍ لا يشبه آخره
أوله ، لا بدى جريح ولا يكي قنبل حتى تدبلى هذه القنينة ، فإن يكن الأمر لك أدميت

(١) صفين : « يتحدى مرارا » .

(٢) في صفين : « فأصربه في حومة بهال » .

(٣) يده في صفين :

يقول - ومهري يَمْرِفُ الْجُرْمَى جَاغَمًا فَاَرِيهِ : قَدْ بَانَ كُلُّ ضَلَالٍ
فلما رَأَوِي أَسْدَقُ الطَّنَنِ فِيهِمْ جَلَا عَنْهُمْ رَحِمَ الْمَيُوبِ فِعَالِي

(٤) صفين : « من الأمر شيء غير قيل وقال » .

(٥) صفين ٥١٢ - ٥١٦ .

وبكيت كلّ قرار ، وإن يكن لميرك فما أصبت به أعظم . فقال معاوية : يا أهل الشام ، ما جعلكم أحق بالجرع كلّ قتلاكم من أهل العراق على قتلاهم ؛ والله ما ذوالكلاع فيكم بأعظم من قتار بن باسر فيهم ، ولا حوشب فيكم بأعظم من هاشم فيهم ، وما عبيد الله بن عمر فيكم بأعظم من ابن بُدَيْل فيهم ، وما الرجال إلا أشباه ، وما التميمي إلا من عند الله ؛ فأشروا فإن الله قد قتل من القوم ثلاثة : قتل عمارا وكان فقام ، وقتل هاشما وكان حزنهم ، وقتل ابن بُدَيْل وهو الذي قتل الأفاعيل ؛ وبقي الأشتر ، والأشعث ، وعدى بن حاتم ، فأما الأشعث فإنا حتى عنه ^(١) مصره ، وأما الأشتر وعدى فمضيا والله [للفتنة ^(٢)] ، فاطلها خدا إلى شاء الله تعالى ، فقال معاوية بن خديج : إن يكن الرجال عندك أشباها فليست عندنا كذلك ، وغضب . وقال شاعر اليمين يرفي ذاك الكلاع وحوشها ^(٣) :

مَآوَى قَدْ نَلْنَا وَنَهَلْتُمْ سَرَانَا وَجُدَّعَ أَحْيَاءَ الْكَلَامِ وَمَحْصَبِ
فَذُو كَلْعٍ لَا يُبْعِدُ اللَّهَ دَارَهُ وَكُلَّ يَمَانٍ قَدْ أَصِيبَ بِحَوْشَبِ
هَما مَاهَا كَانَا - مَآوَى - عَصَا مَتَى قُلْتُ كَانَا عَصَا لَا أَكْذِبِ
وَلَوْ قُبِلْتُ فِي هَالِكٍ بِذُلٍّ فِدْيَةٍ فَدَيْتُهُمَا بِالنَّفْسِ وَالْأُمِّ وَالْأَبِ ^(٤)

• • •

وروى نصر ، عن عمر بن سعد ، عن عبيد الرحمن بن كعب ، قال : لما قتل عبيد الله بن بُدَيْل يوم صفين مرّ به الأسود بن طهمان الخزاعي ، وهو بأخر رمق ، فقال له : عزّ على والله مصرحك ! أما والله لو شهدتك لأسيبك ، ولهافتُ حنك ، ولو رأيت الذي أشعرك ^(٥)

(١) صفين : « لخلة مصره » .

(٢) من صفين .

(٣) صفين : « وقال المصرمى في ذلك شعرا » .

(٤) صفين ٥١٨ ، ٥١٩ .

(٥) الإغمار : الإدماء بطن أوري أوج جديدة .

لأحببت ألا أزياله ولا يزيالني حتى أخفه ، أو يلعنني بك . ثم نزل إليه ، فقل برحمك الله يا عبد الله ، [والله] ^(١) إن كان جارك تيا من بوائقك ، وإن كنت لمن الذاكرين الله كثيراً . أو صني رحمك الله . قال : أو صيبك بتقوى الله ، وأن تصاحب أمير المؤمنين ، وتقاتل معه حتى يظهر الحق أو تلعن بالله ، وأبلغ أمير المؤمنين عن السلام ، وقل له : قاتل على للمركة حتى تجعلها خلف ظهرك ؛ فإنه من أصبح وللمركة خلف ظهره ، كان الغالب . ثم لم يلبث أن مات .

فأقبل أبو الأسود إلى علي عليه السلام ، فأخبره ، فقال : رحمه الله ! جاهد معنا عدونا في الحياة ، ونصح لنا في الوفاة ^(٢) .



قال نصر : وقد روى نحو هذا عن عبد الرحمن بن كلفة ، حدثني محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بجر ، عن عبد الرحمن بن حاطب قال : خرجت النفس أخى سوياً في قتلى صفين ، فإذا رجل صريع في القتل قد أخذ بهوى فالتفت ، فإذا هو عبد الرحمن ابن كلفة ، فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! هل لك في لاء ومضى ^(٣) إداوة ؟ قال : لا حاجة لي فيه ، قد أنفذ في السلاح وخرقني ، فليست أقدّر على الشرب ، هل أنت مبلّغ حتى أمير المؤمنين رسالة أرسلت بها ؟ قلت : نعم ، قال : إذا رأيتهم من وراء ظهرك ، فإن وقل له : يا أمير المؤمنين ، احمل جرحاك إلى معركك حتى تجعلهم من وراء ظهرك ، فإن الغلبة لمن فعل ذلك ؛ ثم لم أبرح حتى مات فخرجت حتى أنيت أمير المؤمنين عليه السلام فقلت له : إن عبد الرحمن بن كلفة يقرأ عليك السلام ، قال : وأين هو ؟ قلت : وجدته وقد أنفذ السلاح وخرقه ، فلم يستطع شرب الماء ، ولم أبرح حتى مات . فاسترجع عليه السلام ، فقلت : قد أرسلني إليك برسالة ، قال : وما هي ؟ قلت : إنه يقول : احمل جرحاك

(١) من صلب . (٢) صعب ٢٠ : ٣١ .

(٣) الإداوة : إناء صغير من حديد ؛ ويجمع على أداوى .

إلى معرك ، واجعلهم وراء ظهرك ؛ فإن العابة لمن فعل ذلك ، فقال : صدق ، فنادى مناديه في العسكر أن احموا جرحاكم من بين القتلى إلى معسكركم ، ففعلوا ^(١) .

قال نصر : وحدثني عمرو بن شير ، عن جابر ، عن عامر ، عن صمصمة بن ضوحان ، أن أبرهة بن الصبح الحميري قام بصيفين ، قتل : وبمحكم ياممشر أهل اليمن إلى أن أعلن الله قد أذن بفنائكم ! ونحسكم خلوا بين الرجلين ، فليقتلا ، فأيهما قتل صاحبه ملأناه جميعا - وكان أبرهة من رؤساء أصحاب معاوية - فبلغ قوله عليا عليه السلام ، فقال : صدق أبرهة ! والله ما سمعت بخطبة منذ وردت الشام أنا بها أشد مرورا مني بهذه الخطبة !

قال : وبلغ معاوية كلام أبرهة ، فتأخر آخر الصفوف ، وقال لمن حوله : إني لأظن أبرهة مصابيا في قتله . فأقبل أهل الشام يقولون : والله إن أبرهة لأكلنا دينا وعقلا ، ورأيا وبأسا ؛ ولكن الأمير ^(٢) كره مبارزة علي ، فوضع ما دار من الكلام أبو داود عمروة ابن داود العامري - وكان من فرسان معاوية - فقال : إن كان معاوية كره مبارزة أبي حسن ، فأنا أبرزه ، ثم خرج بين الصفيين ، فنادى : أنا أبو داود فأبرز إلى يابا حسن ، فقدم على عايه السلام نحوه ، فناداه الناس : ارجع وأمير المؤمنين عن هذا الكلب فليس لك بخطر ، فقال : والله ما معاوية اليوم بأغبط لي منه ، دعوني وإياه ، ثم حل عليه فضربه فقطعه قطعتين ، سقطت إحداهما بمنية والأخرى شامية ؛ فارتج السكران لهول الضربة ، وصرخ ابن عم لأبي داود : واسود صباحاه ! وقبح الله البقاء بعد أبي داود ! وحل على عايه السلام ، فطمعته فضرب الرمح فبرأه ، ثم قنعه ضربة فألقته بأبي داود ، ومعاوية

(١) صفين ٤٤٨ ، ٤٤٩ .

(٢) صفين : د معاوية .

واقف على التلّ ، يبصر ويشاهد ، فقال : نبيّ لهذه الرجال وقبحاء ، أما فيهم من يقتلُ هذا مبارزة أو غيلة ، أو في اختلاط الفيلق وتوران الدقع . فقال الوليد بن عقبة : أبرز إليّ أنت فإنك أولى الناس بمبارزته ، فقال : والله لقد دعى إلى البرار حتى لقد استحييت من قرّيش ، وإنّى والله لا أبرز إليه ، ماجمل العكر بين يديّ للرئيس إلا وقابة له . فقال عتبة بن أبي سفیان : الهوا عن هذا كأنكم لم تسمعوا بداءه ، فقد علمتم أنه قتل حربثا ، وفضع عمرا ولا أرى أحداً يهتك به إلا قتله . فقال معاوية لبُسر بن أرطاة : أنقوم لمبارزته ؟ فقال : ما أحدٌ أحقّ به منك ، أما إذ ينمونه فأنا له ، فل معاوية : إنك ستلقاه غدًا في أوّل الخيل ، وكان عند بُسر ابن عمّ له ، قديم من الحجاز يحطّ ابنته ، فأتى سرا ، فقال له : إنى سمعتُ أنك وعدت من فضلك أن تبارز عليّ ، أما تعلم أن الوالى من بعد معاوية عتبة ثم بعده محمد أحوه ، وكلّ من هؤلاء قرّين علىّ ، فما يدعوك إلى ما أرى ! قال : الحياء ، خرج منى كلام ، فأنا أستعفى أن أرجع عنه . فضحك الملام ، وقال :

تَنَازَلُهُ يَا بُسْرُ إِنْ كُنْتَ مِثْلَهُ وَإِلَّا فَإِنَّ اللَّهْتَ لَشَاءَ آكُلُ (١)
كَأَنَّكَ يَا بُسْرُ بِنَ أَرْطَاةَ جَاهِلُ بِتَارِهِ فِي الْحَرْبِ أَوْ مَعْتَجَاهِلُ
مَعَاوِيَةَ الْوَالِى وَحِمْيَوَاءَ بَدَّهْ وَلَيْسَ سِوَاهُ مُسْتَمَارٌّ وَنَاكُلُ
أَوَّلُكَ هُمْ أَوْلَى بِهِ مِنْكَ إِنَّهُ عَلَى فَلَا تَقْرَبُهُ ، أَمَّا هَابِلُ !
مَنْ تَلَقَّاهُ فَالْمَوْتُ فِي رَأْسِ رَحْمِهِ وَفِي سَيْفِهِ شُغْلٌ لِنَفْسِكَ شَاغِلُ
وَمَا بَعْدَهُ فِي آخِرِ الْخَيْلِ عَاطِفُ وَلَا قَبْلَهُ فِي أَوَّلِ الْخَيْلِ حَامِلُ

فقال بُسر : هل هو إلا الموت ؛ لا بدّ من لقاء الله ففدا علىّ عليه السلام مقطوعاً من خيله ، ويده في يد الأشر ، وهما يتسايران روّدا ، يطلبان التلّ ليقفاه عليه ؛ إذ أبرز له بُسر مقنعا في الحديد ، لا يعرف ، فداده : أبرز إلى أباحسن ، فأنحدر إليه على توكّدة غير مكترث به

حتى إذا قارب طمته وهو دارعٌ فألقاه إلى الأرض ، وسبح المذبح السنان أن يصل إليه ،
فألقاه بسرٍ بمورته ، وقصد أن يكشفها ، يستدفع بأسه ، فأنصرف عنه عليه السلام مستديراً
له فصرخ الأشتر حين سقط : قال : يا أمير المؤمنين ، هذا بسرٌ بن أرطاة ، هذا عدو الله
وعذوك ، قال : دعه عليه لعنة الله ، أبعد أن فعلها ؟ غفل ابن عمٍ بسرٍ من أهل الشام ،
شاب ، على علي عليه السلام . وقل :

أردبتُ بسرًا والعلامُ نائرةُ أردبتُ شيخاً غاب عنه ناصرةُ

• وكلنا حليم لبسرٍ واثراء •

فلم بلغت إليه على عليه السلام ، وتلقاه الأشتر فقال له :

في كل يومٍ رجلٌ شيعٍ شاعرةُ وعمورةُ ونطُ السجّاج ظاهرةُ
تبردُها طمته كف واثمه هروء وبسرٍ منيا بالقافرةُ

فطمته الأشتر ، فكسر صلبه ، وقام بسرٌ من طمته على حياءه السلام مولياً ، وفرت
خيله ، ونداء علي عليه السلام : يا بسر ، معاوية كان أحق بها منك ، فرجع بسرٌ إلى
معاوية ، فقال له معاوية : ارفع طرفك ، فقد أدال الله عمراً منك ، قال الشاعر
في ذلك :

أني كل يومٍ فارسٌ تندبوتهُ	له حورةٌ تحثُ السجاجة باديةُ
يكف بها عنه على سائةُ	ويضعك منها في اتخلاء معاويةُ
بعت أسير من هروء فتعبرأته	وحورةٌ بسرٍ مثلها حذو حاذيةُ
فقولاً لعمرو وابن أرطاة أصرأ	سبيئتكما ، لانتلقها القيث ثانيةُ
ولا تحمدا إلا الحيا وخصا كما	ها كاتاً لنفس - والله - واقيةُ
ظروها لم تعجروا من مائةُ	وتلك بما فيها عن المؤد ناهيةُ

مضى تلقياً الخيل المعيرة صُبْحَةً وفيها على فاتركا الخيل ناحية^(١)
 وكوبا بعيداً حيث لا تباع للقتل^(٢) وبار الوعى ، إن التجارب كافية^(٣)
 وإن كان منه بعدُ للنفس حاجة فعوداً إلى ما شئنا هي ماهية
 قال : فكان يُسر بعد ذلك اليوم ، إذا لقي الخيل التي فيها على ينتجى ناحية ،
 وتحمى فرسان الشام بعدها عليها عليه السلام^(٤) .

• • •

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، عن الأحمط بن عبد الله الكندي ، عن
 أبي جعيفة ، قال : جمع معاوية كل قرشي بالشام ، وقال لهم : ألمعصب يامعشر قريش !
 أنه ليس لأحد منكم في هذه الحرب فعال^(١) بطول بها لسانه عدداً ماعداً عمراً ، فما بالكم !
 أين حية قريش ؟ فعصب الوليد بن عقبة ، وقال : أى فعال تريد ؟ والله ماسرف
 أ كفتائنا من قريش المراق من يضى عدداً باللسان ولا باليد . فقال معاوية : بلى إن
 أولئك ، وقوا عليها بأنفسهم . قال الوليد : كلا ، بل وقاهم على بنعصه . قال : وبحكم أماً فيكم
 من يقوم لقرنه منهم مبارزة ومفاخرة ! فقال سهوان : أما البراز فإن علياً لا يأذن لحسن
 ولا لحسين ولا لمحمد بنه فيه ، ولا لابن عباس وإحوته ، وبصلى بالحرب دوسهم ، فلا بينهم
 نبارز ! وأما المفاخرة ! فبماذا نفاخرهم ! بالإسلام أم بالجاهلية ! فإن كان بالإسلام ،
 خالفهم بالنبوة ، وإن كان بالجاهلية فالملك فيه ليس ، وإن قلنا قريش ، قلوا لنا :
 عهد للطلب .

(١) صعب : « الخيل للشعبة »

(٢) صعب : « وحى الوعى » .

(٣) صعب : ٥٢١ - ٥٢٢

(٤) فعال : بالكسر : جمع فعل ، وو صعب : « فعل بطول لسانه » ، والفعال بالفتح : الفعل الحسن .

(٧ - نهج أ)

فقال عتبة بن أبي سفيان : المأوى من هذا ، فإنى لاقى بالمدائن جعدة بن هبيرة ،
فقال معاوية : يخرج من قومك بنو محزوم ، وأمه أم هانئ بنت أبي طالب ،
كفء كريم !

وكثر العتاب والخصام بين القوم ، حتى أغلظوا مروان وأغلظ لهم ، فقال مروان :
أما والله ، لولا ما كان منى إلى علي عليه السلام في أيام عثمان ، ومشهدى بالبصرة ،
لكان لى في علي رأى يكفى أمراً ذا حسب ودين ؛ ولكن ولعل . وثابذ معاوية
الوليد بن عتبة [دون القوم] ^(١) ، فأغلظ له الوليد ، فقال معاوية : إني إنما تحترى علي
بنسبك من عثمان ، ولقد ضربك الخد وعركك عن الكوفة .

ثم إنهم ما أمسوا حتى اصطلعوا ، وأرضاهم معاوية من نفسه ، ووصلهم بأموال جليلة .
وسث معاوية إلى عتبة ، فقال : ما أنت صانع في جعدة أقال : ألقاه اليوم وأقاتله غداً ،
وكان بجعدة في قريش شرف عظيم ، وكان له لسان ، وكان من أحب الناس إلى علي
عليه السلام ، ففدا عليه عتبة ، فنادى : أبا جعدة أبا جعدة ! فاستأذن علياً عليه السلام في
الخروج إليه ، فأذن له ، واجتمع الناس ، فقال عتبة : يا جعدة ، والله ما أخرجك علينا
إلا حب خالك وعمك عامل البحرين ؛ وإنا والله ما نرغم أن معاوية أحق بالخلافة
من علي ، لولا أمره في عثمان ؛ ولكن معاوية أحق بالشام لرحا أهلها به ، فاعفوا لنا
عنها ؛ فوالله ما بالشام رجل به طريق ^(٢) إلا وهو أجدر من معاوية في القتال ؛ وليس
بالعراق رجل له مثل جد علي في الحرب ، ونحن أطوع لصاحبنا منكم لصاحبكم ، وما أفبيع بعلي
أن يكون في قلوب المسلمين أولى الناس بالناس ؛ حتى إذا أصاب سلطاننا أفي العرب . فقال
جعدة : أما حتى نخالى ، فلو كان لك خال مثله لتسيت أباك ؛ وأما ابن أبي سلمة فلم
يصب أعظم من قدره ، والجهاد أحب إلى من العمل ؛ وأما فضل علي فلي معاوية ؛

(١) من صفين .

(٢) الطريق هنا . القوة ، والحدوث : لا أحد رجلا به طريق يضاهيه .

هنا مالا يختلف فيه اثنان . وأما رضاكم اليوم بالشام ؛ فقد رضيتم بها أسير فلم
تقبل . وأما قولك : « ليس بالشام أحدٌ إلا وهو أجَدُّ من معاوية ، وليس بالعراق رجل
مثل جدِّ عليٍّ » ؛ فهكذا يبني أن يكون ، معي على بقيته ، وقصر بمعاوية شكّه ،
وقصدُ أهل الحقِّ خيرٌ من جهد أهل الباطل . وأما قولك : « نحن أطوع لمعاوية منكم لعليٍّ »
فوالله ما نأله إن سكتَ ، ولا نردَّ عليه إن قال . وأما قتلُ العرب ، فإن الله كتب
القتل والقتال ، فن قتل الحقِّ فإلى الله .

فمضب عتبة ، وفحش على جمدة فلم يحمه ، وأعرض عنه ، فلما انصرف عنه ، جمع
خياله فلم يستبق [منها] ^(١) شيئاً ، وجلَّ أعماه السكون والأزد والصديف ، ونهباً جمدة
بما استطاع ، والتفوا ، فصبر القوم جميعاً ، وباشر جمدة يومئذ القتال بنفسه ، وجرح عتبة ،
فأحلم خياله ، وأسرع هارباً إلى معاوية ، فقتل لم فصحك جمدة وهرمتك ، لا نسل
رأسك منها أبداً فقال : والله لقد أعدت ؛ ولكن أنى الله أن يدلنا منهم ؛ فما
أصنع ؟ وحظي جمدة بمدحها عند عليٍّ عليه السلام

وقال النجاشي : فيما كان من فحش عتبة على جمدة :

إن شتمَّ الكريم يا عتب حطبٌ دغمته من الخطوب عظيمُ
أمه أم هاني وأبوه من معدٍّ ومن لؤيٍّ صميمُ
ذاك منها هيرة بن أبي وهبٍ أقرت مصاباً مخزومُ
كان في حربكم بمدٍّ بألفٍ حين يلتقي بها القروم القرومُ
وابنه جمدة الخليفة منه هكذا تبت القروع الأروم ^(٢)

(١) من صعب .

(٢) صلين : « هكذا يختلف القروع الأروم » .

كل شيء ترمده فهو فيه حَبّ ثَقَبٌ ودين قسومٌ
 وخطيب إذا تمسرت الأُذُنُ جُهْ بشجى بِرِ الأُلْدَةِ الخَصِمِ
 وَحَلِيمٌ إذا أُلْحِيَ حَلَّهَا الْجَنُّهُلُ ، وخَفَّتْ من الرجال الخُلُومُ
 وشَكِيمٌ الحروب قد علم القَا سٌ إذا حَلَّ في الحروب الشَكِيمُ
 وصحيح الأديم من نَقْل السَّيْبِ إذا كان لا يصح الأديمُ
 حامل للمظلم في طلب الحَسَدِ إذا عظم الصغورُ التَّسْيِمُ
 ما عسى أن تقول للذهب الأحمر مِيًا ، هيأت منك النجوم ١
 كل هذا بحمد ربك فيه وسوى ذلك كَانَ وهو ظلمٌ

وقال الأمور الشئى في ذلك ، يخاطب حُفَية بن أبى سفيان :

ما زلتَ تظهرُ في عِطْفِكَ أَيْهَلَةً لا يرفع الطرفُ منك لثيهُ والصِّلَفُ
 لا تحسبِ القومَ إلَّا قِيعَ قَرْقَرَةٍ أو شحمة بزها شلو لها نَطَفٌ (١)
 حتى لقيت ابنَ محزومٍ ، رأى فتي أحسنًا مآثر آباء له سَلَفُوا ١
 إن كان رعدُ أبي وهب ججاجعةً في الأوليت ، فهذا منهم خَلَفُ
 أشجاك جَمْدَةٍ إذ مَادَى فوارسُه حاموا عن الدين والدينها فما وقضوا
 هَلَا عطفَ على قومٍ بمصر عِدِ فيها السُّكُونُ وفيها الأُزْدُ والصَّدِفُ (٢)

• • •

قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، عن الشعبي ، قال : كان رجلٌ من أهل الشام ،

(١) القيع : خرب من أرض الكُفَّة . والقرقرة : الأرض السهلة الملتفة .

(٢) صفين ٥٢٧ - ٥٣٣ ، وبعد هذا البيت :

قد كُنْتُ في منظرٍ من ذَا ومستمعٍ يا عَقْبَ لَوْلَا سَفَاهُ الرَّأْيِ والسَّرَفُ
 فالهَومُ بَقَرَعُ منك السَّنُّ من نَدَمٍ ما للبَارِزِ إلَّا المَجْزِرُ والنَّصَفُ

يقال له الأصمغ بن ضرار الأزدي ، من مسالخ معلوية وطلانته ، قدّس له على عليه السلام الأشتر ، فأخذه أسيراً من غير قتال ، فجاء به ليلاً فشدّه وثاقاً ، وأقامه عند أصحابه ينتظر به الصباح ؛ وكان الأصمغ شاعراً عفوياً ، فأيقن بالقتل ، وتام أصحابه ، فرفع صوته فاسمع الأشتر ، وقال :

ألا ليت هذا القهّل أصبح سرمداً	على الناس لا يأتيهمُ بهارٌ ^(١)
يكونُ كذا حق القيلة إني	أحاذرُ في الإصباح يوم يوارى ^(٢)
فما ليل أطبق ، إن في الليل راحة	وفي الصبح قيل أو فكاك أسارى
ولو كنت تحت الأرض سبعين وادياً	لما ردت عني ما أخاف جفاري
فما نفس مهلاً إن للموت غاية	غصيراً على ما تلب يا بن ضرار
أخشى ذلي في القوم رغم قربة	أبى الله أن أخشى ومالك جاري ^(٣)
ولو أنه كان الأسير يهده	أطاع بها ، ثموت ذيل إزاري
ولو كنت جلز الأشعث الخير فكني	وقل من الأمر الخوف فراري
وجار سميد أو عدى بن حاتم	وجلز فريم الغدير قرّ قراري
وجار للراذى الكريم وهانيء	وزخر بن قيس ما كرهت نهاري ^(٤)
ولو أنني كنت الأسير لهمضم	دعوت فني منهم فلك إساري ^(٥)
أولئك قومي لا علمت حياتهم	وعنوم عني وسرّ عولاري

-
- (١) صفين . « طبع سرمداً » .
 (٢) صفين « ضربة ناز » .
 (٣) صفين : « والأشتر جاري » .
 (٤) صفين : « الراذى العظيم » .
 (٥) صفين : « دعوت رئيس القوم » .

قال : ففدا به الأشر إلى علي عليه السلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن هذا رجل
من مسلح معاوية ، أصبته أمس ، وبات عندنا ليل ، فخرّ كذا بشعره ، وله رَجِيمٌ ، فإن
كان فيه القتل فاقته ؛ وإن ساغ لك العفو عنه فبهِ لنا ؛ فقال : هو لك فامالك ، وإذا
أصبت منهم أسيرا فلا تقتله ، فإن أسير أهل القبلة لا يقتل .
فرجع به الأشر إلى منزله وخلق سبيله .

(١٢٥)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام في الخوارج لما أنكروا تحكيم الرجال ، وبنم فيه أصحابه في التحكيم :

إِنَّا لَمْ نَحْكَمْ الرِّجَالَ ؛ وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْفُرُاقَ . هَذَا الْفُرُاقُ ، إِنَّمَا هُوَ خَطُّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدُّفْتَيْنِ ، لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ ؛ وَلَا يَدُّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ ؛ وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ . وَلَمَّا دَعَا مَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نَحْكَمْ بَيْنَنَا الْفُرُاقَ ، لَمْ نَسْكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلَّى عَنْ كِتَابِ اللَّهِ سُنْعَانَهُ وَتَمَالَى ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ فَإِنْ تَنَادَرْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ^(١) فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ أَنْ نَحْكَمْ بِكِتَابِهِ ، وَرُدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ ؛ هَذَا حُكْمٌ بِالصَّادِقِ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، فَهَذَا أَجَبُ النَّاسِ بِهِ ؛ وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ؛ فَهَذَا أَجَبُ النَّاسِ وَأَوْلَاهُمْ بِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : لِمَ جَمَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلًا فِي التَّحْكِيمِ ؟ فَإِنَّمَا فَسَلَتْ ذَلِكَ لِيَتَّبِعِينَ أَجَاهِلُ ، وَبَنَسَبَتْ الْعَالِمُ ؛ وَلَمَّا قَالَ اللَّهُ أَنْ يُصْلِحَ فِي هَذِهِ الْهُدَاةِ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَمِ ، وَلَا تَوَاحِدَ بِأَكْطَامِهَا ، فَتَعَمَلَ عَنْ تَسْوِيَةِ الْخَلْقِ ، وَتَنْقَادَ لِأَوَّلِ أَلَمٍ .

إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِإِلَاقَةِ أَحَبِّ إِلَيْهِ ، وَإِنْ بَقِيَ وَكَرِهَتْهُ ، مِنَ الْبَاطِلِ ، وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ وَرَادَهُ . فَأَيْنَ بُنَاءُ يَكْمُ أَوْ مِنْ أَيْنَ أُتِيذُمْ !

أَسْتَعِدُّوا لِقَائِهِ إِلَى قَوْمٍ حِمَارٍ مِنَ الْخَلْقِ لَا يُبْصِرُونَ ، وَمُؤَزَّعِينَ يَاجْلُوزِ
لَا يَتَذَكَّرُونَ مِنْهُ ، جُنَاتٍ مِنَ الْكِتَابِ ، نُكَبِّ مِنَ الطَّرِيقِ .
مَا أَنتُمْ بِوَأَيِّقَةٍ بَعْلَقُ رِبَا ، وَلَا ذَوَالِفِرَ هِرْزٍ يَمْتَصِمُ إِلَيْهَا ؛ لَيْسَ حُشَّاشُ نَارِ
الْحَرْبِ أَنْتُمْ !

أَفَإِ بَسَكُمُ ! لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرَحًا ^(١) يَوْمًا أَنَادَيْتُكُمْ ، وَيَوْمًا أَنَا جَيْتُكُمْ ، فَلَا
أُخْرَكَ صِدْقٍ عِنْدَ النَّدَاءِ ، وَلَا إِخْرَانُ ثَقَرٍ عِنْدَ النَّجَاءِ !

• • •

التفسير :

دَفَعْنَا لِلصَّغَف : جَانِبَهُ الْقِذَانُ بِكَتْفَانِهِ ، وَكَانَ النَّاسُ يَمْلُؤْنَهَا قَدِيمًا مِنْ خَشَبٍ ،
وَيَمْلُؤْنَهَا الْآنَ مِنْ جِلْدٍ ؛ يَقُولُ طَبِيبُ السَّلَامِ : لَا اعْتِرَاضَ عَلَى فِي الصَّعْكِمْ ، وَقَوْلُ
الْمَلَاوِجِ : « حَكَمَتِ الرِّجَالُ » دَعَاؤِي غَيْرَ مَحْبُوسَةٍ ؛ وَإِنَّمَا حَكَمَتِ الْقُرْآنُ ؛ وَلَكِنْ
الْقُرْآنُ لَا يَنْطَلِقُ بِنَفْسِهِ ، وَلَا يَدَّ لَهُ تَمَنُّ بِمَرْجَمٍ عَنَّا . وَالتَّزْجَانُ بَفَتْحِ النَّاءِ وَضَمِّ الْجِيمِ ،
هُوَ مَفْسَرُ الْكَلِمَةِ بِلِسَانٍ آخَرَ ، وَيَمْجُوزُ وَضَمُّ النَّاءِ لِفَتْحِ الْجِيمِ ، قَالَ الرَّاجِزُ :
• كَالْتَّزْجَانِ لُقِيَ الْأَنْبَاطُ •

ثُمَّ قَالَ : لَمَّا دَعَيْنَا إِلَى تَحْكِيمِ الْكِتَابِ ، لَمْ نَكُنْ الْقَوْمَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّهِمْ :
(وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ) ^(١) ، بَلْ
أَجَبْنَا إِلَى ذَلِكَ ، وَوَعَلْنَا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : (قُلْ إِن تَنَادَرْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) ^(٢) .
وَقَالَ : مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ نَحْمُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، فَإِذَا هَمَلَ النَّاسُ بِالْخَلْقِ فِي هَذِهِ الرَّاقِعَةِ ،
وَأَطْرَحُوا الْقَوِيَّ وَالْمَنْصُوبَةَ ، كُنَّا أَحَقُّ بِتَعْدِيرِ الْأُمَّةِ وَبِوَلَايَةِ الْخِلَافَةِ مِنَ الْمُنَازِعِ لَنَا طَبِيبًا .

(١) طهارة التهج : « برحاً » .

(٢) سورة النور ٤٨ .

(٣) سورة النساء ٥٩ .

فإن قلت : إنه عليه السلام لم يقل هكذا ؛ وإنما قال : إذا حُكِمَ بالصدق في كتاب الله ، فمن أولى به ، وإذا حُكِمَ بالسنة فمن أحق بها ؟

قلت : إنه رفع نفسه عليه السلام أن يصرح بذكر الخلافة فكفى عنها ، وقال : نحن إذا حُكِمَ بالكتاب والسنة أولى بالكتاب والسنة ، ويلزم من كونه أولى بالكتاب والسنة من جميع الناس أن يكون أولى بالخلافة من جميع الناس ، فدل على ما كفى منه بالأمر السليم .

فإن قلت : إذا كان الرجال الذين يترحمون القرآن ويُسَروونه ، وقد كُلفُوا أن يحكوا في واقعة أهل العراق وأهل الشام ، بما بدلهم القرآن عليه ؛ يجوز أن يختلفوا في تفسير القرآن وتأويله ، فيدعى صاحب أهل العراق من تفسيره ما يستدل به على مراده ، ويدعى وكيل أهل الشام ما يقابل ذلك ويناقضه بطريق الشبهة التي تمكوا بها من دم عثمان ، ومن كون الإجماع لم يحصل على بيعة أمير المؤمنين عليه السلام ، احتج الحسكان حينئذ إلى أن يحكم بينهما حكمان آخران ، والقول فيهما كالقول في الأول إلى ما لا نهاية ؛ وإنما كان يكون التحكيم قاطعا قشِب لو كان القرآن ينص بالصرح الذي لا تأويل فيه ، إما على أمير المؤمنين عليه السلام أو على معاوية ، ولا نص صريح فيه ؛ بل الذي فيه يحتمل التأويل والتعاضب ؛ فما الذي يبيد التحكيم والحل تعود لا محالة جذعة ؟ قلت : لو تأمل الحسكان الكتاب حق التأمل ، لوجدوا فيه النص الصريح على صحة خلافة أمير المؤمنين عليه السلام ، لأن فيه النص الصريح على أن الإجماع حجة ، ومعاوية لم يكن مخالفا في هذه المقدمة ولا أهل الشام ، وإذا كان الإجماع حجة ، فقد وقع الإجماع لما توفى رسول الله صلى الله عليه وآله ، على أن اختيار خيرة من صلحاء المسلمين لواحد منهم وبيعته توجب لزوم طاعته وصحة خلافته ، وقد بايع أمير المؤمنين عليه السلام

خسة من صلحاء الصحابة بل خسون ؛ فوجب أن تصح خلافته ، وإذا سمحت خلافته
فقدت أحكامه ، ولم يجب عليه أن يقيد بثمان ، إلا إن حضر أولياؤه عنده ، طائعين له
مبايعين ، ملتزمين لأحكامه ؛ ثم بعد ذلك يطلبون القصاص من أقوام بأصهارهم ، يدعون
عليهم دم المقتول ؛ فقد ثبت أن الكتاب لو تؤمل حق التأمل ، لكان الحق مع أهل
العراق ، ولم يكن لأهل الشام من الشبهة ما يقدح في استنباطهم للذكور .

ثم قال عليه السلام : فأما ضربى للأهل في التحكيم فإنما فصلته لأن الأمانة والتثبت
من الأمور المحسودة ؛ أما الجاهل فيعلم فيه ما جهله ، وأما العالم فيثبت فيه على ما علمه ،
فرجوت أن يصلح الله في ذلك الأجل أمر هذه الأمة المفتونة .

ولا تؤخذ بأكتلامها : جمع كظم ؛ وهو مخرج النفس ، يقول : كرهت أن أنجل
القوم عن التبين والاعتدال ، فيكون يلهيهم ، وتركى فتنبس عن خناقهم ، وعدولي
عن ضرب الأجل يبنى وينهم أدنى إلى استفسادهم ، وأخرى أن يركبوا غيهم وضلالهم ،
ولا يقلعوا عن القبيح الصادر عنهم .

ثم قال : أفضل الناس من أكثر الحق وإن كرهه - أى اشتد عليه ، وبلغ منه الشقة .
ويحوز « أكرهه » بالألف - على الباطل وإن اقتض به وأورثه زيادة .

ثم قال : « فإين جاء بكم ؟ » ، أى أين تذهبون في التيه ؟ يعنى في الخيرة . وروى :
« فإين يتاء بكم ؟ » .

ومن أين أتيتم ؟ أى كيف دخل عليكم الشيطان أو الشبهة ، ومن أى المداخل
دخل القبس عليكم ؟

ثم أمرهم بالاعتماد للمسير إلى حرب أهل الشام ، وذكر أنهم موزعون بالجوز ،

أى ملهمون ، قال تعالى : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾ ^(١) أى الملقى ، أوزعته بكذا وهو موزع به ، والاسم والمصدر جهما الوزع بالفتح ، واستوزعت إليه تعالى شكره فأوزعنى ، أى استلبته فألقى .

ولا يبدلون عنه ؛ لا يتركونه إلى غيره ، وروى « لا يبدلون به » ؛ أى لا يبدلون بالجور شيئا آخر ، أى لا يرضون إلا بالنظم والجور ولا يختارون عليهما غيرها .

قوله : « جفأة من الكتاب » : جمع جاف وهو النابى عن الشيء ، أى قد كبروا عن الكتاب لا يلائمهم ولا يناسبونه ، تقول : جفا السرج عن ظهر الفرس إذا نجا وارتفع ، واجفئته أنا ، ويمحوز أن يريد أنهم أعراب جفأة ، أى أجلاف لا أعيان لهم .

قوله : « نكبت عن الطريق » ، أى عادلون ، جمع ناكب ، نكبت ينكب عن السيل ، بضم الكاف ، نكبوا .

قوله : « وما أنتم بوثيقة » ، أى بذي وثيقة ، مخدفة للضاف ، والوثيقة : الثقة ، يقال : قد أخذت فى أمر فلان بالوثيقة ، أى بالثقة ، والثقة مصدر .

والزواجر : المشورة والأنصار ، وبخال : هم زافرتهم عند السلطان ، للذين يقومون بأمره عنه .

وقوله : « بمنصم إليها » ، أى بها ، فأنا ب « إلى » مناب الهاء ، كقول طرفة :

« إِنْ يَلْتَقِ الْحَيَّ الْجَمِيعُ تَلَاقِي إِلَى ذِرْوَةِ الْبَيْتِ الرَّفِيعِ الْمَصْدَرِ ^(٢) »

وحشاش النار : ما تحش به ، أى توقد ، قال الشاعر :

أَفِي أَنْ أَحْشَ الْحَرْبَ فَمِنْ يُحْشَا أَلَامُ ، وَفِي أَلَا أَقْرَ الْمُخَازِيَا

(١) سورة النمل ١٩ .

(٢) من العلقمة - بصرح التبريزى ٧٧

وروى « حشاش » بالفتح كالشعاع ، وهو الخطب الذى يلقي فى النار قبل الجزل ،
وروى : « حُشاش » بضم الحاء وتشديد الشين ، جمع حاشٍ ، وهو الموقد للنار .

قوله : « أفئ لسكم » من الألفاظ القرآنية ، وفيها لغات « أفئ » بالكسر وبالضم
وبالفتح و « أفئ » متونا بالثلاث أيضا ، ويقال : أفأ وأفأ وأفأ ، وهو إنباع له ، وأفئة وقفة ،
والعنى استقذار المعنى بالتأفيف .

قوله : « لقد بقيت منكم برحاً » ، أى شدة ، يقال : بقيت منهم برحاً بارحاً ، أى
شدة وأذى ، قال الشاعر :

أجذك هذا حرك الله قل دَعَاكَ الهوى بَرُوحاً لَمِينِكَ بَارِحاً^(١) !

ويروى : « ترحاً » ، أى حزناً :

ثم ذكر أنه بناديهم جهاراً طوراً ، وبناديهم سرّاً طوراً ، فلا يخدم أحراراً
عند ندائه ، أى لا ينصرون ولا يهيمون ، ولا يخدم حقاً وذوى أمانة عند المناجاة ، أى
لا يكتبون السر .

والنَجَاء : المناجاة ، مصدر ناجيته نجاء ، مثل ضارته ضراباً ، وصارحته صراحاً .

(١) اللسان (برح) من غير نية .

(١٣٦)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام لما عوقب على النسوية في العطاء وتسييره الناس
أسوة في العطاء من غير تفضيل أولى السابقات والشرف :

أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّعْمَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وَلَّيْتُ عَلَيْهِ ؟ وَأَفِيءَ لَا أُلْوَ بِهِ مَا تَمَرَّ
تَمِيرٌ ، وَمَا أَمْ تَجْمُ فِي الدِّمَاءِ نَجْمًا ؟ وَلَوْ كَانَ الدَّلُّ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ ، فَكَفَيْتُ وَإِنَّمَا
الدَّلُّ مَالُ أَفِيءٍ !



ثم قال عليه السلام :

أَلَا وَإِنْ إِيْعَاءَ الدَّلِّ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ ؛ وَهُوَ يَرْفَعُ حَاجَتَهُ فِي الدُّنْيَا ،
وَيَبْضَعُ فِي الْآخِرَةِ ، وَيُسْكَرُ فِي النَّاسِ ، وَيُهَيِّئُهُ حَيْدَ اللَّهِ ؛ وَلَمْ يَضَعْ أَمْرًا مَالَهُ
فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ ؛ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ شُكْرَهُمْ ؛ وَكَانَ لِقَابُهُ وَدْهَمٌ ؛ فَلَنْ
زَلْتُ بِهِ النَّعْلُ يَوْمًا فَاحْتَاجَ إِلَى مَوْتِهِمْ فَشَرُّ خَلِيلٍ ، وَالْأُمُّ خَلِيلِينَ .

•••

الشرح :

أصل « تأمروني » : تأمروني ، بنونين ، فاسكن الأولى وأدغم ، قال نسي : « أَفْتَبِرَ
اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ » (١) .

ولا أطور به : لا أقر به ولا تطر حوائنا ، أى لا تحرب ماحوائنا ، وأصله من طوار
الدار ، وهو ما كان ممتداً معها من القضاء .

وقوله : « ما سمر سمير » يعنى الدهر ، أى ما أقام الدهر وما يقى ، والأشهر فى المثل :
« ما سمر ابن سمير » ، قالوا : للسمير الدهر ، وإسناء الليل والنهار . وقيل : ابن سمير الليل
والنهار ، لأنه يُسَمَّرُ فيهما ، ويقولون : لا أفقه السمر والقمر ، أى ما دام الناس يسرون فى
ليلة قمره ولا أفقه سمير الليل ، أى أبداً ، قال الشنفرى :

هناك لا أزجو حياة نسرني سمير الليل مُبْسِلاً بالجرائر^(١)

قوله : « وما أمّ نجم فى السماء نجما » ، أى قصد وتقدم ، لأن النجوم تتبع بعضها
بعضاً ، فلا بدّ من تقدم وتأخر ؛ فلا يزال النجم بقصد نجما غيره ، ولا يزال النجم يتقدم
نجما غيره .

والخدين : الصديق ؛ يقول عليه السلام : كيف تأمرونى أن أطلب النصر من الله
بأن أجور على قوم ولّيت عليهم أبى الذين لا سابق لهم ولا شرف ؛ وكان عمر يقتصمهم
فى العطاء عن غيرهم .

ثم قال عليه السلام : لو كان للال لى وأنا أفرقه بينهم لسويت ، فكيف وإنما هو
مال الله وفهته .

ثم ذكر أن إعطاء اللال فى غير حقه تهذير وإسراف ، وقد نهى الله عنه وأنه يرفع
صاحبه عند الناس ، ورضيه عند الله ، وأنه لم يسلك أحد هذه المسلك إلا حرمه الله ودّ
الذين يهتوب إليهم باللال ، ولو احتاج إليهم يوماً عند عثرة يمشيها لم يجدهم .

• • •

واعلم أن هذه مسألة فقهية ورأى على عليه السلام وأبى بكر فيها واحد ، وهو التسوية بين المسلمين في قسمة الفئ ، والصدقات ، وإلى هذا ذهب الشافعي رحمه الله ، وأما عمر فإنه لما ولي الخلافة فضل بعض الناس على بعض ، ففضل السابقين على غيرهم ، وفضل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين ، وفضل المهاجرين كافة على الأنصار كافة ، وفضل العرب على العجم ، وفضل الصريح على المولى ، وقد كان أشار على أبي بكر أيام خلافته بذلك ، فلم يقبل ، وقال : إن لم بفضل أحدا على أحد ، ولكنه قال : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ ^(١) ، ولم يخص قوما دون قوم ، فلما أفضت إليه الخلافة عمل بما كان أشار به أولا . وقد ذهب كثير من فقهاء المسلمين إلى قوله ، والمساءة محل اجتihad ، والإمام أن يعمل بما يؤديه إليه اجتihadه ، وإن كان اتباع على عليه السلام عندنا أولى ، لا سيما إذا عظمه موافقة أبي بكر على المسألة ، وإن صح الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله سوتى ، فقد صارت المسألة منصوحا عليها ، لأن فعله عليه السلام كقولهم .

(١٣٧)

الأصل

ومن كلام له عليه السلام قاله للخوارج أيضا :

فَإِنْ أُبَيِّنْتُ إِلَّا أَنْ تَزُومُوا أَنِّي أَخْطَلْتُ وَضَلَلْتُ ، فَلَيْمَ تُضَلُّونَ عَائِدَةً أُمِّهِ مُحَمَّدٍ
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - بِضَلَالٍ ، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطِيئَةٍ ، وَتُكْفَرُونَهُمْ بِذُنُوبٍ اسْتَوْفَكُمُ عَلَى
هَوَائِيكُمْ تَصْمُونَهَا مَوَاضِعَ الْهَمِّ وَالسُّقْمِ ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يَذْنِبْ ، وَقَدْ
عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجَمَ الرَّائِيَ لِلْحَصَنِ ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ، ثُمَّ وَرَّثَهُ
أَهْلُهُ ، وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلُهُ ، وَقَطَعَ يَدَ السَّارِقِ وَجَلَدَ الرَّائِيَ غَيْرَ الْحَصَنِ ،
ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ النَّارِ ، وَنَكَحَا لِلْسُّلَمَاتِ ، فَآخَذَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
بِذُنُوبِهِمْ ؛ وَأَقَامَ حَقَّ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَحْهُمْ سَهْنَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يُخْرِجْ
أَتَمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ . ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ ، وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ
وَضَرَبَ بِهِ رِيثَهُ . وَسَيَهْلِكُ فِي صِنْفَانِ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْخَلْقِ ،
وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْخَلْقِ . وَخَيْرُ النَّاسِ فِي حَالِ النَّسْطِ الْأَوْسَطُ
فَالزُّمُّوهُ ، وَالزُّمُّوا السُّوَادَ الْأَعْظَمَ ؛ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ ؛ وَإِيَّاكُمْ وَالْفِرْقَةَ ،
فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ شَيْطَانٌ ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّعَمِ لِدَنْبٍ .

أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هَذَا الشَّعَارِ فَاغْلُوه ؛ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ حِمَاتِي هَذِهِ ؛ فَلِئِمَّا حُكِّمَ

الْمُسْلِمَانِ يُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ ، وَيُمَيِّتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ ، وَإِحْيَاؤُهُ الْأَجْبَاعُ عَلَيْهِ ،
وَأَمَاتُتُهُ الْأَفْعِرَاقُ عَنْهُ ؛ فَإِنْ جَرَرْنَا الْقُرْآنُ إِلَيْهِمْ أَتَبَعْنَاهُمْ وَإِنْ جَرَرَهُمْ إِلَيْنَا أَتَّبَعُونَا ؛
فَلَمْ آتِ لَا أَبَا لَكُمْ بُحْرًا ، وَلَا خَتْلُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ ، وَلَا لَبْسُهُ عَلَيْكُمْ .
إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَائِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ ، أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا إِلَّا يَتَعَدَّيَا
الْقُرْآنَ ، فَتَاهَا عَنْهُ ، وَتَرَكََا الْحَقَّ وَهَمَّا يُبَصِّرَانِي ؛ وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا ، فَضَيَّا عَلَيْهِ ،
وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمَةِ بِالْمَدْلِ ، وَالصِّدْقِ لِلْحَقِّ سَوَاءً رَأَيْتُمَا ،
وَجَوْرَ حُكْمِيهِمَا .

الْمُبْنِي :

ليس لقائل أن يقول له عليه السلام معذرا عن الخوارج : إنهم إنما ضلوا عامة أمة
محمد صلى الله عليه وآله ، وحكموا بغير علم وكفروهم وقتلهم بالسيف خطأ ، لأنهم وافقوك
في تصويب التعكيم ؛ وهو منهم كفر فلم يؤاخذوهم بذلك كما قلت لم ؟ وذلك لأن
أمر المؤمنين عليه السلام ما قال هذه لفظة إلا لمن رأى منهم استعراض العامة ، وقتل
الأطفال حتى البهائم ، فقد كان منهم قوم فعلوا ذلك . وقد سبق ميتا شرح أفعالهم
ووقائعهم بالناس ، وقالوا : إن الدار دار كفر لا يجوز الكف عن أحد من أهلها ،
فهؤلاء هم الذين وجه أمير المؤمنين عليه السلام إليهم خطابه وإنكاره ، دون غيرهم من
فرق الخوارج .

[مذهب الخوارج في تكفير أهل الكبائر]

واعلم أن الخوارج كلها تذهب إلى تكفير أهل الكبائر ، والله كفروا عليها
عليه السلام ومن اتبعه على تصويب التعكيم ؛ وهذا الاحتجاج الذي احتج به عليهم
(٨ - نهج ٨)

لازم وصحيح ؛ لأنه لو كان صاحب الكفرة كافراً لما صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا ورثته من السلم ، ولا مكنته من نكاح اللوات ، ولا قسم عليه من النفي . ولا أخرجه عن لفظ الإسلام .

وقد اختلفت الحواارج لذهبا بوجوه :

منها قوله تعالى : ﴿ وَفِي عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ أَفْ غَيِّ عَنْ الْمَالِئِينَ ﴾ ^(١) ، قالوا : فجعل تارك الحج كافراً .

والجواب أن هذه الآية مجملة ، لأنه تعالى لم يبين ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ بماذا ؟ فيحتمل أن يريد تارك الحج ، ويحتمل أن يريد تارك اعتقاد وجوبه على من استطاع إليه سبيلاً ، فلا بد من الرجوع إلى دلالة ، والظاهر أنه أراد لزوم الكفر لمن كفر باعتقاد كون الحج غير واجب ؛ ألا تراه في أول الآية قال : ﴿ وَفِي عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ ، فأبنا عن اللزوم ، ثم قال : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ بلزوم ذلك ؛ ومن قول : إِنْ مَنْ لَمْ يَحِلْ : لله على الناس حج البيت ، فهو كافر .

ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يَبْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٢) ، قالوا : والفاسق لفسق وإصراره عليه آيس من روح الله ، فكان كافراً .

والجواب أننا لا سلم أن الفاسق آيس من روح الله مع تجويزه تلاقى أمره بالتمرد والإفلاخ ؛ وإنما يكون اللؤس مع القطع ، وليس هذه صفة الفاسق ، فأما الكافر الذي يجحد الثواب والعقاب ، فإنه آيس من روح الله ، لأنه لا تحظر له التوبة والإفلاخ ، ويقطع على حسن مقتضاه .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٣) وكل من ترك التكبر للذنوب فقد حكم بغير ما أنزل الله . ولم يحكم بما أنزل الله .

والجواب أن هذا مقصور على اليهود؛ لأن ذكرهم هو المقدم في الآية؛ قال سبحانه ونمالي: ﴿تَمَّاعُونَ لِكُدِّبِ أ كَالُونَ لِمُشْتِ﴾^(١) ثم قال عقيب قوله: ﴿أَمْ لِكَاْفِرُونَ﴾: ﴿وَقَتَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِيَسَىٰ بِنِ مَرِيَمَ﴾^(٢) فدل على أنها مقصورة على اليهود.

ومنها قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَغَّى • لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى • الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾^(٣)، قالوا: وقد انتقمنا مع المتزلة على أن الفاسق يصل النار، فوجب أن يسمى كافرا.

والجواب، أن قوله تعالى: ﴿نَارًا﴾ نكرة في سياق الإثبات فلا نعم، وإنما نعم النكرة في سياق النفي؛ نحو قوله: «ما من همار من رجل»؛ وغير ممسح أن يكون في الآخرة نار مخصوصة لا يصلها إلا الذين كذبوا وتولوا، ويكون لفساق نار أخرى غيرها.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَن جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٤)، قالوا: والفساق محيط به جهنم، فوجب أن يكون كافرا.

والجواب أنه لم يقل سبحانه: «وَأَن جَهَنَّمَ لَا تَحِيطُ إِلَّا بِالْكَافِرِينَ» وليس يلزم من كونها محيطة بقوم ألا تحيط بقوم سوام.

ومنها قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ أُسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بِنِدَائِنَا فَنَذَرُكُمْ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾^(٥)، قالوا:

(١) سورة المائدة ٤٣

(٢) سورة المائدة ٤٦

(٣) سورة البيل ١٤ - ١٦

(٤) سورة التوبة ١٩

(٥) سورة آل عمران ١٠٧

والفاسق لا يجوز أن يكون ممن أبيضت وجوههم ، فوجب أن يكون ممن اسودت ،
وجوب أن يستى كافرا ، لقوله : ﴿ إِنَّمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ .

والجواب أن هذه القصة ليست مطابقة ؛ فيجوز أن يكون المكفرون ثلاثة أقسام :
بعض الوجوه ، وسود الوجوه ؛ وصنف آخر ثالث بين اللونين ؛ وهم الفاسق .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ • صَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ • وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ
عَلِيهَا غِمْرَةٌ تَرَاهُمْ قَرَقَرَةٌ • أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْعَجَرَةُ ﴾ ^(١) ، قالوا : والفاسق على
وجهه غيرة ، فوجب أن يكون من الكفرة والفجرة .

والجواب ، أنه يجوز أن يكون الفاسق قسما ثالثا لا غيرة على وجوههم ، ولا هي مسفرة
صاحكة ، بل على ما كانت عليه في دار الدنيا .

ومنها قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ إِنَّمَا تَكْفُرُوا وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٢) .
قالوا : والفاسق لا بد أن يجازى ، فوجب أن يكون كفورا .

والجواب ، أن المراد بذلك : « وهل يجازى بقطب الاستئصال إلا الكفور » ؛
لأن الآية وردت في قصة أهل سبأ ، لكونهم استؤصلوا بالمقوبة .

ومنها أنه تعالى قال : ﴿ إِنِّي عَاهِدِي لَئِن لَّيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنَ أَنْتَ مِنْ
الْغَاوِينَ ﴾ ^(٣) ، وقال في آية أخرى : ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ
مُشْرِكُونَ ﴾ ^(٤) ، فجعل الغاوى الذى يتبعه مشركا .

والجواب أننا لا نسلم أن لفظة « إنما » تعيد المحصر ؛ وأيضا فإنه عطف قوله :

(١) سورة عبس ٣٨ - ٤٢

(٢) سورة سبأ ٤٧

(٣) سورة الحجر ٤٧

(٤) سورة النحل ١٠٠

(وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) على قوله : (الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ) ، فوجب أن يثبت التشاير بين الفريقين ، وهذا مذهبنا ، لأن الذين يتولونه هم الفاسق ، والذين هم به مشركون هم الكفار .

ومنها قوله تعالى : (وَأَمَّا الَّذِينَ فَتَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ) إلى قوله تعالى : (وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) ^(١) فجعل الفاسق مكذبا .
والجواب ، أن المراد به الذين فتقوا من الدين ، أى خرجوا عنه بكفرهم ، ولا شبهة أن مَنْ كان فسقه من هذا الوجه فهو كافر مكذب ، ولا يلزم منه أن كل فاسق على الإطلاق فهو مكذب وكافر .

ومنها قوله تعالى : (وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَتَحَدُّونَ) ^(٢) ، قلوا: فأثبت الظالم جاحدا ، وهذه حفة الكفار .
والجواب أن المكلف قد يكون ظالما بالسرقة والزنا ، وإن كان عارفا بالله تعالى ، وإذا جاز إثبات ظالم ليس بكافر ولا جاحد بآيات الله تعالى ، جاز إثبات فاسق ليس بكافر .
ومنها قوله تعالى : (وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) ^(٣) .
والجواب ، أن هذه الآية تدل على أن الكافر فاسق ، ولا تدل على أن الفاسق كافر .

ومنها قوله تعالى : (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَالِحُونَ) • وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ • تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ • أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُقَلِّعُ عَنْثَتَكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ) ^(٤) .

(١) سورة السجدة ٢٠

(٢) سورة الأنعام ٣٣

(٣) سورة التور ٥٥

(٤) سورة الأعراف ١٠٢ - ١٠٥

فمن سبحانه على أن من تخف موازينه يكون مكذبا ، والقاسق تخف موازينه ، فكان مكذبا ، وكل مكذب كافر .

والجواب أن ذلك لا يمنع من قسم ثالث ، وهم الذين لا تخف موازينهم ولا تنقل ؛ وهم القاسق ، ولا يلزم من كون كل من خفت موازينه يدخل النار ألا يدخل النار إلا من خفت موازينه .

ومنها قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فِيمَكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ ^(١) ، وهذا يقتضي أن من لا يكون مؤمنا فهو كافر ، والقاسق ليس بمؤمن ، فوجب أن يكون كافرا .

والجواب أن « من » هاهنا للتبويض ، وليس في ذكر التبويض في الثالث ، كأن قوله : ﴿ فِيمَنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾ ^(٢) ؛ لا ينفى وجود دابة تمشي على أكثر من أربع كبعض الحشرات .

•••

ثم نعود إلى الشرح :

قوله عليه السلام : « ومن رمى به الشيطان مراميه » ، أي أصله كأنه رمى به مرعى بعيدا ، فضل عن الطريق ؛ ولم يهتد إليها .

قوله : « وضرب به تبهه » أي حيره وجملة تأثها .

ثم قال عليه السلام : يهلك في رجلان ، فأحدهما من أفرط حبه له واعتقاده فيه حتى ادعى له الحلول كما ادعت النصارى ذلك في المسيح عليه السلام ، والثاني من أفرط بنضه له ، حتى حاربه ، أو لعنه ، أو برى منه ، أو أبغضه ؛ هذه المراتب الأربع ؛ والبغض أدناها ، وهو

(١) سورة التين ٢

(٢) سورة النور ٤٥

مُؤَيَّنٌ مَهْلِكٌ ! وفي الخبر الصحيح للثَّقَفِ عليه أنه لا يَحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يُبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ ؛
وحسبك بهذا الخبر ، ففيه وحده كفاية .

[فصل في ذكر الغلاة من الشيعة والنصيرية وغيرهم]

فَأَمَّا الْغَلَاةُ فِيهِ فَهَالِكُونَ كَمَا هَلَكَ الْغَلَاةُ فِي عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَقَدْ رَوَى الْمُحَدِّثُونَ
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « فَيْكَ مِثْلٌ مِنْ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ ،
أَبْغَضْتَهُ الْيَهُودُ فَبَهَتَتْ أُمَمُهُ ، وَأَحْبَبْتَهُ النَّصَارَى فَرَفَعْتَهُ فَوْقَ قَدْرِهِ » ، وَقَدْ كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
عِثْرَ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَصْحَابِهِ خَرَجُوا مِنْ حَدِّ مَحَبَّتِهِ بِاسْتِعْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ أَنْ كَفَرُوا
بِرَبِّهِمْ ، وَجَعَلُوا مَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّهُمْ ، فَاتَّخَذُوهُ رُبًّا وَادَّعَوْهُ إِلَهًا ، وَقَالُوا لَهُ : أَنْتَ خَالِقُنَا ؛
وَرِازِقُنَا ، فَاسْتَأْجَبَهُمْ ، وَاسْتَأْنَى وَتَوَعَّدَهُمْ فَأَقَامُوا عَلَى قَوْلِهِمْ ، فَخَرَّ لَمْ حَقَرًا دَخَنَ عَلَيْهِمْ
فِيهَا ، طَمَعًا فِي رَجوعِهِمْ ، فَأَبَوْا الْفِرْقِيهِمْ ، وَقَالَ :

أَلَا تَرَوْنِي قَدْ حَفَرْتُ حَفْرًا كَثِيرًا إِذَا رَأَيْتُ أَمْرًا مَكْرًا

• أَوْ قَدْ تَرَى وَدَّعَوْتُ قَنْبَرًا •

وَرَوَى أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَارٍ الثَّقَفِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلْيَانَ بْنِ حَبِيبٍ
الْمُصَوِّفِ ، الْمُرُوفِ بَنُوَيْنَ ، وَرَوَى أَيْضًا عَنْ حُلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيِّ عَنْ شَيْخِهِ ، أَنَّ عَلِيًّا
عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّ بِقَوْمٍ وَهُمْ بِأَكْلُونِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ نَهَارًا ، فَقَالَ : أَسْفَرَأَمْ مَرْضَى ؟
قَالُوا : لَا وَلَا وَاحِدَةً مِنْهُمَا ، قَالَ : فَمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْتُمْ فَتَمَسَّكُمْ الْقَمَّةُ وَالْجُزْيَةُ ؟ قَالُوا :
لَا ، قَالَ : فَمَا بَالُ الْأَكْلِ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ ؟ قَامُوا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا : أُنْشَدْنَا نَتِ الْيَوْمِ إِلَى
رَبِّهِ يَنْتَهُ ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ فَرَسِهِ ، فَأَلْصَقَ حَذَاهُ بِالْأَرْضِ ، وَقَالَ : وَيْلَكُمْ ! إِنَّمَا
أَنَا عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَارْجِعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ . فَأَبَوْا فَدَعَاهُمْ مَرَارًا ، فَأَقَامُوا
عَلَى كُفْرِهِمْ ، فَهَضَّ إِلَيْهِمْ ، وَقَالَ : شَذُّوهُمْ وَثَانًا ، وَعَلَى بِالْقَمَّةِ وَالنَّارِ وَالْحَطَابِ ، ثُمَّ أَسْرَ

بحفر بئرين خفرتا ، إحداهما سرّاً والأخرى مكشوفة ، وألقى الحطب في المكشوفة ،
 وفتح بينهما فصحا ، وألقى النار في الحطب ، فدخن عليهم ، وجعل يهتف بهم ، ويناشد
 لهم رجوعا إلى الإسلام ، فأبوا ، فأمر بالحطب والنار فألقى عليهم ، فأحرقوا ، فقال الشاعر :

لترمى للنبيّ حيثُ شئتَ إذا لم ترمي في المحترئين
 إذا ما حُتّما حطباً بدار فذاك الموتُ هدفاً غيرَ دينٍ

قال : فلم يبرح عليه السلام حتى صاروا حطباً .

ثم استمرت هذه للفة سنة أو نحوها ، ثم ظهر عبد الله بن سبا وكان يهوديا يتستر
 بالإسلام بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام فأظهرها ، واتبعه قومٌ فسوا السبئية^(١) ،
 وقالوا : إن عليا عليه السلام لم يمت ، وإنت في السماء ، والرعد صوته والبرق صوته ؛ وإذا
 سمعوا صوت الرعد ، قالوا : السلام عليك يا أمير المؤمنين ؛ وقالوا في رسول الله صلى الله
 عليه وآله أغلظ قول ، وافترؤا عليه أعظم فريضة فقالوا : كنتم تسعة أعشار الوحي ،
 ففنى عليهم قولهم الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية رضى الله عنه في رسالته ، التي
 يذكر فيها الإرجاء ، رواها عنه سليمان بن أبي شيخ ، عن الهيثم بن معاوية ، عن
 عبد العزيز بن أبان ، عن عبد الواحد بن أيمن السكي ، قال : شهدت الحسن بن علي بن
 محمد بن الحنفية ينبل هذه الرسالة ، فذكرها وقال فيها : ومن قول هذه السبئية : هدينا
 لوحى ضلّ عنه الناس ، وعلم خفى عنهم ؛ وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله كنتم
 تسعة أعشار الوحي ؛ ولو كنتم صلى الله عليه وآله شيئا مما أنزل الله عليه لكنتم شأن أمراء
 زيد ، وقوله تعالى : ﴿ تَبَيَّنَتِ مَرْضَاتُ أَزْوَاجِكَ ﴾^(٢) .

(١) السبئية هم أول فرقة دلت بالتوفيق والنية والرجوع ، وكانت بتناسخ الجزء الإلهي بعد علي رضى
 الله عنه . وانظر اللؤلؤ والنحل للشهرستاني ١ : ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٢) سورة التهميم ١

ثم ظهر للنيرة بن سعيد^(١) ، مولى بجمية ، فأراد أن يحدث نفسه مقالة يستهوى بها قوماً ، ويغال بها ما يريد الظفر به من الدنيا ، فملا في علي عليه السلام ، وقال : لو شاء علي لأحيا عاداً وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا .

وروى علي بن محمد الوفاي ، قال : جاء للنيرة بن سعيد ، فاستأذن علي أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ، وقال له : أخير الناس أني أعلم الغيب ، وأنا أطيبك العراق ، فزجره أبو جعفر زجراً شديداً ، وأسمه ما كره ، فانصرف عنه ، فأتى أبا هاشم عبد الله ابن محمد بن الحنفية رحمه الله ، فقال له مثل ذلك - وكان أبو هاشم أبداً - فوثب عليه فضربه ضرباً شديداً أشنى به علي اللوث ، ففعل حتى برى ، ثم أتى محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن رحمه الله - وكان محمد سكيتاً^(٢) - فقال له كما قال الرجلين ، فسكت محمد فلم يجبه ، ففرج وقد طلع فيه بسكوته ، وقال : أشهد أن هذا هو المهدي الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنه قائم أهل البيت ، وادعى أن علي بن الحسين عليه السلام أوصى إلى محمد بن عبد الله بن الحسن . ثم قدم للنيرة الكوفة ، وكان مشهداً ، فلما الناس إلى قوله ، واستهوام واستغوام ، فاتبه خلق كثير ، وادعى علي محمد بن عبد الله أنه أذن له في خلق الناس وإسقاطهم السوم ، وحث أصحابه في الأقطار بضمون ذلك بالناس ، فقال له بعض أصحابه : إنا نخش من لا نعرف ، فقال : لا عليكم ! إن كان من أصحابكم يجلسوه إلى الجنة ، وإن كان من عدوكم يجلسوه إلى النار ؛ ولهذا السبب كان للنصور يسي محمد بن عبد الله الخلق ، وينعه ما أذناه عليه للنيرة . ثم تظلم أمر الخلافة بعد النيرة ، وأمنوا في الخلافة ، فادعوا حلول الذات الإلهية

(١) هو النيرة بن سعيد الجلي ، مولى خالد بن عبد الله القسري ، ادعى الإمالة لنفسه بعد الإمام محمد بن علي بن الحسين ، وبعد ذلك ادعى النبوة لنفسه ، واستحل الحرام ، وخلال في خلوا لا يحسنه مائل ، وزاد في ذلك قوله بالتفويه ، الفهرست ١ : ١٥٥ .
(٢) السكيت ، على الصنيع : السكبة السكون .

للقدسة في قوم من سلاة أمير المؤمنين عليه السلام ، وقالوا بالتناسخ ، وجعلوا البعث والنشور ، وأسقطوا الثواب والعقاب ، وقال قوم منهم : إن الثواب والعقاب إنما هو ملاذ هذه الدنيا ومشاقها ، وتولدت من هذه المذاهب القديمة التي قال بها سلفهم مذاهبُ أخس منها قال بها خلفهم ، حتى صاروا إلى اللقاة المعروفة بالتصيرية^(١) ، وهي التي أحدثها محمد بن نصير النخعي ، وكان من أصحاب الحسن العسكري عليه السلام ، واللقاة المعروفة بالإسعافية وهي التي أحدثها إسحاق بن زبد بن الحارث ، وكان من أصحاب عبد الله ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، كان يقول بالإباحة وإسقاط التكليف ، وبثبت لعل عليه السلام شركة مع رسول الله صلى الله عليه وآله في النبوة على وجه غير هذا الظاهر الذي يعرفه الناس ؛ وكان محمد بن نصير من أصحاب الحسن بن علي بن محمد ابن الرضا ، فلما مات ادعى وكالة لابن الحسن الذي تقول الإمامية بإمامته ، ففضحه الله تعالى بما أظهره من الإلحاد والعترة والقول بتناسخ الأرواح ، ثم ادعى أنه رسول الله وبنو من قبل الله تعالى ، وأنه أرسله علي بن محمد بن الرضا ، وجحد إمامة الحسن العسكري وإمامة ابنه ، وادعى بعد ذلك الربوبية ، وقال بإباحة المحارم .

والعلة أقوال كثيرة طويلة مريضة ؛ وقد رأيتُ أنا جماعة منهم ، وسمعت أقوالهم ، ولم أرفهم محصلاً ، ولا مَنْ يستحق أن يخاطب ؛ وسوف أسقصي ذكرَ فرقي الفلاة وأقوالهم في الكتاب الذي كنت منشغلاً بجمعه ، وقطعتُ عنه اهتمامي بهذا الشرح ، وهو الكتاب المسمى " بمقالات الشيعة " إن شاء الله تعالى .

• • •

تقرؤه عليه السلام : « والزموا السواد الأعظم » ؛ وهو الجماعة ، وقد جاء في الخبر عن

رسول الله صلى الله عليه وآله هذه القفلة التي ذكرها عليه السلام، وهي : « يد الله على الجماعة ولا يبالى بشذوذ من شذ » ، وجاء في معناها كثير ، بحرقه عليه السلام : « الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » ، وقوله : « لا تجتمع أمتي على خطأ » ، وقوله : « سألت الله ألا تجتمع أمتي على خطأ ، فأعطانيها » ، وقوله : « ما رأه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن » ، وقوله : « لا تجتمع أمتي على ضلالة » ، و « سألت ربي ألا يجتمع أمتي على ضلالة فأعطانيها » . و « لم يكن الله ليجمع أمتي على ضلال ولا خطأ » .

وقوله عليه السلام : « عليكم بالسواد الأعظم » ، وقوله : « من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام عن عنقه » .

وقوله : « من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية » ، وقوله : « من سره بمحو حجة البينة غلزم الجماعة » .

والأخبار في هذا المعنى كثيرة جدا .

ثم قال عليه السلام : « من دنا إلى هذا الشمارق قلوه » ، يعني الموارج ، وكان شمارم أنهم يميلون وسط رموسهم ويبقى الشر مستديرا حوله كالإكليل .

قال : « ولو كان تحت عمامتي هذه - أي لو اعصم واحتص بأعظم الأشياء حرمي فلا تكفوا عن قلوه » .

ثم ذكر أنه إنما حكم المسكان ليحييا ما أحياه القرآن ، أي ليجتمعوا على ما شهد القرآن بالصوابه واستصلاحه ، ويميتا ما أماته القرآن ، أي ليفترقا ويصدأ ويكلاهما كرمه القرآن ، وشهد بضلاله .

والجبر ، بضم الجاء : الشر العظيم ، قال الرازي :

• أرى عليها وهي شئ يجبر •

أى داهية .

ولا خَلَّتْكُمْ ، أى خدعتكم ، خَتَّةٌ وخَانَةٌ : أى خدعه ، والخَفَاتِلُ : الخفادع .
ولا لَيْتَ عليكم ؛ أى جعلته مثبهاً مثبهاً ، أَلَيْتَ عليهم الأمر البسه
بالكسر .

وللأُ : الجماعة من الناس . والصَّئِدُ : القميد .

قال : سبق شرطنا سوء رأيهما ، لأننا اشترطنا عليهما فى كتاب الحكومة ملامضة
عليها ؛ مع تأتله فيما ففلاه من اتباع الموى وترك النصيحة للدين .

(١٢٨)

الأفضل :

ومن كلام له عليه السلام فيما يخبر به عن اللام بالبصرة :

بِأَحْسَنِّ ، كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْبَيْتِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلَا جَبٌّ ،
وَلَا قِصَّةٌ جُمٌّ ، وَلَا حَمَمَةٌ خَلِيلٌ ، يُشِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَفْدَامِهِمْ كَأَنَّهُمْ أَقْدَامُ
النَّعَامِ .

— قال الشريف الرضي أبو الحسن رحمه الله تعالى : يؤمن بذلك إلى صاحب
الزَّيْفِ —



ثم قال عليه السلام :

قِيلَ لِيَكِيكُمُ التَّامِرَةُ ، وَالْأَثُورُ لِلزَّخْرَفَةِ ، فَبَقِيَ لَهَا أَجْنَعَةٌ كَأَجْنَعَةِ
النَّسُورِ ، وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الْفَيْفَةِ ؛ مِنْ أَوْلِيَّتِكَ الَّذِينَ لَا يَنْدَبُ قَتِيلُهُمْ مَوْلَا يُفْقَدُ
غَايِبُهُمْ .

أَنَا كَأَبُ الْوُثْيَا يُوجِبُهَا ، وَطَائِرُهَا يَقْدِرُهَا ، وَتَطِيرُهَا يَسْتَوْجِبُهَا !



التفسير :

الاجب : الصوت . والأثور للزخرفة : للزينة للموتحة بالزخرف ، وهو الذهب .
وأجنع النور التي شبهها بأجصة النور : رواثينها . والخراطيم : ميازيبها .

وقوله : « لا يندب قتلهم » : ليس يريد به من يقتلونه ، بل القتل منهم ؛ وذلك لأن
أكثر الزنج الذين أشار إليهم ؛ كانوا عبيد الهذليين البصرة وبغداد ، ولم يكونوا ذوي
زوجات وأولاد ، بل كانوا على هيئة الشطار عزابا فلا نادرة لهم .
وقوله : « ولا يفقد غائبهم » يريد به كثرتهم وأنهم كلما قتل منهم قتل سد مسدده
غيره ، فلا يظهر أثر قده .

وقوله : « أنا كابت الدنيا لوجهها » ، مثل الكلمات الحكيمية عن عيسى عليه السلام :
أنا الذي كبيت الدنيا على وجهها ، ليس لي زوجة نموت ، ولا بيت يخرب ، ولا يدى الحبر
وفراشى المدر ، وسراجى القصر .



[أخبار صاحب الزنج وقتل وما اتحلته من عقائد]

فأما صاحب الزنج^(١) هذا فإنه ظهر في قرأت البصرة في سنة خمس وخمسين ومائتين
رجل زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن جيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي
طالب عليه السلام ، فيه الزنج الذين كانوا يكسحون^(٢) السبخ في البصرة .
وأكثر الناس يقدحون في نسبه وخصوصا الطالبيين .. وجهور النساء ينفقوا على

(١) ذكره صاحب الأعلام فقال : « علي بن محمد الرزني الملقب بصاحب الزنج » من كبار
أصحاب الفتن في العهد العباسي ، وقتله مروان بن محمد الزنجي لأن أكثر أنصاره منهم . ولد ونشأ في
ورزبين ، إحدى قرى الري ، وظهر في أيام المهدي بالله العباسي ، سنة ٢٥٥ هـ ، وكان يرى رأى
الأزارقة ، وأتلف حوله سوادا من أهل البصرة ورامها ، فملكها واستولى على الأبدية ، وتاهت عنه
الجيش ؛ فكان يظهر عليها ويشتها ؛ ونزل البطائح ، وملك الأهواز ، وأغار على واسط ، وبعث
عند جيشه جماعات ألف مقاتل ، وجعل مقامه في قصر أئمنه بالختارة ، وبجز عن قتاله الخفاء ؛ حتى ظهر
به للوفيق بالله ، فقتله ، وبعث برأسه إلى بغداد . قال للزنجي : تروى له أخبار كثيرة في الهلاك والهلاك
كان يقولها ويحلها غيره ، وفي نسبه الملقب بطن وخلاف .
(٢) كبح البيت : كنهه ؛ ثم أصبح لتلبية البئر والنهر وغيره .

أنه من عبد القيس ، وأنه علي بن محمد بن عبد الرحيم ، وأمه أسديّة من أسد بن خزيمه ،
جدها محمد بن حكيم الأمدي ، من أهل الكوفة ، أحد الخارجين مع زيد بن علي
ابن الحسين عليه السلام قتل هشام بن عبد الملك ، فمات قتل زيد ، هرب فلتحق بالرقي
وجاء إلى القرية التي يقال لها وِزْرَيْن ، فأقام بها مدة ، وبهذه القرية ولد علي بن محمد
صاحب الزنج ، وبها منشؤه ، وكان أبو أيه المستي عبد الرحيم رجلاً من عبد القيس ،
كان مولده بالطالقان ، فقدم العراق ، واشترى جارية سندية ، فأولدها محمداً أباه .

وكان علي هذا متصلاً بجماعة من حاشية السلطان وخول بني العباس ، منهم فاضل
الشرنجي ، وصعيد الصغير ، وبشر^(١) ، خادم للتصريف ؛ وكان منهم معاشه ومن قوم من
كتاب الدولة يمدحهم ويستمنحهم بشعره ، ويعلم الصبيان الخط والنحو والنجوم ، وكان
حسن الشعر^(٢) مطبوعاً عليه ؛ فصيح اللمعة ؛ بديع اللمعة ، تسو نفسه إلى معالي الأمور ،
ولا يجد إليها سبيلاً ؛ ومن شعره القصيدة المشهورة التي أولها :

(١) الطبري : د بشر .

(٢) وذكره الرزائي في معجم الشعراء ٢٩ ، قال : تروى له أشعار كثيرة في الهجاء والفتك ؛
سمعت ابن دريد يذكر أنها - أو أكثرها - له ؛ لأنه كان يقولها ويحلقها لنفسه ، وقرئت عليه بمضيق
فاحترق بها . قال : وفيها يروى لعل لا حرب من الشعر التي كان فيها في اليوم الذي قتل فيه :

عَلَيْكَ سَلَامٌ أَفْهِ يَا خَيْرَ مَنْزِلٍ خَرَجْنَا وَحَلَفْنَا غَيْرَ ذَمِيمٍ
فَإِنْ تَكُنِ الْآيَاتُ أَحَدُنْ فِرْقَةً فَنَ ذَا الَّذِي مِنْ رَيْبِينَ سَلِيمٍ

وله :

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى قُصُورٍ بَيْنَنَا د ، وَمَا قَدْ حَوَتْهُ كُلُّ عَاصِي
وَحُورٍ هُنَاكَ تُشْرَبُ جَهْرًا وَرِجَالٍ عَلَى الْمَعَامِي حِرَامِي
لَسْتُ بِابْنِ الْفَوَاطِيرِ الْفَرَّانِ لَمْ أَجَلِ انْتِخِلَ حَوْلَ تِلْكَ الْعِرَامِي

رَأَيْتُ الْقَسَامَ عَلَى الْإِحْصَادِ قُدُومًا بِهِ ذَلَّةٌ فِي الْعِيَادِ
وَمِنْ جَهَنَّمَا :

إِذَا الْفَارَ خَلَقَ بِهَا زَنْدُهَا فَضَحَّتْهَا فِي فِرَاقِ الزَّنَادِ
إِذَا صَارَ قَرَّةً فِي غَيْسِ سِدِّهِ حَوَى غَيْرُهُ السَّبَقَ يَوْمَ الْجَلَادِ
وَمِنْ الشُّعْرِ لِلنَّسُوبِ إِلَيْهِ :

وَأَنَا لَصَبِيحُ أَهْلَانَا إِذَا مَا اقْتَضَيْنَ لِيَوْمٍ سَقُوكِ
مُنَاجِرَهْنَ بَطُونُ الْأَكْفِ وَأَغَادَهْنَ دَهْشُ لِلْهَلُوكِ
وَمِنْ شِعْرِهِ فِي الْغَزَلِ :

وَلَمَّا نَبِيتَ لِلنَّسَائِلِ بِالْحَمَى وَلَمْ أَقْضِ مِنْهَا حَاجَةَ الْفُورِدِ
زَفَرْتُ إِلَيْهَا زَفْرَةً لَوْ حَشَرْتُهَا سِرَاطِيلُ أَبْدَانِ الْحَمْدِيدِ لِلْمُرْدِ^(١)
لَرَقْتُ حَوَائِشِهَا ، وَظَلَّتْ مَعُونُهَا تِلْكَ سَكَا لَأَنْتَ دَاوُدَ فِي الْيَدِ
وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا :

وَإِذَا تَنَازَعْنِي أَقُولُ لَهَا قَرِي مَوْتُ يَرْيَحُكَ أَوْ صُودَ لِلنَّيْرِ
مَا قَدْ قُضِيَ سَيَكُونُ فَاصْطَبِرِي هَ وَلَكِ الْأَمَانُ مِنْ النَّذَى لَمْ يَخْدِرْ

•••

وقد ذكر السعدي في كتابه المسمى "مروج الذهب" ، أن أفضال علي بن محمد صاحب
الزنج ، تدل على أنه لم يكن طالباً بتصدق ما رُمي به من دعونه في النسب ؛ لأن ظاهر
حال كان دُعَايِهِ إِلَى مَذْهَبِ الْأَزَارِقَةِ ، فِي قَتْلِ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ وَالشُّعْخِ الْفَاقِي وَالرَّيْضِ ،

(١) البدين : الفرع القصيرة ؛ وجه أهدان .

وقد روي أنه خطب مرة ، فقال في أول خطبته : لا إله إلا الله والله أكبر ، الله أكبر لا حُكْمَ إلا لله ، ، وكان يرى الذنوب كلها شِرْكاً ^(١) .

ومن الناس من يظن في دينه ويرمي به بارتدقة والإلحاد ؛ وهذا هو الظاهر من أمره ، لأنه كان متشغلاً في بدايته بالتنجيم والسحر والاصطرلابات .



وذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ^(٢) ، أن علي بن محمد شخص من سائراء وكان يلم الصبيان بها ، ويذبح الكتائب ، ويستبيع الناس ، في سنة تسع وأربعين ومائتين إلى البحرين ، فقام بها أنه علي بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن عباس بن علي ابن أبي طالب عليه السلام ، ودعا الناس بهجر إلى طاعته ، فأتته جماعة كثيرة من أهلها ، واتبه ^(٣) جماعة أخرى ؛ فكانت بسببه بين الذين اتبعوه والذين أبوء عصبية ، قتل فيها بينهم جماعة ، فاقتل منهم ثمانين ذلك إلى الأحساء ، وضوى ^(٤) إلى حتى من بني تميم ، ثم من بني سعد يقال لهم بنو الشماس ، فكان بينهم مقامه ؛ وقد كان أهل البحرين أحلوه من أنفسهم محل النبي صلى الله عليه وآله فيها ذكره حتى جئوا بالخراج هناك ، وخذ حُكْمَ فيهم ، وكانوا أسباب السلطان لأجله ، ووترتهم جماعة كثيرة ، فقتلوا له ، ففتول عنهم إلى البادية . ولما اختلف إلى البادية صحبه جماعة من أهل البحرين ، منهم رجل يقال من أهل الأحساء ، يقال له يحيى بن محمد الأزرق ، مولى بني دارم ، ويحيى بن أبي

(١) مروج الذهب ٤ : ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ : ١٧٤٣٠ وما بعدها (طبع أوربا) .

(٣) في الطبري : ٥ وأوجه جماعة آخر .

(٤) ضوى : القبا والنظم .

مطلب ، وكان تاجراً من أهل قَجَر ، وبضع موالٍ بنى حفظة أسود يقال له سليمان ابن جامع ، وكان قائد جيشه حيث كان بالبحرين .

ثم تنقل في البادية من حى إلى حى ، فذكر عنه أنه كان يقول : أوتيتُ في تلك الأيام آياتٍ من آياتِ إمامي ، منها أني نفيتُ سوراً من القرآن لم أكن أحفظها ، فمرى بها لساني في ساعة واحدة ؛ منها «سبعان» و «الكهف» و «صا»، ومنها أني أقيتُ نفسي على فراشي ، وجعلتُ أعكر في الموضع الذي أقصده ، وأجعلُ مُقامي به إذا نبت البادية بي . وصفتُ ذرعاً بسوء طاعة أهلها ، فأظنني معابة ، فبرقت ورعدت ، وأصل صوت الرعد منها بسمي ، فخطبت قتيلاً لي : أقصِد البصرة ؛ فقلت لأصحابي وهم يكتفونني : إني أمرت بصوت من هذا الرعد بالصير إلى البصرة .

ودكر عنه أنه عند مصيره إلى البادية أومم أهلها أنه يحيى بن عمر أبو الحسين (١) للقتول بناحية الكوفة في أيام الحسين ، فاختدع بذلك قوماً منهم ، حتى اجتمع عليه منهم جماعة ، فزحف بهم إلى موضع من البحرين ، يقال له الرذم ، فكاتت بينه وبين أهل وقعة عظيمة ، كانت الهزيمة (٢) فيها عليه وعلى أصحابه ، فقتلوا فيها قتلاً ذريعاً ، ففرقت عنه العرب وكركته ، وتجنبت صحبته .

فلما تفرقت العرب عنه ونبت به البادية ، شجع من عنها إلى البصرة ، فترا : أفي ، ضبيعة ، فأتبعه بها جماعة ، منهم علي بن أمان للعروف بالمهلج ، من وفد للطلب بزر أبي صفرة ، وأحواء محمد والخليل وغيرهم ؛ وكان قلوبهم البصرة في سنة أربع وخمسين ومائتين ،

(١) هو يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، خرج في أيام التوكل ، وقتل في أيام المعتز سنة ٢٥٠ ، ورواه الضعفاء . قال أبو الفرج : وما بقى أن أحداً ممن قتل في الدعوة السياسية من آل أبي طالب رأى بأكثر مما رأى به يحيى ، ولا ليل فيه القدر بأكثر مما ليل فيه . واضطر أخاه في مقابل الطالبين ٢٣٩ - ٢٦٤ .
(٢) في الخبر : « الدائرة » ، وما يحيى .

وعامل السلطان بها يومئذ محمد بن رجاء، ووافق ذلك فتة أهل البصرة بالبلاية والسطية، فطلع في أحد الفريقين أن يميل إليه، فأرسل أرسنة من أصحابه يدعون إليه؛ ومحمد ابن سلم القصاب المجري وبريش القرشي وعل الضراب، والحسين الصيدناني، وم الذين كانوا صحبوه بالبحرين، فلم يستجب لهم أحد من أهل البلد، وثار عليهم الجند، فخرقوا، وخرج علي بن محمد من البصرة هارباً، وطلبه ابن رجاء فلم يقدر عليه. وأخير ابن رجاء يميل جماعة من أهل البصرة إليه، فأخذهم فحبسهم، وحبس معهم زوجة علي ابن محمد، وابنه الأكبر، وجارية كانت حاملاً؛ ومضى علي بن محمد لوجهه يريد بغداد ومعه قوم من حاشته؛ معهم محمد بن سلم، وبهي بن محمد، وسليان بن جامع، وبريش القرشي، فلما صاروا بالبطيحة، نذر بهم بعض موالى الباهليين، كان على أمر البطيحة، فأخذهم وحملهم إلى محمد بن أبي عون وهو عامل السلطان بواسط، فاحتال لابن أبي عون حتى نخلص هو وأصحابه من يده؛ ثم صار إلى بغداد فأقام بها سنة، وانسحب في هذه السنة إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد؛ وكان يزعم أنه ظهر له آيات مقامه بيندافق هذه السنة آيات، وعرف مافي ضمائر أصحابه وما فعله كل واحد منهم، وأنه سأل ربه أن يبله حقيقة أمور كانت في نفسه، فرأى كتابا يكتب له على حائط، ولا يرى شخص كاتبه.

قال أبو جعفر: واستال ببغداد جماعة، منهم جعفر بن محمد الصوحاني، من ولد زيد ابن صوحان البهدي، ومحمد بن القاسم، وعلامان ابني خالان^(١)؛ وهما مشرق ورفوق، فسعى مشرقاً حمزة وكناء أبا أحمد، وسعى رفيقا جعفرا وكناء أبا الفضل؛ فلما انقضى عامه ذلك ببغداد، عزل محمد بن رجاء عن البصرة، فوثبت رؤساء الفتنة بها من البلاية والسطية،

(١) الطبري: «وعلامان يحيى بن عبد الرحمن بن خالان».

فقتحموا الخافض، وأطلقوا مَنْ كان فيها، ففخلص أهلها وولده فيمن تخلص، فلما بلغه ذلك شخص عن بغداد، فكان رجوعه إلى البصرة في شهر رمضان من سنة خمس وخمسين ومائتين؛ ومعه علي بن أبيان الهلبي، وقد كان لحق به وهو بمدينة السلام مشرف ورفيق، وأربعة آخر من خواصه؛ وهم يحيى بن محمد، ومحمد بن سلم، وسليمان بن جامع، وأبو يعقوب اللعروف يهراني؛ فساروا جميعا حتى نزلوا بالموضع للعروف يهراني من أرض البصرة في قصر هناك يعرف بقصر القرشي على نهر يعرف بعمود ابن النجم؛ كان بنو موسى بن النجم احضروه، وأظهر أنه وكيل لولد الوائق في بيع ما يملكونه هناك من السباح.

قال أبو جعفر: فذكر عن ربحان بن صالح، أحد غلمان الشورجيين الزنوج، وهو أول مَنْ صحبه منهم، قال: كنت موكلا بطلان مولاي، أقل الدقيق إليهم، فمرت به وهو مقبم بقصر القرشي يظهر الوكا لأولاد الوائق، فأخذني أصحابه وصلوا بي إليه، وأمروني بالتسليم عليه بالإمرة، ففعلت ذلك، فسألني عن اللوح الذي جئت منه، فأخبرته أني أقبلت من البصرة، فقال: هل سمعت لنا بالبصرة خيرا؟ قلت: لا، قال: فغير البيلالية والسعدية؟ قلت: لم أسمع لم خيرا، فسألني عن غلمان الشورجيين وما يجري لكل جماعة منهم من الدقيق والسويق والتمر، وعن يميل في الشورج من الأحرار والسيّد؛ فأعلمته ذلك، فدعاني إلى ما هو عليه، فأجبهته فقال لي: احتل فيمن قدرت عليه من الغلمان، فأقبل بهم إلي. ووعدني أن يقرني على من آتبه به منهم، وأن يحسن إلي، واستحلفني ألا أعلم أحدا بموضعه، وأن أرجع إليه. فقلت: حبل، فأثبت بالدقيق الذي معي إلى غلمان مولاي، وأخبرتهم خبره، وأخذت له البيعة عليهم، ووعدهم عنه بالإحسان والوفى، ورجعت إليه من غد ذلك اليوم، وقد وافاه رفيق غلام الخاقانية^(١)

(١) في الطبري: « غلام يحيى بن عبد الرحمن ».

وقد كان وجهه إلى البصرة^(١) ، يدعو إليه غلمان الشورج ، وروى إليه صاحب له آخر يعرف بشبل بن سالم^(٢) ، قد كان دعا إليه قوماً منهم أيضاً^(٣) ، وأحضر معه حرية كان اسمه بابتهاعها ، ليضفها لواء ، فكتب فيها بالحرية^(٤) : (إِنْ اللَّهَ أَشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَغْصَمُ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ آجِلَةٌ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .)^(٥) الآية ، وكتب اسمه واسم أبيه عليها ، وعلقها في رأس مُرْدِي^(٦) ، وخرج وقت الشعر من ليلة السبت لليثين حينما من شهر رمضان ؛ فلما صار إلى مؤخر القصر الذي كان فيه ، لقيه غلمان رجل من الشورجين ، يعرف بالطار [متوجين إلى أعمالهم]^(٧) ، فأمر بأخذ وكيلهم ، فأخذ وكلف ، واستضم غلامه إلى غلامه ، وكانوا حين غلاما ، ثم صار إلى الموضع المعروف بالسنان فأتبعه الغلمان الذين كانوا فيه ، وهم خمسمائة غلام فيهم الغلام المعروف بأبي حديد ، وأمر بأخذ وكيلهم ، وكلفه ثم مضى إلى الموضع المعروف بالسراي ، فأتبعه مَنْ كان فيه من غلمان ، وهم مائة وخمسون غلاماً ، منهم زُرَيْق وأبو الطحير ، ثم صار إلى الموضع المعروف بسبخة ابن عطاء ، فأخذ طريقاً ، وصبيحاً الأعسر ، وراشد الفري ، وراشدا القرمطي^(٨) ؛ وكل هؤلاء من وجوه الزنج وأعيانهم الذين صاروا قواداً وأمرأء في جهوشهم ، يأخذ معهم ثمانين غلاماً .

ثم أتى إلى الموضع المعروف بنلام سنبل الطحان ، فاستضاف مَنْ كان به من الغلمان ؛ ثم لم يزل يفعل مثل ذلك في يومه حتى اجتمع إليه بشر كثير من الزنج ، ثم قام فيهم

(١) الطبري : « في حواشي من حواشيه » .

(٢ - ٣) الطبري : « وكان من غلمان الدباسين » .

(٣) الطبري : « بجمرة وخضرة » .

(٤) الردي : « حبة تدفع بها الحبة » .

(٥) من الطبري .

(٦) الطبري : « الفرمان » .

(٨) سورة التوبة ١١١ .

آخر الليل خطيبا ، فقام ووعدهم أن يقودهم ويرثسهم ويمسكهم الأموال والضياع ، وحلف لهم بالأيمان النليظة ألا يندربهم ، ولا يخذلهم ، ولا يدع شيئا من الإحسان إلا آلى إليهم .

ثم دعا وكلامهم ، قال : قد أردت ضرب أعتاقكم لما كنتم تأتون إلى هؤلاء النملان الذين استضعفتمهم وقهرتمهم ، وفلتم بهم ما حرّم الله عليكم أن تفعلوه بهم ، وكلفتمهم مالا يطيقونه ، فكلنى أصحابى فيكم ، فرايت إطلاقكم .

فقالوا له : أصلحك الله إنا هؤلاء النملان أبقا^(١) ، وإيهم سيهريون منك فلا يُقُون عليك ولا علينا ، نفذ من مواليتهم مالا ، وأطلقهم .

فامرّ النملان فأحضروا شطوب^(٢) : ثم طلع كل قوم وكيّتهم ، فضرب كل رجل منهم خمسة شطبة ، [وأطلقهم بطلاق نسائهم ألا يملوا أحدا بموضه^(٣)] ، ثم أطلقهم فمضوا نحو البصرة ومضى رجل منهم حتى عبر دجيل الأهواز ، فأبذر الشورجين لم يفظوا فماتهم ، وكان هناك خمسة عشر ألف حلام زنجي^(٤) ، ثم صار ، وعبر دجيل^(٥) فمضوا إلى نهر ميمون بأصحابه ، واجتمع إليه السودان من كل جهة .

فلما كان يوم القطر ، جمعهم وخطب خطبة ذكر فيها ما كانوا عليه من سوء الحال ، وأن الله تعالى قد استنقذهم من ذلك ، وأنه يريد أن يرفع أقدارهم ، ويمسكهم الميعة والأموال والمنازل ، ويبلغ بهم أهل الأمور ، ثم حلف لهم على ذلك . فلما فرغ من خطبه

(١) أبقا : حاربون .

(٢) الشطوب : جريد الشجر الجنب .

(٣) من الطيرى .

(٤) فى الطيرى : يقال له عبد الله ، ويعرف بكرمنا .

أمر الذين فهموا عنه قوله أن يُفهموه مَنْ لَا فِهمَ لَهُ من كَيْسِهِمْ ، لَطِيبَ بِذَلِكَ أَغْصَبَهُمْ ،
فَعَمِلُوا ذَلِكَ .

• • •

قال أبو جعفر : فلما كان في اليوم الثالث من شوال ، ووافاه الخبر عن أحد عمال السلطان
بذلك النواحي ، في عدد كثير ، فخرج إليه صاحب الزنج في أصحابه ، فطرده وهرزم أصحابه ،
حتى صاروا في بطن دجلة ، واستأمن إلى صاحب الزنج رجل من رؤساء السودان ، يعرف
بأبي صالح القصير في ثلاثمائة من الزنج ، فلما كثر من اجتمع إليه من الزنج قوت قواده ،
وقال لهم : مَنْ أتى منكم رجلاً من السودان فهو مضموم إليه .

قال أبو جعفر : وانتهى إليه أن قوماً من أمراء السلطان هناك ، منهم خليفة بن أبي
مؤن على الأبلّة ، ومنهم الخبر عن قد أفلوا نحوه ، فأمر أصحابه بالاستعداد لهم ، فاجتمعوا
للعرب ، وليس في عسكره يومئذ إلا ثلاثة أسباط : سيفه ، وسيف علي بن أبي يوسف
محمد بن سلم ، ولحقه القوم ، وكان في الزنج ، فذكر مُفْرِج النوبي والسكنى بأبي صالح ، وريحان
ابن صالح ، وفتح الجبام ؛ وقد كان فتح حينئذ يأكل وبيّن يديه طبق ، فلما نهض تناول
ذلك الطبق ، وتقدم أمام أصحابه ، فلقبه رجل من عسكر أصحاب السلطان ، فلما رآه فتح
حل عليه وحذفه بالطبق الذي كان في يده ، فرى الرجل ^(١) سلاحه ، وولى هارباً ، وانهمزم
القوم كلهم ، وكانوا أربعة آلاف ، فذهبوا على وجوههم ، وكُتِلَ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ ، ومات
بعضهم عطشاً ، وأسير كثير منهم ، فأدى بهم صاحب الزنج ، فأمر بضرب أعناقهم ،
فصُرِبَتْ ، وحلت الرروس على بطن كل واحد من النورجيين ، كانت
تقل ^(٢) النورجيين .

• • •

قال أبو جعفر: ومرة في طريقه بالقرية المعروفة بالحمدية^(١) فخرج منها رجل من موالى
الفاشقين، لحمل على بعض السودان فقتله، ودخل القرية، فقال له أصحابه: انزل لنا في
انهب القرية وطلب قاتل صاحبنا، فقال: لا سبيل إلى ذلك دون أن نفرق ما عند
أهلها^(٢)، وهل فعل القاتل ما فعل عن رأيهم، ونسألهم أن يدفعوه إلينا، فإن فعلوا
وإلا حل^(٣) لنا قتلهم، ونجمل للسور من القرية، فتركها وسار^(٤).

قال أبو جعفر: ثم مرة على القرية المعروفة بالسرخ، فأثناء كبرائها، وأقاموا له
الأنزال^(٥)، وبات ليلة تلك عديم، فلما أصبح أحدى له رجل من أهل القرية المسماة
جبي فرسا كبتها، فلم يجد سرجا ولا لجاما، فركبه بجمل وسفنه^(٦) بجمل ليف.

قلت: هذا تصديق قول أمير المؤمنين عليه السلام: «كأنه به قد سار في الجيش الذي
ليس له خيل ولا جمل، ولا قفلة لهم، ولا حصنة خيل، يتورون الأرض بأقدامهم كأنها
أقدام النعام».

قال أبو جعفر: وأول ما سار إليه مائتا دينار وألف درهم، لما نزل القرية المعروفة
بالجفرية، أحضر بعض رؤسائها، وسأله عن لئال فجعده، فأمر بضرب عنقه، فلما خاف

(١) في الطبري: «ومضى حتى ولى القامسية».

(٢) الطبري: «القوم».

(٣) الطبري: «ولا سبيل».

(٤) الطبري: «وأجهلهم من السور، فصاروا إلى نهر سيون راجعين، فأقام في المسجد الذي كان أقام

فيه. في بدائه، وأمر بالرؤوس المحبوسة معه، وأمر بالأمان أيا صالح التور فأذن وسلم عليه بالإمرة،

فأقام فصل بأصحابه المشاء الآخرة، وبات ليلة بها، ثم مضى من القصد حتى مر بالسرخ...».

(٥) الأنزال: جمع نزل، وهو ما هي «الغيب أن ينزل عليه».

(٦) سفنه: شدة بالسالك؛ وهو حبل يشده على رولة البير.

أحضر له هذا العذر ، وأحضر له ثلاثة رازين : كبتاً وأشقرَ وأشهب ، فدفع أحدها إلى محمد بن سلم ، والآخر إلى يحيى بن محمد ، والآخر إلى مشرق غلام الخاقانية . ووجدوا في دار لبعض الهاشبيين سلاحاً فاتهموه ، فصار ذلك اليوم بأيدي بعض الزنج سيوف وآلات وأتراس .

قال أبو جعفر : ثم كانت بينه وبين من يليه من أعوان السلطان ، كالحيرى ، ورؤيس وعقيل وغيرهم وقعات ، كان العفر فيها كلها له ، وكان يأمر بقتل الأسرى ، ويجمع الرؤوس معه ، وينقلها من منزل إلى منزل ، ويصنها أمامه إذا نزل ، وأوقع الهيبة والرهبة في صدور الناس بكثرة القتل ، وقلة المحو ، وعلى الخصوص المأسورين ، فإنه كان يضرب أعناقهم ولا يستقي منهم أحداً .

قال أبو جعفر : ثم كان له مع أهل البصرة وقعة بعد ذلك سار يريدها في ستة آلاف رعى ، فاتبعه أهل الناحية المروقة بالجفرية ليهاجروا ، فسكر عليهم ، فقتل منهم مئة عظمية ، أكثر من خمسمائة رجل ؛ فلما فرغ منهم محمد بن محمد البصرة ، واجتمع أهلها ومن بها من الجند ، وحاربوه حرباً شديداً ، فسكات الدائرة عليه ، وانهمزم أصحابه ، ووقع كثير منهم في النهرين المعروفين بنهر كثير ونهر شيطان ، وجعل يهتف بهم ويردّم ولا يرجعون ، وغرق من أعيان جنده وقواده جماعة ؛ منهم أبو الجون ، ومبارك البهراني ، وعطاء البررى ، وسلام الشامي ، فلحقه قوم من جند البصرة ، وهو على قنطرة نهر كثير فرجع إليهم بنفسه ، وسيفه في يده ، فرجموا عنه ؛ حتى صاروا إلى الأرض وهو يومئذ في دُرّاعة^(١) وعمامة ونمل وسيف ، وفي يده البسري ترس ، ونزل عن القنطرة ، فصعدوا البصريون يطلونه ، فرجع إليهم ، فقتل منهم رجلاً بيده تلخس مراق من القنطرة ، وجعل يهتف بأصحابه ، ويمرّتهم مكانه ، ولم يكن بقي معه في ذلك اللوح من أصحابه

(١) الدراعة : حبة مشقوفة من القدم ، وهو ضرب من الثياب .

إلا أبو الشوك ومصليح ورفيق ومشرق غلاما الخاقانية ، وضل أصحابه عنه ، وانحلت حماته ، فبقي على رأسه كور^(١) منها أو كوران ، فعمل بسحبها من ورائه ، ويسعه للنسي عن رفعها ، وأسرع غلاما الخاقانية في الانصراف ، وقصر عنهما ففأباه عنه ، فاتبه رجلان من أهل البصرة بسيفيهما ، فرجع إليهما ، فأنصرفا عنه ، وخرج إلى الوضع الذي فيه جمع أصحابه ، وقد كانوا تحببوا ، فلما رأوه سكنوا .

• • •

قال أبو جعفر : ثم سأل عن رحله وإذا قد هرب كثير منهم ، ونظر فإذا هو من جميع أصحابه في مقدار خمسين رجلا ، فأمر بالنفخ في البوق الذي كانوا يجتمعون لصوته ، فنفخ فيه فلم يرجع إليه أحد .

قال : واشتب أهل البصرة ههنا كانت معكم ، وظفروا بمتاع من متاعه ، وكتب من كتبه وأعطوا لآلات كان معه ، ثم تلاحق به جماعة ممن كان هرب ، فأصبح وإذا معه ألف رجل فأرسل محمد بن مسلم وسليمان بن جامع ويحيى بن محمد إلى أهل البصرة بهظهم وبطهم أنه لم يخرج إلا غضبا لله ولدين ، ونهيا عن تشكر ، فمهر محمد بن مسلم حتى توسط أهل البصرة ، وحمل بكلمتهم وبخاطبهم ، فأراد منه عيرة ، فوثبوا عليه فقتلوه ، ورجع سليمان ويحيى إلى صاحب الرمح ، فأخبراه ، فأمرهما على ذلك عن أصحابه ؛ حتى يكون هو الذي يخبرهم .

فلما صلى بهم العصر ، سى إليهم محمد بن مسلم ، وقال لهم : إنكم تقتلون به في غد عشرة آلاف من أهل البصرة .

قال أبو جعفر : وكان الوقعة التي كانت الذبيرة عليه فيها يوم الأحد ثلاث عشرة

(١) كور الصامية : يريد كل دائرة من السامرة ، وكل دور منها كور . (البيان)

ليلة حلون من ذى القعدة سنة خمس وخمسين ومائتين ، فلما كان يوم الاثنين جمع له أهل
البصرة وحشدوا لما رأوا من ظهوره عليه يوم الأحد ، وانتدب لذلك رجلاً من أهل
البصرة يعرف بحماد الساحي ، وكان من غرة البحر في الشذا^(١) ، وله علم ركوبها ، والحرب
فيها ، فجمع المطوعة ورماء الأهداف وأهل المسجد الجامع ومن خفّ معه من حربي
البلالية والسعدية ، ومن غير هذه الأصناف من الهاشميين والقرشيين ومن يحبّ النظر
ومشاهدة الحرب من سائر أصناف الناس ، وشعن ثلاثة مراكب من الشذا^(٢) بالرماء ،
وجعل الناس يزدحمون في الشذا حرصاً على حضور ذلك للشهد ، ومضى جمهور الناس
رجالة ، منهم من مع سلاح ومنهم من لا سلاح معه بل تطّارة ، فدخلت السفن النهر المروف
بأنّ حبيب بعد زوال الشمس من ذلك اليوم في اللدّ هومت الرجالة والنظارة على شاطئ
النهر ، قد سدّوا ما ينفذ فيه البصر كثرةً وتكاثفاً ، فوجه صاحب الزنج صاحبه زرباً
وأما الليث الأصماني ، لحملهم كينا من الجانب الشرقي من شهر شيطان ، وكان مقبلاً
بوضع منه ، ووجه صاحبه شبلاً وحسيناً الحماي ، فجعلهما كينا في غربته ، ومع كل
من السكيتين جماعة ، وأمر على بن أمان المهلب أن يلقى القوم فيمن بقي منه من جمعه ،
وأمره أن يستقر هو وأصحابه بقراسمهم ، ولا يثور إليهم منه ثأر ، حتى يوافيهم القوم
ومخالطهم بأسياقهم ، فإذا فعلوا ذلك ثاروا إليهم وتقدّم إلى السكيتين إذا جاوزها الجمع ،
وأحسّ بثورة أصحابهم إليهم أن يخرجوا من جنى النهر ، وبصيحها بالناس

وكان يقول لأصحابه بعد ذلك : لما أقبل إلى جمع البصرة وعائنه ، رأيت أمراها تلاً
راعي ، وملاً صديري رهبةً وجزعاً ، ففرغت إلى الماء ، وليس معي من أصحابي إلا ثور
يسير ، منهم مصلح ، وليس منّا أحد إلا وقد خُيل إليه مصرعه ، فجعل مصلح يستجيبني من

(١) الشذا : ضرب من السفن ، الواقعة عداء ، لال صاحب التهذيب : هذا مروف ، لكنه ليس
بمرفي (اللسان) .

كثرة ذلك الجمع ، وجعلت أرمي^(١) إليه أن أسكت^(٢) ، فلما قرب القوم مني قلت : اللهم إن هذه ساعة المسرة ، فأعني ، فرأيت طيوراً بيضا أقبلت فتلقت ذلك الجمع ، فلم أستم دعائي حتى بصرت سُمَيْرِيَّةَ^(٣) من سفهم قد انقلبت بمن فيها ، ففرقوا ، ثم تلقاها ، الشذا ففرقت واحدة بعد واحدة ، وفار أصحابي إلى القوم ، وخرج السككيات من جَنِيِّ النهر ، وصاحوا وخطبوا الناس ، ففرقت طائفة ، وقتلت طائفة ، وهربت طائفة نحو الشط طمعاً ، فأدركها السوف ، فمن ثبت قتل ، ومن رجع إلى الماء غرق ؛ حتى أيبداً كثُر ذلك الجمع ، ولم ينج منهم إلا الشريد ، وكثر المفقودون بالبصرة ، وعلا العويل من نسايتهم .



قال أبو جعفر : وهذا يوم الشذا الذي ذكره الناس في أشعارهم ، وعظموا ما فيه من القتل ، فكان ممن قتل من بني هاشم ، جماعة من ولد جعفر بن سليمان^(٤) وانصرف صاحب الزنج^(٥) وجمع الرؤوس وملأها سقاء ، وأخرجها من النهر المعروف بأب حبيب في الجزر وأطلقها ، فوافقت البصرة ، فوقفت في مشرعة تعرف بمشرعة القيّار ، فجعل الناس يأتون تلك الرؤوس ، فيأخذ رأس كل رجل أولياؤه ، وقوى صاحب الزنج مد هذا اليوم ، وسكن الرعب قلوب أهل البصرة منه ؛ وأمسكوا عن حربه ، وكعب إلى السلطان بخبره ، فوجه جُمْلان التركي مدداً لأهل البصرة ، في جيش ذوى هذه الأسلحة^(٦) .

(١) الطبرى : « أن يملك » .

(٢) السُمَيْرِيَّةُ على التصغير : ضرب من الصق (الصان) .

(٣) يندعا في الطبرى : « وأرهبون رجلاً من الرعاة المشهورين في خلق كثير لا يحصى عددهم » .

(٤) في الطبرى : « وانصرف الخبيث وجمعت له الرؤوس » .

(٥) في الطبرى : « وأمر أبا الأحوس الباهلي بالصبر إلى الأيلة ولها ، وأمد به رجل من الأتراك يقال له جرج » .

قال أبو جعفر : وقال أصحاب علي بن محمد ^(١) : إنا قد قتلنا مقاتلة أهل البصرة ، ولم يبق فيها إلا ضعفاؤهم ، ومن لا حراك به ، فأذن لنا في تفتيحها ، فنهام ^(٢) وهجن آراءهم وقال : بل نهمد عنها ، فقد رعبناهم وأخفناهم ، ولتفتيحها وقتا آخر ، وانصرف بأصحابه إلى سبعة في آخر أنهار البصرة ، تعرف بسبعة ^(٣) أبي قرّة ، قريبة من النهر للعروف بالحاجر فأقام هناك ، وأمر أصحابه باتخاذ الأكواخ ، وهذه السبعة متوسطة الدغل والقرى والمارات ، وبث أصحابه يمينا وشمالا ، يسيرون ويقيمون على القرى ، ويقتلون الأكرّة ، وينهبون أموالهم ، ويسرقون مواشيهم ^(٤) .

• • •

وجاء شخص من أهل الكتاب من اليهود ، عرف بخارويه ، فقبل يده وسجد له ، وسأله عن مسائل كثيرة ، فأجاب عنها ، فزعم اليهودي أنه يجد صفة في التوراة ، وأنه يرى القتال معه ، وسأله عن علامات في يده وجسده ذكر أنها مذكورة في الكتب ، فأقام معه .

• • •

قال أبو جعفر : ولما صار جملان التركي إلى البصرة بسكره ، أقام ستة أشهر يحارب صاحب الزنج ، فإذا التقوا لم يكن بينهم إلا الرمي بالحجارة والنشاب ، ولم يجد جملان إلى لقائه سبيلا ، لضيق الموضع بما فيه من الدغل والدغل ^(٥) عن مجال الخيل ،

(١) في الطبري : « فزعم الخبيث أن أصحاب الروا له يقب هذه الرواية : إنا قد قتلنا مقاتلة أهل البصرة . . . »

(٢) في الطبري : « فزيرهم » .

(٣) في الطبري عن شبل : « هي سبعة أبي قرّة ، موقعا بين التهرين : نهر أبي قرّة ، والنهر للعروف بالحاجر » .

(٤) في الطبري : فهذا ما كان من خبره وخبر الناس الذين قاربوا من موضعه في هذه السنة ، أي سنة أربع وخمسين ومائتين .

(٥) الدغل بالصرك : العجر الكبير للصف . وكل موضع يخاف فيه الاختيل .

ولأن صاحب الزنج قد كان خندق نفسه على وأصحابه .

ثم إن صاحب الزنج يئس جملان ، فقتل جماعة من أصحابه ، ورؤّع الباقون رؤعا شديدا ، فانصرف جملان إلى البصرة ووجه إليه مقاتلة السعدية والبلالية في جمع كثوف ، فواقصهم صاحب الزنج ، قهرم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وانصرفوا مغلولين ، ورجع جملان بأصحابه إلى البصرة ، فأقام بها معتصما بجدرانها ، وظهر مجزء للسلطان فصرفه عن حرب الزنج ، وأمر سعيد الحاجب بالشعوص إلى البصرة لحربهم .

قال أبو جعفر : واتفق لصاحب الزنج من السعادة أن أرسا وعشرين مركبا من مراكب البحر كانت اجتمعت تريد البصرة ، وانتهى إلى أصحابها خبر الزنج وقطمهم الليل ، وفيها أموال عظيمة للنصارى ، فاجتمعت آراؤهم على أن شدوا المراكب بعضها إلى بعض ؛ حتى صارت كالجزيرة ، بصل أولها بأخرها ، وسارت في دجلة ، فكان صاحب الزنج يقول : نهضت ليلة إلى الصلاة وأخلفت في الدعاء والتصرع ، فتعطلت بأن قول لي : قد أغلقت فتح عظيم ، فالتفت فلم ألبث أن طلعت للمراكب ، فهض أصحابي إليها في شدائها فلم يلبثوا أن حووها وقتلوا مقاتليها ، وسبوا ما فيها من الرقيق ، وغنموا منها أموالا لا تحصى ؛ ولا يعرف قدرها فأهبت ذلك أصحابي ثلاثة أيام وأمرت بما بقي منها فحيز لي .



قال أبو جعفر : ثم دخل الزنج الأبنة في شهر رجب من سنة ست وخسين ومائتين ، وذلك أن جملان لما تنحى إلى البصرة ، أتح صاحب الزنج بالسرايا على أهل الأبنة ، جعل يحاربهم من ناحية شط عمان بالرجاة ، وبما حفت له من السفن من ناحية دجلة ، وجعلت سراياه تضرب إلى ناحية نهر مقل .

فذكر عن صاحب الزنج أنه قال : مئلت^(١) بين عبّادان والأبّة ، فمئلت إلى التوجّه إلى عبّادان فمئبت الرجال إلى ذلك ، فحوطت وقيل لي : إن أقرب عدوّ داراً ، وأولاه ألا يتشافل عنه نصيره أهل الأبّة ، فرددت بالجيش الذي كنت سيرته نحو عبّادان إلى الأبّة ، ولم يزالوا يحاربون^(٢) أهلها إلى أن قطعوها وأخروها نارا ، وكانت مهنية بالساج بناء متكائفاً ، فأسرعت فيها النار ، ونشأت ربح عاصف ، فطارت شرّ ذلك الحريق إلى أن انتهى إلى شطّ عثمان ، وقتل بالأبّة خلق كثير ، وخويت الأسلاب والأموال ، على أن لدى أحرق مها كان أكثر مما انتهت ، واستسلم أهل عبّادان بعدها لصاحب الزنج ، فإن قلوبهم صدمت ، وحافوه على أيديهم وحرمهم ، فأعطوا أيديهم ، وسلّوا إليه بلدهم ، فدخلها أصحابه ، فأخذوا من كان فيها من العبيد ، وحلوا ما كان فيها من السلاح ، ففرّته على أصحابه ، وحاصره أهلها بمال كسبه عنهم .

• • •

قال أبو جهمر : ثم دخل الزنج بعد عبّادان إلى الأهواز ولم يثبت لهم أهلها ، فأحرقوا ما فيها ، وقتلوا ونهبوا ، وأحاربوا ، فكان بالأهواز إبراهيم بن محمد المذّبر الكاتب ، وإليه حراحي^(٣) وصياعها ، فأسروه بعد أن خربوه صرية على وجهه ، وحوّوا كل ما كان يملكه من مال وأثاث ورقيق وكراع ، واشتدّ خوف أهل البصرة ، وانتقل كثير من أهلها عنها ، وتفرّقوا في بلاد شتى ، وكثرت الأراحيف من عوائلها

• • •

(١) في الأصول : « مئلت » وما أثبتته من الطري .

(٢) الطري . « لم يزالوا يحاربون أهل الأبّة ثلاثة الأربعا . خمس بقى من رجب سنة ٢٥٦ ، ظنا كان في هذه الأبّة اقتطعها الزنج مما على دحلة وجر الأبّة ، فقتل بها أبو الأحوس واسه وأسرته نارا ، وكانت مدينة بالساج »

(٣) الطري : « وإله الخراج والصياع » .

قال أبو جعفر : فلما دخلت سنة سبع وخمسين أخذ السلطان بُعْراج التركي على حرب البصرة وسعيد بن صالح الخاجب لبقاء صاحب الزنج ، وأمر بُعْراج بإمداده بالرجال ، فلما صار سعيد إلى نهر معقل ، وجد هناك جيشاً لصاحب الزنج في النهر المعروف بالزُغاب ، فأوقع بهم سعيد فهزمهم ، واستنقذ ما في أيديهم من النساء والذهب ، وأصابت سبيدا في تلك الوقعة جراحات ؛ منها حراصة في فيه .

ثم بلغه أن جيشاً لصاحب الزنج في الوضع المعروف بالقرات ، فتوجه إليه فهزمه ، واستأن إلى بعض قواد صاحب الزنج ؛ حتى نفذت المرات من سكان ذلك الموضع محمد الزنجي مستراً بتلك الأدغال فضبط عليه ؛ حتى تأتى به عسكر سعيد ، مابه منها امتناع . ثم قصد سعيد حرب صاحب الزنج ، فمهر إليه إلى غربي دجلة ، فأوقع به وقتل متتالية ، كلها يكون الظفر فيها لسعيد ، إلى أن انتهى لصاحب الزنج عليه أن وجه إلى يحيى ابن محمد البحراني صاحبه ؛ وهو إذ ذاك مقيم بنهر معقل ، في جيش من الزنج ، فأمره بتوجيه ألف رجل من أصحابه ، عليهم سليمان بن جامع وأبو الهيثم للقائمان ، وبأمرهما بقصد عسكر سعيد ليلاً ؛ حتى يوقعا به وقت طلوع الفجر ، من ليلة عيبتها لهم ، ففعلوا ذلك ، وصارا إلى عسكر سعيد في ذلك الوقت ، فصادفاه منه غيرة وغفلة ، فأوقعاه به وأصعابه ، وقت طلوع الفجر ؛ فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأصبح سعيد وقد ضعف أمره ، واتصل بالسلطان خبره ، فأمره بالانصراف إلى باب السلطان ، وتسليم الجيش الذي معه إلى منصور ابن جعفر الخياط ، وكان إليه يومئذ حرب الأهوار وكوت محرب صاحب الزنج ، وأن يصمد له ، فكانت بينهم وقعة كان الظفر فيها للزنج ، فقتل من أصحاب منصور خلق كثير عظيم ، وحمل من الرؤس خمسمائة رأس إلى عسكر يحيى بن محمد البحراني القائد ، فنصبته على نهر معقل .

قال أبو جعفر : ثم كانت بين الزنج وبين أصحاب السلطان بالأهواز وقعت كثرة ،
تولاهما علي بن أبيان للهلي ، قتل شاهين بن بسطام ، وكان من أكابر أصحاب السلطان ،
وهزم إبراهيم بن سينا ، وكان أيضا من الأسراء المشهورين ، واستولى الزنج على عسكره .



قال أبو جعفر : ثم كانت الواقعة العظمى بالبصرة في هذه السنة ، وذلك أن صاحب
الزنج قطع الليرة عنهم ، فأضر ذلك بهم ، وألح بمحوشه وزنوجه عليهم بالحرب صباحا
ومساء ، فلما كان في شوال من هذه السنة ، أزمع قلى يجمع أصعابه للهجوم على البصرة ، والجدّة
في خراجها ؛ وذلك لطمه بضعف أهلها وتفرقهم ، وإضرار الحصار بهم ، وخراب ما حولها
من القرى . وكان قد نظر في حساب الهجوم ، ووقف على انكشاف القمر ، الليلة الرابعة
عشرة من هذا الشهر ، فذكر محمد بن الحسن بن سهل أنه قال : سمعته يقول : اجتهدت
في الهداء على أهل البصرة ، وابتليت إلى الله تعالى في تسهيل خرابها ، فخطبت وقيل لي :
إنما البصرة خيرة [لك] ^(١) تأكلها من جوانبها ، فإذا انكسر نصف الرخيف خربت
البصرة . فأولت انكسار نصف الرخيف بانكشاف نصف القمر المتوقع في هذه الليالي ،
وما أخلق أمر أهل البصرة أن يكون بعدة !

قال : فكان يحدث بهذا حتى أفاض فيه أصابه ، وكثر تردده في أجمعهم وإجالتهم
إياه عنهم .



ثم ندب محمد بن يزيد الهارمي - وهو أحد من كان صحبته بالبحرين للخروج إلى

(١) من الطبرى .

الأعراب واستنفار من قَدَّر عليه منهم - فأنه منهم بخلق كثير ، ووجه إلى البصرة سليمان بن موسى الشرائي ، فأمره بطريق البصرة ، والإبلاغ بأهلها ، وتقدم إلى سليمان بن موسى (١) بهذين (٢) الأعراب على ذلك . فلما وقع الكسوف ، أنهض إليها علي بن أبان ، وضم إليه جيشاً من الزنج وطلاقة من الأعراب ، وأمره بإتيان البصرة بما يلي بني سعد ، وكعب إلى يحيى بن محمد البحراني في إتيانها بما يلي نهر عدي ، وضم باقي الأعراب إليه ؛ فكان أول من واقع أهل البصرة علي بن أبان وبغراج التركي يومئذ بالبصرة في جماعة من الجند ، فأقام بقائهم يومين ، وأقبل يحيى بن محمد بما يلي قصر أنس ، فأصدا نحو الجسر ، فدخل علي بن أبان البلد وقت صلاة الجمعة ، لثلاث عشرة بقين من شوال . فأقبل يقتل الناس ، ويحرق للدار والأسواق بالنار ، فلقوا بغراج وإبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان الهاشمي ، المعروف بـ بُزْجِيَّة وكان وجهاً مفتحاً ما مطاعاً - في جمع عظيم ، فرداه ، فرجع فأقام ليلة تلك (٣) . ثم غاداهم وقد تفرق جند البصرة فلم يكن في وجه أحد يدافعه ، وأحار بغراج بمن معه ، وهرب إبراهيم بن محمد الهاشمي المعروف بـ بُزْجِيَّة ، فوضع علي بن أبان السيف في الناس ، وجاء إليه إبراهيم بن محمد للهلي - وهو ابن عمه - فاستأمنه لأهل البصرة ، فحضر أهل البصرة قاطبة ، فأتهم ، ونادى مناديه : مَنْ أراد الأمان فليحضر دار إبراهيم بن محمد للهلي . فحضر أهل البصرة قاطبة ، حتى ملئوا الأرقعة . فصار أي اجباهم اقتهز الفرصة ، فأمر بأخذ السكك والطرق عليهم ، وغدَر بهم ، وأمر الزنج بوضع السيف فيهم ، فقتل كل من شهد ذلك المشهد .

(١) من الطبري .

(٢) الطبري : « في تمرين » .

(٣) الطبري : « يومه ذلك » .

ثم انصرف آخرَ نهار يومه ذلك فأقام بقصر عيسى بن جعفر بالخرية .

• • •

وروى أبو جعفر ، قال : حدثني محمد بن الحسن بن سهل ، قال : حدثني محمد بن
حصان ، قال : كنت يومئذ بالبصرة ، فقضيت مبادراً إلى منزلي لأتخصم به ، وهو في سكة
المرْبَد ، فلقيتُ أهلَ البصرة هارمين ، يدعون بالويل والثبور ، وفي آخرهم القاسم بن جعفر
ابن سليمان المدشمي على بَغلٍ ، متقلداً سيفاً ، يصيح بالناس : ويحكم الأسليون بآلهكم
وحرّمكم اهَذَا عدوّكم قد دخل البلد . فلم يلبثوا عليه ، ولم يسمعوا منه ، فغضب هارباً ،
ودخلت أنا منزلي ، وأغلقت بابي ، وأشرفت فرأيت الأعراب ورجالة الزنج ، يقدمهم رجل
على حصان كُميت ، بيده رمح ، وعليه عَذْبَةٌ صفراء ، فسألت بعد ذلك عنه فقيل لي :
إنه علي بن أبان .

قال : ونادي منادي علي بن أبان : مَنْ كَانَ مِنْ آلِ اللَّهْمَاءِ فَلْيَدْخُلْ دَارَ إِبْرَاهِيمَ
ابن يحيى اللّهْمِي ، فدخلت جماعة قلبية ، وأحياق الباب دونهم ، ثم قيل للزنج : دونكم
الناس فأتولهم ، ولا تبقوا منهم أحداً ، وخرج إليهم أبو الليث الأصمغاني ، أحذقوا الزنج ،
فقال للزنج : كيّلوا ؛ وهي العلامة التي كانوا يعرفونها فيمن يؤثرون بقتله ، فأخذ الناس
السيف ، قال : فوالله إني لأسمع تشهدهم وضجيجهم وهم يقتلون ، وقد ارتفعت أصواتهم
بالتشهد ، حتى سُمِعت بالطفّارة ، وهو كلّ سدر من اللوضع الذي كانوا فيه .

قال : ثم انتشر الزنج في سبائك البصرة وشوارعها ، يقتلون مَنْ وجدوا . ودخل علي بن
أبان يومئذ للمجد فأحرقه ، وبلغ إلى السكّلاء فأحرقه إلى الجسر ، وأخذت النار كل
ما مرّت به من إسان وبهيمة وأثاث ومتاع ، ثم أتلّوا بالدوّ والرواح كلّ مَنْ وحدوه ،
ويسوقونهم إلى يحيى بن محمد البحراني ، وهو نازل بيمض سبائك البصرة ، فمن كان ذامال
قرره حتى يستخرج ماله ثم يقتله ، ومن كان غنلاً قتله مجتلاً .

قال أبو جعفر: وقد كان علي بن أبان كف بعض الكف عن الميث بناحية بني سعد، وراقب قوماً من الهلبيين وأنباهم، فأتى ذلك إلى علي بن محمد صاحب الزنج، فصرفه عن البصرة، وأقر يحيى بن محمد البهراني بها لموافقته على رأيه في الإنحاز في القتل، ووقوع ذلك بمعبته، وكتب إلى يحيى بن محمد يأمره بإظهار الكف لبسكن الناس، ويظهر للمستغنى، ومن قد عرف باليسار والثروة، فإذا ظهر فليؤخذوا بالدلالة على ما دفعوه وأخفوه من أموالهم، ففعل يحيى بن محمد ذلك، وكان لا يخلو في اليوم من الأيام من جماعة يؤتى بهم، فمن عرف منهم باليسار استترف ما عنده ثم قتله، ومن ظهر له خلة عاجله بالقتل حتى لم يدع أحداً ظهر له إلا قتله.



قال أبو جعفر: وحدثني محمد بن الحسن^(١) قال: لما انتهى^(٢) إلى علي بن محمد عظيم ما فعل أصحابه بالبصرة سمعته يقول: دهرت على أهل البصرة في عدّة اليوم الذي دخل فيه أصحابي إليها، واجتهدت في الدعاء، وسجدت وجعلت أدهو في سجودي، فرسيت إلى البصرة، فرأيته ورأيت أصحابي يقاتلون فيها، ورأيت بين السماء والأرض رجلاً واقفاً صورة جعفر المولف المتولى كان للاستخراج في ديوان الخراج بسائر^(٣)، وهو قائم قد خفف يده اليسرى، ورفع يده اليمنى، يريد قلب البصرة، فقلت: أن الملائكة تولت إخراجها دون أصحابي، ولو كان أصحابي تولوا ذلك ما بلغوا هذا الأمر العظيم الذي يحكي عنها؛ ولكن الله تعالى نصرني بالملائكة، وأبذني في حروبي، وثبت بهم من ضعف قلبه من أصحابي.

قال أبو جعفر وانسب صاحب الزنج^(٤) في هذه الأيام إلى محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين، بعد انشابه الذي كان إلى أحمد بن عيسى بن زيد؛ وذلك لأنة بعد

(١) الطبري: «لما أخرجت الناس البصرة»

(٢) الطبري: «واقب الميث»

إخراجه بالبصرة ، جاء إليه جماعة من العلوية الذين كانوا بالبصرة ، وأتاه فيمن أتاه منهم قوم من ولد أحمد بن عيسى بن زيد ، في جماعة من نساءهم وحرمهم ، فلما خافهم ترك الانساب إلى أحمد بن عيسى ، وانتسب إلى محمد بن محمد بن زيد .

• • •

قال أبو جعفر : فحدثني محمد بن الحسن بن مهمل ، قال : ^(١) كنت حاضرا عنده وقد حضر جماعة من النوفليين ^(٢) ، فقال له القاسم بن إسحاق النوفلي : إنه انتهى إلينا أن الأمير ^(٣) من ولد أحمد بن عيسى بن زيد ، فقال : لست من ولد عيسى ، أنا من ولد يحيى بن زيد .

قال محمد بن الحسن : فانتقل من أحمد بن عيسى بن زيد إلى محمد بن محمد بن زيد ، ثم انتقل من محمد إلى يحيى بن زيد ؛ وهو كاذب لأن الإجماع واقع على أن يحيى بن زيد مات ولم يعقب ولم يولد له إلا بنت واحدة ماتت ؛ وهي ترضع .
فهذا ما ذكره أبو جعفر الطبري في " التاريخ الكبير " .

• • •

وذكر علي بن الحسن المصمودي في " مروج الذهب " أن هذه الواقعة بالبصرة ، هلك فيها من أهلها ثلاثمائة ألف إنسان ، وأن علي بن أبان للهلي بعد فراغه من الواقعة ، نصب مديرا في الوضع المعروف بيني بشكر ، صلى فيه يوم الجمعة ، وخطب لعلي بن محمد صاحب الزنج ، وترحم بعد ذلك على أبي بكر وصر ، ولم يذكر عثمان ولا عليا عليه السلام في خطبته ، ولعن أبا موسى الأشعري وحمرو بن الداص و معاوية بن أبي سفيان ، قال :

(١ - ١) الطبري : « سمعت الحديث وولد حضره جماعة من النوفليين » .
(٢) الطبري : « إنا » .

وهذا يؤكد ما ذكرناه وحكيه من رأيه ، وأنه كان يذهب إلى قول الأزارقة .

قال : وأستغنى من سلم من أهل البصرة في آبار الدور ، فكانوا يظلمون ليلاً ، فيطلبون الكلاب فيذبجونها وبأكلونها ، والفار والسنابير ، فأفندوها حتى لم يقدروا على شيء منها ، فصاروا إذا مات الواحد منهم أكلوه ، فكان يرعى بعضهم موت بعض ، ومن قدر على صاحبه قتله وأكله ، وعلمو مع ذلك الماء ، وذكر عن امرأة منهم أنها حضرت امرأة قد احتضرت ، وبعدها أختها وقد احتوشوها ينتظرون أن تموت فبأكلوا لحمها ، قالت المرأة : فما ماتت حساء حتى ابتدرناها فقطعنا لحمها فأكلناه ، ولقد حضرت أختها ونحن على شريعة عيسى بن حرب وهي تبكي ومسا رأس البيت ، فقال لها قاتل : ومحك ! مالك تهكين ! فقالت : اجتمع هؤلاء على أختي فأترونها تموت حساء حتى قطعوها ، وظلموني فلم يسطوني من لحمي شيئاً إلا الرأس ؛ وإذا هي تبكي شاكية من ظلمهم لها في أختها .

قال : وكان مثل هذا واكثر منه وأضعافه ، ويبلغ من أمر مسكره أنه ينادي فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من أشرف قريش ، فكانت الجارية تباع منهم بمرهمين وبثلاثة دراهم ، وينادي عليها بنسبها : هذه ابنة فلان بن فلان ، وأخذ كل زنجي منهم العشرين والثلاثين بطون الزنج ويخدم النساء الزنجيات كما تخدم الوصائف ، ولقد استغاثت إلى صاحب الزنج امرأة من ولد الحسن بن علي عليه السلام ، وكانت عند بعض الزنج وسألته : أن يستقها عما هي فيه ، أو ينقلها من عنده إلى غيره ، فقال لها : هو مولاك ، وهو أولى بك (١) .

• • •

قتل أبو جعفر : وأشخص السلطان لحرب صاحب الزنج محمداً المعروف بالولد ، في جيش

كثيف، فجاء حتى نزل الأبلّة، وكتب صاحب الزّنج إلى يحيى بن محمد البحراني بأمره بالمصير إليه، فصار إليه بزوجه، وأقام على محاربتة عشرة أيام، ثم فتر للوفد من الحرب، وكتب إلى ابن محمد إلى يحيى، بأمره أن يبيته، فبيته فهزمه، ودخل الزّنج عسكره فقتلوا مائة، وكتب يحيى إلى صاحب الزّنج يخبره، فأمره بأنباعه، فأنبعه إلى الحوانيت، ثم انصرف عنه، فمر بالجمادة، وأوقع بأهلها، وانتهب كل ما كان في تلك القرى، وسفك ما قدر على سفكه من الدماء، ثم عاد إلى نهر مقل.



قال أبو جعفر : واصلت الأخبار بامراء وبنداد وبنقواد وللوالى وأهل الحضرة، بما جرى على أهل البصرة، فقامت عليهم القيامة، وعلم للمتد أنه لا يرتق هذا الفتق إلا بأحبه أبى أحد طلعة بن التوكل وكان منصوراً مؤيداً ^{بالحرب} وقيادة الجيوش، وهو الذى أخذ بمداد الممتر، وكسر جيوش السّمعين، وخلعه من الخلافة، ولم يكن لهنى العبّاس فى هذا الباب مثله ومثل ابنه أبى العبّاس فقد له للمتد على ديار مصر وقنّسرين والمواسم، وجلس له مسهل شهر ربيع الآخر من سنة سبع وخمسين، فطلع عليه وعلى مقلع، وشخصاً نحو البصرة لحرب على بن محمد وإصلاح ما أفسده من الأعمال، وركب للمتد ركوباً ظاهراً بشيخ أخاه أبا أحمد إلى القرية للمروقة بركوارا، وعاد.



قال أبو جعفر : وأما صاحب الزّنج فإنه بعد هزيمة محمد المولّد أخذ على بن أبان اللّهلى إلى حرب منصور بن جعفر وإلى الأهواز، فكانت بينهما حروب كثيرة فى أيام متفرقة حتى كان آخرها اليوم الذى انهزم فيه أصحاب منصور، وتفرقوا عنه، وأدركت منصوراً طائفة من الزّنج، فلم يزل يكرّ عليهم حتى انقصف ربحه، وخذت مهامه، ولم يبق معه سلاح،

وانتهى إلى نهر يعرف بنهر ابن مروان، فصاح بحصان كان تحته ليعبر، فوثب فقصر^(١)
فانفس في الماء.

وقيل : إن الحصان لم يقصر في الوثبة؛ ولكن رجلاً من الزنج سبقه إلى النهر، فألقى
نفسه فيه، لعله أنه لا يحصى المنصور من النهر، فلما وثب الفرس تلقاه الأسود، ففسكس
فناص الفرس ومنصور، ثم أطلع منصور رأسه، فبذل إليه غلام من السودان من عرفاه
مصلح، يقال له ابرون، فاحتز رأسه، وأخذ سلبه، فوثن بإرجوح التركي صاحب حرب
خوزستان، ما كان مع منصور من العمل أصنعون التركي.



وقال أبو جعفر : وأما أبو أحمد، فإنه شخص من سائر أعي حيش لم يسمع السامعون
بمنه، كثرة رعدة، قال : وقد طابت أُنَا ذلك الحيش، وأنا يومئذ ببغداد بباب الطاق،
فسمعت جماعة من مشايخ أهل بغداد يقولون : قد رأينا جبهوشا كثيرة الخلفاء؛ فما رأينا
مثل هذا الجيش أحسن عدة وأكل عتادا وسلاحا، وأكثر عدداً وجهاً، واتبع ذلك
الجيش من متسوفة أهل بغداد خلق كثير.



قال أبو جعفر : حدثني محمد بن الحسن بن سهل، أدي يحيى بن محمد البحراني كان
مقياً بهر معقل قبل موافاة أبي أحمد، فاستأذن صاحب الزنج في المصير إلى بهر السهاس،
فكره ذلك، وخاف أن يوافيه جيش من قتل السلطان، وأصحابه متفرقون، فألح عليه
يحيى حتى أذن له، فخرج وأتبعه أكثر أهل عسكر صاحب الزنج، وكان علي بن أبلان

(١) الطبرى : « ولصرت رجلاه فانفس في الماء » .

مقيا يمتشي في جمع كثير من الزنج ، والبصرة قد صارت منذاً لأهل عسكر صاحب الزنج ،
ينادونها ويرادونها لنقل ما نالته أيديهم منها إلى منازلهم ، فليس بمعسكر على بن محمد^(١)
يومئذ من أصحابه إلا القليل ، فهو على ذلك من حاله ، حتى وافي أبو أحمد في الجيش ومعه
مفلح ، فورد جيش عظيم لم يرد على الزنج مثله ، فلما وصل إلى نهر معقل ، انصرف من
كان هناك من الزنج ، فالتحقوا بصاحبهم مرعوبين ، فراعه ذلك ، ودعا برئيسين منهما ،
فسألها من السبب الذي تركا موضعهما ، فأخبرا بما عاينا من عظم أمر الجيش الوارد ،
وكثرة عدد أهله وإحكام عدتهم ، وأن الذي عاينا من ذلك لم يكن في قوتها الوقوف له
في الشدة التي كانا فيها ، فسألها : هل علما من بقود هذا الجيش ؟ فقالا : قد اجتهدنا في علم
ذلك ، فلم نجد من يصدقنا عنه .

فوجه صاحب الزنج ثلاثه في شهرين إلى كربلاء ، فرجعت طلائعها إليه بمعظم
أمر الجيش وتنظيمه ، ولم يقف أحد منهم على من يقوده ، فزاد ذلك في جزعه وارتياحه ،
فامر بالإرسال إلى علي بن أبان بطلب خبر الجيش الوارد ، وبأمره بالمسير إليه فيمن معه ،
ووافي جيش أبي أحمد ، فأناخ بإزاء صاحب الزنج فلما كان اليوم الذي كانت فيه الواقعة ،
خرج علي بن محمد بطوف في عسكره ماشياً ، ويتأمل الحال فيمن هو من حربه ومن
هو [مقيم] ^(٢) بإزائه على حربه ، وقد كانت السماء مطرت ذلك اليوم مطراً خفيفاً ، والأرض
ثريّة ^(٣) تزل عنها الأقدام ، فطوف ساعة من أول النهار ورجع ، فدعا بدواة وقرطاس
ليكتب كتاباً إلى علي بن أبان ، ليخبره بما قد أحاطه من الجيش ، وبأمره بتقديم من قدر
على تقديمه من الرجال ؛ فإنه لفي ذلك ، إذ أتاه أبو دؤيب القائد أحد قواد الزنج ، فقال له : إن

(١) الطبري : « الحديث » .

(٢) من الطبري .

(٣) في الأصول : « ثريّة » وما أتبعه من الطبري .

القوم قد غشوك ودهقوك ، وانهزم الزنج من بين أيديهم ، وليس في وجوههم من يردم ؛ فانظر لنفسك ، فإنهم قد انتهوا إليك ^(١) . فصاح به واشهره وقال : اغرب ^(٢) حتى فإنك كاذب فيها حكيت ، إنما ذلك جزع داخل قلبك ^(٣) لكثرة من رأيت من الجمع ، فانزع قلبك ، فليست تدري ما نقول !

فخرج أبو دلف من بين يديه ، وأقبل يكتب ، وقال لجعفر بن إبراهيم السجاني : نادى الزنج ، وحرّكهم للخروج إلى موضع الحرب ، فقال له : إنهم قد خرجوا ، وقد ظفروا بأسيرين من سفن أصحاب السلطان ، فأمره بالرحوع لتحريرك الرجلة ، وكان من القضاء والقدر أن أصيب مفلح - وهو القائد الجليل ، المرشح لقيادة الجيش بعد أبي أحمد - بسهم غريب ^(٤) لا يدري من رماه ، فأتى لوقعه ، وولعت الهزيمة على أصحاب أبي أحمد ، وقرى الزنج على حربهم ، فقتلوا منهم جمعا كثيرا ، ووافى علي بن محمد زنجيه بالروس قاضين عليها بأستانهم حتى أقصوها بين يديه ، فكثر الروس يومئذ حتى ملأت المصا ، وجعل الزنج يقتسمون لحوم القتلى ، ودماء دونهما بينهم ، وأتى بأسير من الجيش فسأله من رأس العسكر ، فذكر أبا أحمد ومفلحا ، فارتاع لذكر أبي أحمد ، وكان إذا رآه أمر كذب به ، وقال : ليس في الجيش إلا مفلح ، لأنى لست أسمع الذكرك إلا له ، ولو كان في الجيش من ذكر هذا الأسير لكان صوته أبدا ، ولما كان مفلح إلا تاما له ، ومضافا إليه ^(٥) .

قال أبو جعفر : وقد كان قبل أن يصيب السهم مفلحا ، انهزم الزنج لما خرج عليهم

(١) الطبرى : « إلى الجبل الرابع » .

(٢) في الأصول : « اغرب » ، وما أثبت من الطبرى

(٣) الطبرى : « دخلك » .

(٤) يقال : أصابه سهم غريب ، بإضافة أو الوسط ، أى لا يدري رايه .

(٥) الطبرى : « إلى مصبته » .

جيش أبي أحمد ، وجزّعوا جزءاً شديداً ، ولجئوا إلى النهر المعروف بنهر أبي الخصيب ، ولا جسرَ يومئذٍ عليه ، ففرق منهم خلق كثير ، ولم يلبث صاحب الزنج إلا يسيراً حتى وافته على بن أبان في أصحابه ، فوافاه وقد استغنى عنه بهزيمة الجيش السلطاني ؛ ومحمّز أبو أحمد بالجيش إلى الأبلّة ، ليجمع ما فرقت الهزيمة منه ، ويجدد الاستعداد للحرب ، ثم صار إلى نهر أبي الأسد فأقام به .



قال أبو جعفر : حدثني محمد بن الحسن ، قال : فكان صاحب الزنج لا يدري كيف قُتل مُفلح ؛ فلما لم يرَ أحداً ينتحل رُميّه ادّعى أنه كان الرامي له ، قال : فسمعتُه يقول : سقط بين يدي سهمٌ من السماء ، فأثاني به وإني خادمي ، فدفعه إليّ ، فرميتُ به فأصاب مُفلحاً فقتله ، قال محمد : وكذب في ذلك ، لأني كتبتُ حاضراً معه ذلك للشهد ، مارال من فرسه حتى أتاه خبرُ الهزيمة ^(١) .



قال أبو جعفر : ثم إنَّ الله تعالى أصاب صاحب الزنج بمصيبة تعادل فرحَه وسروره بقتل مُفلح عقيب قتل مُفلح ، وذلك أنَّ قائد الجليل يحيى بن محمد البهراني أُسيرَ وقتل ، وصورة ذلك أن صاحب الزنج كان قد كتب إلى يحيى بن محمد ، يعلمُه ورودَ هذا الجيش عليه ، ويأمرُه بالتقدم والتحرُّر في معصره من أن يلتقاه أحدٌ منهم وقد كان يحيى غنيماً سفناً فيها متاعٌ وأموال ؛ لتجار الأهواز جليّة ، وحامى عنها أصحابُ أصفهون التركي فلم يُغن ، وهزمهم يحيى ، ومضى الزنج بالسفن المذكورة يمدُّونها متوجّهين نحو معسكر صاحب الزنج على شُمت البطيعة المعروفة ببطيعة الصّحاة ، وهي طريقة متعسّقة وعرة ؛

(١) بعدما في الطبري : « وآتى بالرموس والفضت الحرب » .

فيها مشاق متعبة ، وإنما سلكها يحي وأصحابه ، وتركوا الطريق الواضح ؛ لتعاسد
الذي كان بين يحي بن محمد وعلي بن أبان ، فإن أصحاب يحي أشاروا عليه ألا يسلك
الطريق التي يمر فيها على أصحاب علي بن أبان ، فأصغى إلى مشورتهم فشرعوا
به الطريق المؤدي إلى البطيعة المذكورة فسلكها ، وهذه البطيعة ينتهي السائر فيها إلى
نهر أبي الأسد ، وقد كان أبو أحمد انحار إليه ، لأن أهل القرى والواد كاتبوه يمر فوقه
خير يحي بن محمد البحراني ، وشدة بأسه ، وكثرة جمعه ، وأنه ربما خرج من البطيعة إلى
نهر أبي الأسد ، فسكر به ، ومنع أبا أحمد الميرة ، وحال بينه وبين ما أتته من
الأعراب وغيرهم ، فسبقه أبو أحمد إلى نهر أبي الأسد ، وسار يحي حتى إذا قرب من نهر
أبي الأسد ، وافقه ملاحمه ، فأخبرته بالجيش ، وعظمت أمره ، وخوفته منه ، فرجع من
الطريق الذي كان سلكه بمشقة شديدة ناله ، ونالت أصحابه ، وأصابهم مرض ليرد دم
في تلك البطيعة ، وجعل يحي على مقدمة سليمان بن جامع ، وسار حتى وقف على قنطرة
فخرج نهر العباس ، في موضع سبق تشد فيه جربة الماء ، وهو مشرف ينظر أصحابه
الزنج : كيف يحرقون تلك السفن التي فيها المعائم ، فنها ما يفرق وما يسلم .



قال أبو جعفر : حدثني محمد بن سمان قال : كنت في تلك الحال واقفاً مع يحي على
القنطرة ، وقد أقبل علي متعجباً من شدة جربة الماء ، وشدة ما يلقى أصحابه من تلقيه
بالسفن ، فقال : أرايت لو هجم علينا عدو في هذه الحال من كان يكون أسوأ حالاً منا ؟
فوالله ما انقضى كلامه حتى وافى كاشمهم التركي في جيش ؛ قد أخذ معه أبو أحمد عند
رجوعه من الأبطنة إلى نهر أبي الأسد ، بخلق به يحي ، فوقعت الصيحة ، واضطربت
الزنج ، فهضمت منشوقاً للنظر ، فإذا الأعلام المجر قد أقبلت في الجانب الغربي من نهر
العباس ويحي به ، فلما رأها الزنج اتقوا أنفسهم جملة في الماء ، فمروا إلى الجانب الشرقي

وخلا للوضع الذي فيه يحيى ، فلم يبق معه إلا بضعة عشر رجلا منهم ، قهض عند ذلك
 فأخذ درّقه وسيفه ، واحتزم بمندبل ، ثم تنقّى القوم^(١) في النفر الذين تخلّفوا معه ،
 فرشقهم أصحاب كاشهم التركي بالسهام ، حتى كثر فيهم الجراح ، وجرح يحيى بأهمهم
 ثلاثة في عضده اليمنى وساقه اليسرى ؛ فلما رآه أصحابه جريحا ، تفرّقوا عنه ولم يعرف
 فيقصده ، فرجع حتى دخل بعض تلك السفن ، وعبر به إلى الجانب الشرقى من النهر ؛
 وذلك وقت الضحى ، وأثقله الجراحات التي أصابته ، فلما رأت الزنج شدة ما نزل به ،
 اشتدّ جرحهم ، وضفت قلوبهم ، فتركوا القتال ، وكانت همّتهم البعثة بأنفسهم ، وحاز
 أصحاب السلطان تلك العائم التي كانت في السفن الجانب الغربى من النهر ، واضطّعت
 الزنج بالجانب الشرقى من يحيى ، فعملوا ينسّقون قتيّة سارهم بمدّ قتل ذريع فيهم ،
 وأسير كثير ، فلما أسوا وأسدف الليل طاروا على مجوهمهم . فلما رأى يحيى تفرّق
 أصحابه ركب سميرية كانت هناك ، وأخذ معه فيها متطببا ، يقال له عباد^(٢) ، وطمع في
 التخلص إلى عسكر صاحب الزنج ، فسار حتى قرب من فوهة النهر ، فأبصر سميريات
 وشذائات لأصحاب السلطان في فوهة النهر ، تخاف أن تمرض سميريته ، وجزع من
 المرور بها ، فمهر به اللّاح إلى الجانب الغربى من النهر ، فألقاه وطيبه على الأرض في زرع
 هناك ، ففرج يمشى وهو مثقل حتى ألقي نسيه في بعض تلك المواضع ، فأقام هناك ليته
 تلك . فلما أصبح نزفه الدم ، ونهض عباد الطيب^(٣) ، فجعل يمشى متشوّفا أن يرى
 إنسانا ، فرأى بعض أصحاب السلطان ، فأشار لهم إلى موضع يحيى ، فجاموا ، حتى وقفوا
 عليه ، فأخبروه ، وانتهى خبره إلى [الخليفة]^(٤) صاحب الزنج فجزع عليه جزعا شديدا ،
 وعظم عليه توجّعه .

(١) الطبرى : « القوم الذين أتوه » .

(٢) الطبرى : « ويرف بأبى جيش » .

(٣) يمدى الطبرى : « للطيب » .

(٤) من الطبرى .

ثم نُجِلَ يحيى إلى أبي أحد ، فجلسه أبو أحد إلى المعتد ، فأدخل إلى سائر رآكبه
جل ، والناس مجتمعون ينظرونه ، ثم أمر المعتد ببناء دكة عالية بمحضرة مجرى الحلية ،
فبنيت ، ورفع للناس عليها حتى أبصره الملائق كافة ، ثم ضرب^(١) بين يدي المعتد وقد
جلس له مائتي سوط بنارها^(٢) ثم قطعت يداه ورجلاه من خلاف ، [ثم خبط بالسيف] ثم
ذبح وأحرق .

• • •

قال أبو جعفر : حدثني محمد بن الحسن ، قال : لما قُتِلَ يحيى البعرائى ، فأتته خبره
إلى صاحب الزنج ، قال لأصحابه : لما عظم على قتله ، واشتد اهتمامى به ، حوطبت قفيللى :
قتله خيرة لك ! إنه كان شرعاً . ثم أقبل على جماعة أبا فيهم ، فقال : من شره أنا فليمتنا
غيبمة من بعض ما كنا نكتم^(٣) وكان فيما عقدان ، فوقما فى يد يحيى ، فأحسنى على
أعظمهما خطراً ، وعرض على أحسهما ، ثم استوهبه فوهبته له ، فرفع إلى المقعد الذى
أخفاه حتى رآه ، فدهرته فقلت : أحضر^(٤) لى المقعد الذى أخفيت ، فأتانى بالمقعد الذى وهبته
له ، وجعل أن يكون أحد غيره ، فرفع إلى المقعد ثانية ، فجعلت أصفه له وأنا أراه وهو
لا يراه ، فبهت وذهب ، فأتانى ، ثم استوهبته فوهبته له ، وأمرته بالاستغفار .

قال أبو جعفر : وذكر محمد بن الحسن ، أن محمد بن سيمان حدثه أن صاحب الزنج ،
قال فى بعض أيامه : لقد عُرِضْتُ على النبوة فأبيتها . فقيل له : ولم ذاك ؟ قال : إن لها
أعباء خفت ألا أطيق حملها .

• • •

(١-٢) الطبرى : « ثم رفع للناس حتى أبصروه ، فضرب بالسياط ، وذكر أنه دخل سائرا يوم
الأربعاء للتح خلون بـدرج على جبل ، وجلس للمعتد من غير ذلك اليوم ؟ وذلك يوم الخميس ففُضِرَ
بين يديه مائة سوط بنارها » .
(٣) الطبرى : « نصيه » .

قال أبو جعفر : فأما الأمير أبو أحمد ، فإنه لما صار إلى نهر أبي الأسد وأقام به ، كثرت
الملل فيمن معه من جنده وغيرهم ، وفشا فيهم الموت ، فلم يزل مقبلاً هناك حتى أبل من
تجماً منهم من عيته ، ثم انصرف ، راجعاً إلى باداورد ، فسكر به ، وأمر بتجديد الآلات
وإصلاح الشدوات والسيريات وإعطاء الجند أرزاقهم وشحن السفن بقواده ومواليه
وغلمانته ، ونهض نحو عسكر الناجم ، وأمر جماعة من قواده بقصد مواضع سماها لم من
نهر أبي الخصب وغيره ، وأمر الباقين بملازمة الحاربة معه ؛ في الموضع الذي يكون فيه ،
وم الأفلون ؛ وعرف الزنج تفرق أصحاب أبي أحمد عنه ، فكثروا في جهته ، واستمرت
الحرب بينه وبينهم ، وكثرت القتل والجراح بين الفريقين ، وأحرق أصحاب أبي أحمد
قصوراً ومنازل كان الزنج ابنتوها ، واستنفدوا من نساء أهل البصرة تجماً كثيراً ، ثم
صرف الزنج سورتهم وشدة حملهم إلى الموضع الذي به أبو أحمد ، فجاءه منهم جمع
لا يقاوم ، بمثل المدة البصرة التي كان فيها ، فرأى أن الحزم في محاربتهم ، فأمر أصحابه
بالرجوع إلى سفهم على تودة وتمهل ، فمهلوا ، وبقيت اثنتان من جنده ولجوا تلك
الأدغال والمضائق ، فخرج عليهم كين الزنج فأوقعوا بهم ، فحاصموا عن أنفسهم ، وقتلوا عدداً
كثيراً من الزنج إلى أن قتلوا بأجمعهم ، وحملت رؤوسهم إلى الناجم ، فزاد ذلك في قوته
وعتوه ونجته بنفسه ، وانصرف أبو أحمد بالجيش إلى باداورد ، وأقام بين أصحابه الرجوع
إلى الزنج ، فوقعت نار في طرف من أطراف عسكره ، وذلك في أيام عصف الرياح ،
فاحترق العسكر ، ورحل أبو أحمد منصرفاً وذلك في شبان من هذه السنة
إلى واسط^(١) .

فأقام بها إلى ربيع الأول ، ثم انصرف عنها إلى سامراء ؛ وذلك أن المعتد كاتبه واستقدمه

(١) بعدما في الطريق : « فلما صار إلى واسط تفرق عنه عامة من كان معه من أصحابه » .

لحرب يعقوب بن الليث الصفار أمير حراسان ، فاستخلف على حرب الناجم محمد اللؤلؤ ، وأما الناجم فإنه لم يعلم خبر الحريق الذي وقع في عسكر أبي أحمد ، حتى ورد عليه رجلا من أهل عبادان ، فأخبراه ، فأظهر أن ذلك من صنع الله تعالى له ونصره على أعدائه ، وأنه دعا الله على أبي أحمد وجيشه ، فزلت نار من السماء فأحرقتهم .

وعاد إلى الميث ، واشتد طغيانه وعتوه ، وأنهض على بن أبان المهلبى ، وضم إليه أكثر الجيش ، وجعل على مقدمته سليمان بن جامع ، وأضاف إليه الجيش الذي كان مع يحيى بن محمد البهراني وسليمان بن موسى الشمراني ، وأمرهم بأن يقعدوا الأهواز وسها حينئذ أصنعون^(١) التركي ، ومعه نيزك القائد ؛ فالتقى العسكران بصعراء تعرف بدشت ميسان^(٢) ، واقتلوا ، فظهرت^(٣) الرمح ، وقتل نيزك في كثير من أصحابه ، وغرق أصنعون التركي ، وأسر كثير من قواد السلطان ؛ منهم الحسن بن هرثمة المعروف بالشاري^(٤) ، والحسن بن جعفر . وكتب على بن أبان بالخبر إلى الناجم ، وحمل إليه أعلاما ورد رسا كثيرة وأسرى ، ودخل على بن أبان الأهواز ، وأقام بها بزوجه يعيش وينهب القرى والسواد ، إلى أن تلب المتبد على الله موسى بن بشار حربه ، فشنخص عن سامرا ، في ذي القعدة من هذه السنة ، وشيعة المتبد بنفسه إلى خلف الحائطين ، وخلع عليه هناك تقدم أمامه عبد الرحمن بن مفلح إلى الأهواز وإسحاق بن كنداخ إلى البصرة ، وإبراهيم بن سها إلى الباذور .

فان أبو جعفر : فلما ورد عبد الرحمن بن مفلح على الأهواز أتاخ بخترة أوبى^(٥) عشرة أيام ، ثم مضى إلى على بن أبان المهلبى فواقه فهزمه على بن أبان ، فانصرف فاصد

(١) في الأصول : « سجنور » ، تحريف .

(٢) الطبري : « رستان » .

(٣) الطبري : « فكانت الخيرة يومئذ على أصنعون » .

(٤) الطبري : « الفار » .

(٥) الطبري : « أربك » .

ثم عاد لخارجه ، فأوقع به وقعة عظيمة ، وقتل من الزنج قتلاً ذريعاً وأمر أسرى كثيرة ،
 وأمر علي بن أبيان ومن معه من الزنج حتى أتوا الموضع المعروف ببنيان ، فأراد الفاجم ردم
 فلم يرجعوا ، للذي خالط قلوبهم . فلما رأى ذلك أذن لهم في دخول عسكره ، فدخلوا
 جميعاً ، فأقاموا معه بالمدينة التي كان بناها ، ورافق عبد الرحمن بن مفلح حصن مهدي
 ليحسبكر به ، فوجه إليه الفاجم علي بن أبيان فواقعه فلم يقدر عليه ، ومضى علي بن أبيان إلى
 قريب من الهاذورد ؛ وهناك إبراهيم بن سبأ ، فواقعه إبراهيم ، فهزم علي بن أبيان ، فداوده
 فهزمه إبراهيم ، فمضى في الليل ، وسلك الأدغال والأجاص ؛ حتى واثق سهر يحيى ، فأتى
 حبره إلى عبد الرحمن بن مفلح ، فوجه إليه طاشغبر التركي في جمع من الموالي ، فلم يصل
 إلى علي بن أبيان ومن معه ، لوعودة الموضع الذي كانوا فيه ، وامتناعه بالقبض والخلافة^(١) ،
 فأخبره عليهم نارا ، فخرجوا منه هاربين ، وأسر منهم أسرى ، وانصرف إلى عبد الرحمن
 ابن مفلح بالأسرى والطفر ، ومضى علي بن أبيان ، فأقام بأصحابه في الموضع للنسي نسوحاً ،
 وانتهى الخبر بذلك إلى عبد الرحمن بن مفلح ، فصار إلى العمود ، فأقام به ، وصار علي بن
 أبيان إلى نهر السدرة ، وكتب إلى التاج يستدّه ، ويسأله التوجيه إليه بالشذا ، فوجه إليه
 ثلاث عشرة شدة ، فيها جمع كثير من أصحابه ، فسر علي بن أبيان ومن معه في الشذا ،
 ورافق عبد الرحمن بمن معه ، فلم يكن بينهما قتال ، وتوقف الجيشان يومئذ .

فلما كان الليل اختب علي بن أبيان من أصحابه جماعة يشق بمقدوم وصبرهم ، ومضى
 ومعه^(٢) سايان بن موسى المعروف بالشراقي ، وترك سائر عسكره مكانه ليخفي أمره ،
 فصار من وراء عبد الرحمن ، ثم بيته وعسكره^(٣) ، فقال منه ومن أصحابه فيلما ، وانحاز

(١) الخلافة : مكان بنت المصطفى .

(٢) الطبري . : فيهم .

(٣) الطبري : : في عسكره .

عبد الرحمن عنه وترك أربع شذوات من شذواته ، ففنيها علي بن أبيان ، وانصرف ومضى عبد الرحمن لوجهه ؛ حتى وافى دُولاب^(١) ، فأقام بها ، وأعد رجالاً من رجاله ، وولى عليهم طاشنم التركي ، وأخذهم إلى علي بن أبيان ، فواقوه وهو في اللوضع المعروف بباب آرد ، فأوقفوا به وقعةً انهزم منها إلى نهر السُدرة ، وكتب طاشنم إلى عبد الرحمن بأنهم معه ، فأقبل عبد الرحمن بجيشه حتى وافى الدود ؛ فأقام به واستعد أصحابه للحرب ، وهباً شذواته ، وولى عليها طاشنم ، وسار إلى قُوة نهر السُدرة ، فواقع علي بن أبيان وقعة عظيمة ، انهزم منها علي بن أبيان ، وأحد منه عشر شذوات ، ورجع علي بن أبيان إلى الناحم مغلولاً مهزوماً ، وسار عبد الرحمن من فوره ، ففكر ببيان ، فسكّات عبد الرحمن بن مفلح وإبراهيم بن سبأ بتناوُلان المصير إلى عسكر الناحم ، فيوقمان به ، ويخذهان من فيه وإسحاق بن كنداجيق^(٢) يومئذ بالبصرة ، وقد قطع الميرة عن عسكر الناحم ؛ فكان الناجم يجمع أصحابه في اليوم الذي يخاف فيه موافاة عبد الرحمن من مفلح وإبراهيم ابن سبأ ؛ حتى ينتفضي الحرب ، ثم يصرف مريفاً منهم إلى ناحية البصرة ، فيواقع بهم إسحاق ابن كنداجيق ؛ فأقاموا على هذه الحال بضعة عشر شهراً إلى أن صرف موسى بن نفا عن حرب الرّجج^(٣) .

• • •

قال أبو جعفر : وسبب ذلك أن المتبذرة أمرًا فارس والأهواز والبصرة وغير هاتين

(١) الطبري : . دُولاب . .

(٢) الطبري : . كنداج . .

(٣) في الطبري : . إلى أن صرف موسى بن نفا عن حرب الحبث ، وولياها مسرور البلخي ، وانتهى

لحرب بذلك إلى الحبث .

النواحي والأقطار إلى أخيه أبي أحد ، بعد فراغه من حرب يعقوب بن الليث الصغار وهزيمة له ، فاستخلف أبو أحد على حرب صاحب الزنج مسروراً البلخي ، وصرف موسى بن بنا عن ذلك ؛ واتفق أن ابن واصل حارب عبد الرحمن بن مفلح ، فأسره وقتله ، وقتل طاشسر التركي أيضاً ، وذلك بغاحية رأمهرمز ، فاستخلف مسرور البلخي على الحرب أما الساج وولى الأهواز ؛ فكانت بينه وبين علي بن أبان المهلبى وقعة بغاحية دولاب ، قتل فيها عبد الرحمن صهر أبي الساج ، وانحاز أبو الساج إلى عسكر مكرم ، ودخل الزنج الأهواز ؛ فقتلوا أهلها وسبوا وأحرقوا [دورها] (١) .



قال أبو جعفر : ثم وجه صاحب الزنج جيوشه بعد هزيمة أبي الساج إلى ناحية البطيعة والحوانيت ودستيسان ، قال : وذلك لأن واسطاً خلت من أكثر الجند في وقعة أبي أحد ويعقوب بن الليث التي كانت عند دير العاقول ، فطمع الزنج فيها ، فتوجه إليها سليمان بن جامع في عسكر من الزنج ، وأردفه الفاجم بجيش آخر مع أحمد بن مهدى في محددات ، فيها دماء من أصحابه ، أحذه إلى نهر المرأة ، وأخذ عسكراً آخر فيه سليمان بن موسى ، فأمره أن يسكر بالنهر المعروف باليهودى ؛ فكانت بين هؤلاء وبين من تخلف بهذه الأعمال من عساكر السلطان حروب شديدة ، وكانت سجالاً لم وعليهم ؛ حتى ملكوا البطيعة والحوانيت ، وشارفوا واسطاً ، وبها يومئذ محمد المولّد من قبل السلطان فكانت بينه وبين سليمان بن جامع حروب كثيرة يطول شرحها وتعدادها ، وأمدّه الفاجم بالخليل بن أبان - أخى علي بن أبان المهلبى - في ألف وخمسمائة فارس ، ومعه أبو عبد الله الزنجي المعروف بالمرتب ، أحد قهّادهم المشهورين ، فتوّر سليمان بهم ، وأوقع بمحمد المولّد ، فهزّمه ، ودخل واسطاً في ذى الحجة سنة أربع وستين ومائتين بزوجه وقواده ، قتل منها خلقاً كثيراً ، ونهبها وأحرق دورها وأسواقها ، وأخرب كثيراً من منازل أهلها ،

وثبت للجماعة عنها فأنشد كان بها من جانب محمد بن الوليد، يقال له كعبور البخاري،
لحمي يومه ذلك إلى العصر، ثم قتل. وكان الذي بقود الخليل يومئذ في عسكر سليمان بن
جامع الخليل بن أبان وعبد الله المعروف بالذئب، وكان أحمد بن مهدي الجبائي في
السميريات، وكان مهريان^(١) الزنجي في الشذرات، وكان سليمان بن موسى الشمراني
وأخوه في ميمته وميسرته، وكان سليمان بن جامع، وهو الأمير على الجماعة في قواده
السودان ورجاله منهم، وكان الجميع بدأ واحدة، فلما قضوا وطروهم من نهب واسط وقتل
أهلها، خرجوا بأجمعهم عنها، فقصوا إلى جُتْلَاء، وأقاموا هناك يسيثون ويخربون.

وفي أوائل سنة خمس وستين، دخلوا إلى الثمانية، وجرّجراً وجبل، فنهبوا
وأخربوا وقتلوا وأحرقوا، وهرب منهم أهل السواد فدخلوا إلى بغداد.



قال أبو جعفر: فأما علي بن أبيان الهلبي فإنه استولى على معظم أعمال الأهواز، وحدث
هناك وأخرب وأحرق، وكانت بينه وبين عمال السلطان وقواده مثل أحمد بن لثوية،
ومحمد بن عبد الله الكردي، وتكين البخاري، ومطر بن جامع، وأمرئش التركي وغيرهم،
وبينه وبين عمال يعقوب بن الليث الصغار، مثل خضر بن العنبر وغيره حروباً عظيمة،
ووقعات كثيرة، وكانت سجالاً، تارة له وتارة عليه؛ وهو في أكثرها المستظهر عليهم.
وكانت أموال الزنج والمغانم التي حوّلها من البلاد والنواحي، وعظم أمرهم، وأهم الناس
شأنهم، وعظم على المتمد وأحبه أي أحد خطبهم، واقتسموا الدنيا؛ فكان علي بن محمد
الناجم صاحب الزنج وإمامهم مقياً بنهر أبي الخصيب، قد بنى مدينة عظيمة سماها
المختارة، وحصنها بالخرادق، واجتمع إليه فيها من الناس ما لا ينتهي المد والحصر إليه،
ورغبة ورهبة؛ وصارت مدينة تصاهي سامراء وبغداد، وتزيد عليهما، وأمرأؤه وقواده

(١) كذا في الطبري، وفي الأصول: «مهريان».

بالبصرة وأعمالها يحبون الخراج على عادة السلطان لما كانت البصرة في يده ، وكان على ابن أبي الهيثم - وهو أكبر أسرته وقواده - قد استولى على الأهوز وأعمالها ، ودوخ بلادها كرامهر مز ونسقر وغيرها ، ودان له الناس ، وجبا الخراج ، ومَلَكَ أموالا لا تحصى .

وكان سليمان بن جامع وسليمان بن موسى الشمراني ، ومعهما أحمد بن مهدي الجبائي في الأعمال الواسطية ، قد ملكوها وبنوا بها المدن الحصينة ، وقازوا بأموالها وارتفاعها ، وجبوا خراجها ، ورتبوا محالهم وقوادهم فيها ، إلى أن دخلت سنة سبع وستين ومائتين ، وقد مظم الخطب وجل ، وخيف على مَلِك بني العباس أن يذهب ويتقرض ؛ فلم يجد أبو أحمد الموفق - وهو طلحة بن المتوكل على الله - بدا من التوجه بنفسه ومباشرة هذا الأمر الجليل برأيه وتدييره ، وحضوره معارك الحرب ، فغلب أمامه ابنه أبا العباس ، وركب أبو أحمد إلى بستان الهادي ببغداد ، وعرض أصحاب أبي العباس ، وذلك في شهر ربيع الآخر من هذه السنة ، فكانوا عشرة آلاف ، فرسانا ورجالة في أحسن زي وأجل هيئة ، وأكل عذة ، ومعهم الشذوات والسميريات وللماير رسم الرجالة^(١) ، كل ذلك قد أحكت صنعة . فركب أبو العباس من بستان الهادي ، وركب أبو أحمد مشيا له حتى نزل القرية المعروفة بالفيرك ، ثم طاد وأقام أبو العباس بالفيرك أياما ؛ حتى تكامل عدده وتلاحق به أصحابه .

ثم رحل إلى المدائن ، فأقام بها أياما ، ثم رحل إلى دير الماقول ، فورد عليه كتاب نصير المعروف بأبي حمزة ، وهو من جلة أصحابه ، وكان صاحب الشذأ والسميريات ، وقد كان قدمه على مقدمته بدجلة يعلمه فيه أن سليمان بن جامع قد وافى لما علم بشغوص أبي العباس ، والجبائي يقدمه ، في خيلهما ورجالهما وسفنها حتى نزلا الجزيرة التي بحضرة

(١) الطبري : «الرجالة» .

برودوا ، فوق واسط بأربعة فراسخ ، وأن سليمان بن موسى الشمراني قد واثق نهر أبان
بسكره ؛ سكر البرة وسكر الماء ؛ فرحل أبو العباس لتأقرا هذا الكتاب حتى واثق
جربجرا ، ثم منها إلى قم الصلح ، ثم ركب الظهر وسار حتى واثق الصلح ، ووجه
ملائمه ليشتري الخبز ، فأتاه منهم من أخبره بموافاة القوم ، وأن أولم قريب من الصلح ،
وآخرهم يستأن موسى بن بفا ، أسفل واسط ؛ فلما عرف ذلك عدل عن سائر الطريق ،
وإلى أصحابه أوائل القوم ، فطاردوا لم عن وصية أوصاهم أبو العباس بها ، حتى طبع
الزنج فيهم ، واغترؤا وأمنوا في اتباعهم ، وجعلوا يصيحون بهم : اطلبوا أميرا للعرب ،
فإن أميركم مشغول بالصيد !

فلما قربوا من أبي العباس بالصلح ، خرج إليهم فيمن معه من الخيل والرجل ، وأمر
فصيح بأبي حمزة : يا نصير ، إلى أين تهاجر عن هؤلاء الكلاب ! ارجع إليهم . فرجع
نصير بشذواته وسميرياته ؛ وفيها الرجال ، وركب أبو العباس في سميرية ، ومعه محمد بن
شبيب ، وحف أصحابه بالزنج من جميع جهاتهم ؛ فانهزموا ، ومنع الله أبا العباس
وأصحابه أكتافهم ، يقتلونهم ويطردونهم ، إلى أن وافوا قرية عبد الله ؛ وهي على ستة
فراسخ ، من الموضع الذي لقوم فيه ، وأخذوا منهم خمس شذوات وعشر سميريات ،
واسقامن منهم قوم ، وأمير منهم أسرى ، وغرق من صفهم كثير ؛ فكان هذا اليوم أول
الفتح على أبي العباس .

• • •

قال أبو جعفر : فلما انقضى هذا اليوم ، أشار على أبي العباس قواده وأولياؤه ، أن يحمل
سكره بالموضع الذي كان انتهى إليه ، إشتافا عليه من مقاربة القوم ، فأبى إلا النزول واسط
بنفسه ، ولما انهزم سليمان بن جامع ومن معه ، وضرب الله وجوهمهم ، انهزم سليمان بن

موسى الشمراني عن نهر أبان ؛ حتى واثى سوق الخبيس ؛ ولحق سليمان بن جامع بنهر الأمير ؛ وقد كان القوم حين لقوا أبا العباس ، أجعلوا الرأى بينهم فقالوا : هذا نقي حدث لم نطل ممارسته الحرب ونفريه بها ، ولرأى أن نرسمه بمحدثنا كله ، ونجتهد في أول لقية نلقاه في إزالته ؛ فلعل ذلك أن يروعه ، فيكون سببا لانصراره عنا ففعلوا ذلك وحشدوا واجتهدوا ، فأوقع الله تعالى بهم بأسه وقمته ، ولم يتم لهم ماقدروه ، وركب أبو العباس من غد يوم الوقعة ، حتى دخل واسطاً في أحسن زى ، وكان ذلك يوم الجمعة ، فأقام حتى صلى بها صلاة الجمعة ، واستأمن إليه خلق كثير من أتباع الزنج وأصحابهم ، ثم انحدر إلى القنطرة وهو على فرسخ واحد من واسط ، فاتخذ معكراً ، وقد كان أبو حمزة نصير وغيره أشاروا عليه أن يجعل معكراً فوق واسط ، حذراً عليه من الزنج فاستمع ، وقال : لست نأزلا إلا القنطرة ، وأسرأ بأبا حمزة أن ينزل فوطحة بردودا فوق واسط ، وأعرض أبو العباس عن مشاورة أصحابه واستأج شيء من آرائهم ، واستهد برأى غسه ، فنزل القنطرة وأخذ في بناء التذوات والسحريات ، وجعل يراوح كزنج القتال ويغاديهم ، وقد رتب خاصة خداه ومواليه في سحريات ، فجعل في كل سحيرة أميراً منهم .

ثم إن سليمان استمد وحشد وقرق أصحابه ، فجعلهم في ثلاث أوجه : فرقة أتت من نهر أبان ، وفرقة من بر تمرتا ، وفرقة من بردودا ، فلقبهم أبو العباس ؛ فلم يلبثوا أن انهزموا ، فلحقت طائفة منهم بسوق الخبيس ، وطائفة بمازروان ، وطائفة ببر تمرتا ، وسلك آخرون نهر الماذيان ، واعتصم قوم منهم ببرودا ، وتبهم أصحاب أبي العباس ، وجعل أبو العباس قصده القوم الذين سلكوا نهر الماذيان ، فلم يرجع عنهم حتى واثى بهم بر مساور ، ثم انصرف ، فجعل يقف على القرى والمالك وبأل عنها ويعرفها ، ومعه الأدلاء وأرباب الخبرة ؛ حتى عرف جميع تلك الأرض ومنازلها ، وما ينهى إليه من

البطالخ والأجام وغيرها ؛ وعاد إلى مَسْكِرِه بالعمُر ، فأقام به أياماً مريضاً بنفسه وأصحابه .

ثم أتاه مخبر فأخبره أن الرّجح قد اجتمعوا واستعدوا لكبس عسكره ، وأنهم على إتيانه من ثلاثة أوجه ، وأنهم قالوا : إن أبا العباس غلام يفرّز بنفسه ، وأجمع رأيهم على تسكين الكُفَّاء ، وللصير إليه من الجيوش الثلاث ؛ فحذر أبو العباس من ذلك واستعدّ له ، وأقبلوا إليه وقد كنوا رهاء مشرة آلاف في بر تمرّنا ، ونحوها من العدة في قسّ هُنا ^(١) ، وتقدّم منها عشرون سميرة إلى عسكر أبي العباس ؛ على أن يخرج إليهم صبر بواحد مفاوشة يسيرة ، فيجيزوا أبا العباس وأصحابه إلى أن يجاوروا الكُفَّاء ؛ ثم يخرج السكين عليهم من ورائهم .

فنع أبو العباس أصحابه من اتباعهم لما وافقهم ، وأطهروا الكُفَّاء والمودع صلوا أن كيدهم لم ينفذ فيه ، وخرج حينئذ سليمان والجبالي في الشدا والسبيريات العظيمة ، وقد كان أبو العباس أحسن تعبئة أصحابه ، فأنسأ أبا حمزة نصيراً أن يخرج إليهم في الشدا والسبيريات المرتبة ؛ فخرج إليهم ، ورى أبو العباس في شدّاء من شدّوات قد كان سبأها الفزال ، واحتار لها جدّافين ، وأحد معه محمد بن شعيب الاشتيام ، واحتار من خاصّة أصحابه وغلماه جماعة ، دمع إليهم الرماح ، وأمر الخيالة بالمسير بإرائه على شاطئ النهر ، وقال لهم : لا تدعوا المسير ما أمكنكم ، إلى أن تقطعكم الأسهار . ونشبت الحرب بين الفريقين ؛ فكات معركة القتال من حدّ قرية الرمل إلى الرصافة ؛ حتى أدن الله في هزيمة الرّجح ؛ فأنهروا ، وحرّ أصحاب أبي العباس منهم أربع عشرة شدّاء ، وأفلت سليمان والجبالي في ذلك اليوم بعد أن أشقىا على الهلاك راحلتي ، وأخذت دواتهما ، ومضى جيش الرّجح بأجمعه ، لا يفتي أحدٌ منهم حتى وافوا بيّنا ، وأسلفوا ما كان معهم من أثاث وآلة ، ورجع

أبو العباس ، فأقام بمسكركه بالضمير ؛ وأصلح ما كان أخذ منهم من الشذا والسفن ^(١) ،
ورتب الرجال فيها ، وأقام الزنج بعد ذلك عشرين يوماً لا يظهر منهم أحد .

قال أبو جعفر : ثم إن الجسائي صار بعد ذلك يحمي في الطلائع كل ثلاثة أيام
وينصرف ، وحفر في طريق عسكر أبي العباس آثراً ، وصير فيها سفافيد حديد ، وغشاها
بالهوارى ، وأحرق مواضعها ، وحملها على سنن مسير الخيل لينهوت فيها المختارون بها ،
وحملوا في طرف المسكر متعمداً ، لتخرج الخيل طالبة له ، فجاء يوماً وطبقت الخيل كما
كانت نطبة ، فقطر ^(٢) فرس رجل من قواد المراغة في بعض تلك الآبار ، فوقف أصحاب
أبي العباس بما ناله من ذلك على ما كان دبره الجسائي ، فحذروا ذلك ، وتكفوا سلوك
تلك الطريق .



قال أبو جعفر : وألح الزنج في إمداده المسكر في كل يوم بالحرب ، وعسكرو
بنهر الأمير في جمع كثير ، وكعب سليمان إلى التاجم يسأله إمداده بسميريات ،
الكل واحدة منهن أربعون محمداً ، فوافاه من ذلك في مقدار عشرين يوماً أربعون سميرية ،
فيها رجال والسيوف والتزاس والرماح ، فسكات لأبي العباس معهم وقعات عظيمة ،
وفي أكثرها الظفر لأصحابه والمخلدان على الزنج ؛ ولج أبو العباس في دخول الأنهار
والمصائق ؛ حتى انتهى إلى مدينة سايمان بن موسى الشمراني بنهر الخبيس التي بناها
ومهاها للبيعة ، وخاطر أبو العباس بنفسه سراراً ، وسلم بعد أن شارف المطب ، واستأنس
إليه جماعة من قواد الزنج فأقنمهم ، وحلح عليهم وصنمهم إلى عسكره ، وقتل من قواد

(١) الطير : د والسميريات .

(٢) قطر : ذهب وأسرع .

الزنج جماعة ، وتعدت الأيام بينه وبينهم ، واتصل بأبي أحمد الموفق أن سليمان بن موسى الشمراني والجبائي ومن بالأعمال الواسطية من قواد صاحب الزنج ، كاتبوا أصحابهم ، وسألوه إمدادهم بلى بن أبان للهلي ؛ وهو المقيم حينئذ بأعمال الأهواز ، ولستولى عليها ، وكان على بن أبان قائد القواد وأمير الأمراء فيهم ، فكتب الناجم إلى على بن أبان يأمره بالمصير بجميع من معه إلى ناحية سليمان بن جهم ، ليجتمعوا على حرب أبي العباس .

فصاح عزم أبي أحمد على الشروع إلى واسط وحضور الحرب بنفسه ، فخرج عن بغداد في صفر من هذه السنة ، وعسكر بالفرك وأقام بها أياماً ؛ حتى تلاحق به عسكره ، ومن أراد السير معه ، وقد أعد آية الله ^(١) ورحل من الفرك إلى اللدائن ، ثم إلى دير الماقول ، ثم إلى جرجرايا ، ثم قني ، ثم جبل ، ثم نزل الصلح ؛ ثم نزل على فرسخ من واسط ^(٢) .

وتلقاه ابنه أبو العباس في جريدة خيل فيها وجوه قواده ، فسأله أبوه عن خبرهم ، فوصف له بلاءهم ونصحتهم ، فغلب أبو أحمد على أبي العباس ، ثم قلى القواد الذين كانوا معه . وانصرفت أبو العباس إلى معسكره بالشرقيات به ، فلما كان صبيحة الغد ، رجل أبو أحمد منعدراً في اللاء ، وتلقاه ابنه أبو العباس في آلات اللاء بجميع السكرف هيئة الحرب ، على الوضع الذي كانوا يحاربون الزنج عليه ، فاستحسن أبو أحمد هيئةهم ، وسر بذلك ، وسار أبو أحمد حتى نزل بإزاء القرية المروقة بقرية عبد الله ، ووضع المعطاء ، فأعطى الجيش كله أرزاقهم ، وقدم ابنه أبا العباس أمامه في الشفن ، وسار وراءه . فتلقاه

(١) الطبري : « وقد أعد له قبل ذلك العنا والسيوف والعاير » .

(٢) يمدح في الطبري : « فأقام هناك يومه » .

أبو العباس برهوس وأسرى من أصحاب الشراني ، وكان تقيهم ، فأمر أبو أحمد
بالأسرى قُضِرَت أعناقهم ، ورحل بريد المدينة التي بناها الشراني بسوق الخميس ،
وسماها للنيمة .

ولما بدأ أبو أحمد بحرب الشراني قبل حرب سليمان بن جامع ؛ لأن الشراني كان
وراءه ، يخاف إن بدأ بان جامع ، أن يأتيه الشراني من ورائه ، فيشقه عن أمه ؛
فلما قُرب من المدينة ، خرج إليه الزنج ، فحاربوه حرباً ضيقة ، وانهمزوا ، فعلا أصحاب
أبي العباس الشور ، ووضعوا السيف فيمن تقيهم ، وتفرق الزنج ، ودخل أبو العباس
المدينة ، فقتلوا وأسروا ، وحَوَّأ ما كان فيها ، وأطت الشراني هارباً معه خواصه ،
فاتبهم أصحاب أبي العباس ، حتى وافقوا بهم البطائح ، ففرق منهم خلق كثير ، ولجأ
الباقون إلى الأجام ، وانصرف الناس ، وقد استنقذ من السلات القواني كن بأيدى الزنج
في هذه المدينة خاصة خمسة آلاف امرأة ، سوى من ظفر به من الزنجيات ^(١) .

فأمر أبو أحمد بحمل ^(٢) النساء القواني سباعن الزنج إلى واسط ، وأن يدفنن إلى
أولياتهن ، وهاه أبو أحمد بحمال للمدينة ، ثم باكرها ، وأذن للناس في نهب ما فيها من أمتعة
الزنج ، فدخلت ونهب كل ما كان بها ، وأمر بهدم سورها ، وطم ^(٣) حندقها وإحراق
ما كان بقي منها ، وظفر في تلك القرى التي كانت في يد الشراني بما لا يحصى من الأرز
والخططة والشعير ؛ وقد كان الشراني استولى على ذلك كله ، وقتل أصحابه ، فأمر أبو أحمد
ببيعه وحرق ثمنه في أعطيات مواليه وغلاناه وجنده .

(١) الطبرى : « من الزنجيات القواني كن في سوق الخميس » .

(٢) الطبرى : « بحيلة النساء » .

(٣) طم الحندق والنهر : ردمه .

وأما الشمراني فإنه التحق هو وأخوه بالذار ، وكتب إلى الناجم بمرّفه ذلك وأنه
مستقيم بالذار .

قال أبو جعفر : حدثني محمد بن الحسن بن سهل ، قال : حدثني محمد بن هشام السكوني أن
المعروف بأبي واثقه ، قال : كنت بين يدي الناجم ذلك اليوم وهو يصعد ، إذ ورد عليه
كتاب سليمان مخبر الواقعة وما نزل به ، وانتهز به إلى للذار ، فما كان إلا أن قرأ
الكتاب ، ووقعت عينه على ذكر المزيعة ، حتى انحلت وكاء بطنه ، فنهض لحاجته ثم عاد .
فلما استوى به مجلسه ، أخذ الكتاب وتأمّله ، فوقعت عينه على الموضع الذي أسأله أولاً ،
فتمصص لحاجته حتى فعل ذلك مراراً ، فلم أشك في عظم المصيبة ، وكرهت أن أسأله ، فلما
حال الأمر تحاسرت ، فقلت : اليس هذا كتاب سليمان بن موسى ؟ قال : بلى ، ورد بقاصمة
الظهير ؛ ذكر أن الذين آماخوا عليه أوقفوا به وقعة لم تبقى منه ولم تدر ، فكذب كتابه هذا
وهو بالذار ، ولم يسلم بشئ غير نفسه . قال : فأكبرت ذلك - والله يعلم ما أخفى من السرور
الذي وصل إلى قلبي - قال : وصبر عليّ بن محمد على مكروه ما وصل إليه ، وجعل يظهر
الجلد ، وكتب إلى سليمان بن جامع يحدّثه مثل الذي نزل بالشمراني ، ويأمره بالتحفظ في
أمره وحفظ ما قبله .

قال أبو جعفر : ثم لم يكن لأبي أحمد بعد ذلكم إلا في طلب سليمان بن جامع ، فأنته
طلانته ، فأخبرته أنه بالحوانيت ، فقدم أمامه ابنه أبا المباس في عشرة آلاف ، فأتته إلى
الحوانيت ، فلم يحسد سليمان بن جامع بها ، وأتني هناك من قواد السودان المشهورين
بالبأس والتجدة للقائدين ، المعروف أحدهما بشبل ، والآخر بأبي الندي^(١) ، وهما من قداماء

(١) الطبري : « أبو الندي » .

أصحاب الفاجم للذين كان قودهم في بده مخزجه ، وكان سليمان قد خلف هذين القائدين بالخوانيت ، لحفظ غلات كثيرة كانوا قد أخذوها ، فحاربهما أبو العباس ، فقتل من رجالهما وجرح بالسهم خلقا كثيرا - وكانوا أجلة رجال سليمان بن جامع ونهشهم الذين يعتمد عليهم - ودامت الحرب بين أبي العباس وبينهم ذلك اليوم إلى أن حجز الليل بين القريتين . ورمى أبو العباس في ذلك اليوم كركيا طائرا ، فوقع بين الزنج والسهم فيه ، فقالوا : هذا سهم أبي العباس ، وأصابهم منه ذعر ، واستأنف في هذا اليوم بضهم إلى أبي العباس فسأله عن اللوضع الذي فيه سليمان بن جامع ، فأخبره أنه مقم بمدينة التي بناها بطيشتا ، فاصرف أبو العباس حينئذ إلى أبيه بحقيقة مقام سليمان ، وأن معه هناك جميع أصحابه إلا شبلا وأبا الندى ، فلينهما بالخوانيت لحفظ الغلات التي حوزها . فأمر حينئذ أبو أحمد أصحابه بالتوجه إلى طيشتا ، ووضع السطاء ، فأعطى عسكريا ، وشخص مصاعدا إلى بردود ، ليخرج منها إلى طيشتا ؛ إذ كان لا سبيل له إليها إلا بذلك ، فظن عسكريه أنه عارب ، وكانوا ينفذون لولا أنهم عرفوا حقيقة الحال ، فأنهى إلى القرية بالحوزة ، وعند جسر على النهر المعروف بمهرود ، وعبر عليه الليل ، وسار إلى أن صار بينه وبين مدينة سليمان التي سماها التصورة بطيشتا ميلان ، فأقام هناك بسكره ، ومطرت السماء مطرا جودا ، واشتد البرد أيام مقامه هناك ، فغسل بالمطر والبرد من الحرب فلهج عارب ، فلما قرر كبفى غمر من قواده ومواليه لارتداد موضع لجلال الليل ، فأنهى إلى قريب من سور تلك المدينة ، فالتقاء منهم خلق كثير وخرج عليه كمنه من مواضع شتى ، ونشبت الحرب واشتدت ، فخرج جماعة من الفرسان ، ودافعوا حتى خرجوا عن المضائق التي كانوا أوغلوها ، وأسير من غلمان أبي أحمد غلام يقال له وصيف التمدار وعدة من قواد زبرك ، وقتل في هذا اليوم أحد من مهدى الجبهات أحد القواد العظماء من الزنج ، ومات أبو العباس بينهم فأصاب أحد منخره حتم ، حالط دماغه ، نفز صريحا ، وحل من للمركة وهو حي ، فسأل أن يحمل

إلى الناجم ، فحِيلَ من هناك إلى نهر أبي الخصيب إلى مدينة الناجم التي سماها الخفارة ، فوضع بين يديه ، وهو على مابه ، فظمت للصبيّة عليه به إذا كان من أعظم أصحابه غداء ، وأشدّهم نصيراً لإطاعته ، فسكت الجبائيّ بمآلج هناك ألبما ثم هلك ، فاشتدّ جزع الناجم عليه ، وصار إليه ، فولى غسله ونكفيته والصلاة عليه ، والوقوف على قبره إلى أن دفن ؛ ثم أقبل على أصحابه فوعظهم ، وذكر موت الجبائيّ . وكانت وفاته في ليلة ذات رُعود وبروق .

قال فيما ذكر عنه : قد سمعت وقت قبض روحه زَجَلُ الملائكة بالأماء له ، والترحم عليه . وانصرف من ذلك منكراً ، عليه الكتابة .



قال أبو جعفر : فلما انصرف أبو أحمد ذلك اليوم من الوقفة ، فإدام بكثرة التند ، وعباً أصحابه كغائب فرساناً ورجالة ، وأمر بالشذو والسير يات أن يسار بهامه والنهر الذي يشقّ مدينة طهيتا وهو النهر المعروف بنهر المنذر ، وسار نحو الزنج ؛ حتى انتهى إلى سور المدينة قريب قوادخلاته في المواضع التي يخفّ خروج الزنج عليه منها ، وقدم للرجالة أمام الفرسان ، ونزل فصلّى أربع ركعات ، وابتهل إلى الله تعالى في النصر والدعاء للمسلمين ، ثم دعا بسلاحه عليه ، وأمر ابنه أبا لهاس أن يتقدم إلى السور ويحضّ الفيلان على الحرب ففعل ؛ وقد كان سليمان بن جامع أحد أمّام سور المدينة التي سماها المنصورة خندقاً ، فلما انتهى الفيلان إليه تهّبوا عبوره ، وأحجموا عنه ، فخرّضهم قوادهم ، وترجلوا معهم فالتصوه متجاسرين عليه ، فعبّوه وانتهوا إلى الزنج وهم مشرفون من سور مدينة بهم ، فوضعوا السلاح فيهم ، وعبرت شيرذمة من الفرسان انطلق خوفاً ، فلما رأى الزنج حيرة هؤلاء الذين قوّم وجراءتهم عليهم ، ولوا منهزمين ، واتبعتهم أصحاب أبي أحمد ، ودخلوا

للمدينة من جوانبها ، وكان الزنج قد حصنوها بخمسة خنادق ، وجعلوا أمام كل خندق منها سوراً يمتصون به ، فجعلوا يفتنون عند كل سور وخندق اشهرًا إليه ، وأصعاب أبي أحد يكشفونهم في كل موقف وقفوه ، ودخلت الشدا والسيريات مدبغتهم مشعونة بالظان المتألفة من النهر الذي يشقها بعد انهزامهم ، فأغرقت كل ماسرت به لهم من شذاة وسمورية ، واتبعوا من تجافى النهر منهم ؛ يقتلون ويأشرون ؛ حتى أجلوهم عن المدينة ومما يحصل بهاء وكان ذلك زهاء فرسخ ، فخرى أبو أحد ذلك كله ، وأفلت سليمان بن جامع في غمر من أصعابه ، واستعمر القتل فيهم والأسر ؛ واستنقذ من ساء أهل واسط وحبيباتهم وما انفصل بذلك من القرى ونواحي الكوفة زهاء عشرة آلاف ؛ فأمر أبو أحد بحمايتهم ولإغاثتهم عليهم ، وحملوا إلى واسط فندفوا إلى أهلهم ، واحتوى أبو أحد على كل ما كان في تلك المدينة من الذخائر والأموال والأطعمة والمواشي ؛ فكان شيتا جليل القدر ، فأمر ببيع الثلثات وغيرها من العروض ، وصرفه في أعطيات مكره ومواليه وأسر من نساء سليمان وأولاده عترة ، واستنقذ يومئذ وصيف القلدار ومن كان أسره الزنج معه ، فأخرج جوانب الحبس ، فقد كان الزنج أهملهم الأمر من قبله وتخلهم ، وأقام أبو أحد بطيشتا سبعة عشر يوما ، وأمر مهدم سور المدينة ، ولم يخادقها ، ففعل ذلك ، وأمر بجمع من لجأ منهم إلى الأجام ، وجعل لكل من أتاه رجل منهم جُتلاً ؛ فسارع الناس إلى طلبهم ، فكان إذا أتى بالواحد منهم خلع عليه وأحسن إليه ، وضمته إلى قواد خطائه لا دبر من استأثمهم ، وصرفهم عن طاعة صاحبهم ، وتذب نصراً صاحب الساء في شذا وسموريات لطلب سليمان بن جامع والمطربين معه من الزنج وغيرهم ، وأمره بالجد في اتباعهم ؛ حتى يجاوز البطائح ، وحتى يلع دجلة المعروفة بالموراء ؛ وتقدم إليه في فتح الشكور^(١) التي كان سليمان أحدثها ليقطع بها الشدا عن دجلة فيما بينه وبين النهر المعروف بأبي الخصيب ؛ وتقدم إلى

(١) الشكور : جهر سكر بالكسر ؛ وهو ما سجد به النهر

زيرك في المقام بطيها في جمع كثير من السكر، لتهراج إليها الذين كان سليمان أجلاهم منها من أهلها، فلما أحكم ما أراد إحكامه، تراجع بسكرهم مزمعا على التوجه إلى الأهواز ليصاحبها؛ وقد كان قدّم أمامه ابنه أبا الميسر، وقد قدّم في كرك على أبا الميسر، وكونه استولى على معظم كور الأهواز، ودوخ جهوش السلطان هناك، وأوقع بهم، وغلب على معظم تلك النواحي والأعمال.

فلما تراجع أبو أحمد وثقى بحدودنا، فأقام بها أياما، وأمر بإعداد ما يحتاج إليه للسير على الظهر إلى الأهواز، وقدّم أمامه من يصلح الطرق والمنازل؛ وبسط فيها الميرة للجهوش التي معه؛ ووافاه قبل أن يرحل عن واسط زيرك منصرفا من طهيها، بعد أن تراجع إلى النواحي التي كان بها الزنج أهلها؛ وخلفهم آسفين، فأمره أبو أحمد بالاستعداد والاعتدال في الشدا والسديرات في نخبة سكره وأجنادهم، فيصير بهم إلى دجلة الموراء، فيجتمع بدمو يدعير صاحب الماء على قرض دجلة، واتباع للزنجين من الزنج والإقباغ بكل من لقوا من أصحاب سليمان إلى أن ينتهي بهم السير إلى مدينة الناجم بنهر أبي الخصب، فإن رأوا موضع حرب حاربوه في مدينة؛ وكتبوا بما يكون منهم إلى أبي أحمد، ليرد عليهم من أمره ما يسلون بحسه.

واستخلف أبو أحمد على من خلفه من سكره بواسط ابنه هارون، وأزمع على الشخص في خيف^(١) من رجائه وأصحابه، فعمل ذلك بعد أن قدّم إلى ابنه هارون في أن يحذر الجيش الذي خلفه من السفن إلى سكره بدجلة، إذا وافته كعابته بذلك، وأمره أن يخاص من واسط الأهواز وكورها، فنزل بالذين، إلى الطيب، إلى قرقوب إلى وادي الموس؛ وقد كان عيده عليه جسر، فأقام به من أول النهار إلى وقت الظهر؛ حتى حذر سكره أجمع. ثم سار حتى وافى السوس فزها؛ وقد كان أمر مسرورا بالباض وهو طامع على الأهواز بالقدوم؛ عليه فوافاهم في جيشه وغزاه من غير اليوم الذي نزل فيه السوس؛

(١) الطيبى : « بين خلف » .

تفعل عليه وعليهم ، وأقام بالسُّوس ثلاثاً ، وكان ممن أمير من الرُّنَج بطيشتاً أحد بن موسى
ابن سعيد البصري المعروف بالقلوص ، وكان قائداً جليلاً عندهم ، وأحد عُدَد الناجم ، ومن
قدماء أصحابه ، أمير بعد أن أئمن جراحات كانت فيها مدينته ، فأمر أبو أحمد باحتراز
رأسه ونصبه على جسر واسط .

قال أبو جعفر : واتصل بالناجم خبرُ هذه الواقعة بطيشتاً ، وعلم ما نيلَ من أصحابه ،
فاحتض عليه تديره وضلت حيلته ، فخطه الخلع إلى أن كتب إلى علي بن أبا ن الملهي ،
- وهو يومئذ مقيم بالأهواز في زهاء ثلاثين ألفاً - يأمره بترك كل ما كان قبله من الميرة
والأثاث ، والإقبال إليه بجميع جهوشه ، فوصل الكتاب إلى الملهي ، وقد أناه الخبر
بإفدام أبي أحمد إلى الأهواز وكورها ، فهو قلبك طائر العقل . فقرأ الكتاب ، وهو
يحفره فيه حفراً بالمصير إليه ، فترك جميع ما كان قبله ، واستخلف عليه محمد بن يحيى بن
سعيد الكرنهائي . فلما شخص الملهي عنه لم يثبت ولم يقيم ، لما عنده من الوجل وترادف
الأخبار بوصول أبي أحمد إليه ، فأخل ما استخلف عليه ، وتبع الملهي - وبالأهواز
يومئذ ونواحيها من أصناف الحبوب والتمر والمواشي شيء عظيم - فخرجوا عن ذلك كله ،
وكتب الناجم أيضاً إلى بهبوذ بن عبد الوهاب القائد - وإليه يومئذ الأعمال التي بين
الأهواز وفارس - يأمره بالتقدم عليه بسكره ، فترك بهبوذ ما كان قبله من الطعام
والتمر والمواشي ، فكان ذلك شيئاً عظيماً ، لغوى جمع ذلك أبو أحمد ؛ فكان قوة له
على الناجم ، وضعفاً للناجم .

ولما رحل الملهي عن الأهواز بث أصحابه في القرى التي بينه وبين مدينة الناجم ،
فانتهبوها وأجلوا عنها أهلها ، وكانوا في سلبهم ؛ وتختلف خلق كثير ممن كان مع الملهي
من الفرسان والرجالة من القعاق به ، وأقاموا بنواحي الأهواز ، وكتبوا يسألون أبا أحمد

الأمان لما انتهى عنه إليهم من غنوه عمن ظمروا به من أصحاب الناجم ؛ وكان القدي دها الناجم إلى أمر المهلب وبهبوذ بسرعة المصير إليه ، خوفه موافاة أبي أحمد بجيوشه إليه ، على الحافة التي كان الزنج عليها من الوجل وشدة العرب ، مع اغتطاع المهلب وبهبوذ فيمن كان معها عنه . ولم يكن الأمر كما قدر ، فإن أبا أحمد إنما كان فاصداً إلى الأهواز ؛ فلو أقام المهلب بالأهواز وبهبوذ مكانه في جيوشهما ، لكان أقرب إلى دفاع جيش أبي أحمد عن الأهواز ، واحتفظ للأموال والعائلات التي تركت بمد أن كانت اليد قابضة عليها .



قال أبو جعفر : وأقام أبو أحمد حتى أحرز الأموال التي كان المهلب وبهبوذ وخلفاؤها تركوها ، وفتحت السكور التي كان الناجم أحدثها في دجلة ، وأصلحت طرقه ومسالكه ورحل أبو أحمد عن التوس إلى جندیسابور فأقام بها ثلاثاً ، وقد كانت الأعلاف ضاقت على أهل السكر ، فوجه في طلبها وحملها . ورحل من جندیسابور إلى تضر ، فأقام بها لجباية الأموال من كور الأهواز ، وأنفذ إلى كل كورة قائداً ليردج بذلك حمل المال ، ووجه أحمد بن أبي الأصبح إلى محمد بن عبدالله الكردي ، صاحب رآمهر ثمزوما يليها من القلاع والأعمال ، وقد كان مالياً للمهلب ؛ ورحل إلى الناجم أموالاً كثيرة ، وأمره بإبناسه وإعلامه ماعليه رأيه في المفروعه ، والتصد لزلته ، وأن يتقدم إليه في حمل الأموال والمسير إلى سوق الأهواز بجميع من معه من اللواتي والعلمان والجلد ، ليرضهم ويأمر بإعطائهم الأرزاق ، وينهضهم مع الحرب الناجم . ففعل وأحضرهم ، وعرضوا رجلاً رجلاً ، وأعطوا ثم رحل إلى عسكر مكرم ، فخطه منزله أياماً ، ثم رحل منه فوائى الأهواز وهو يرى أنه قد تقدم إليها من الميرة ما يحمل ساكره ، فلم يكن كذلك ، وضاظ الأمر في ذلك اليوم ، واضطرب الناس اضطراباً شديداً ، فأقام ثلاثة أيام ينتظر ورود الميرة فلم ترد ، فسامت أحوال الناس ، وكاد ذلك يفرق جماعتهم ، فبعث عن السبب المؤخر لورودها ،

فوجد الزنج قد كانوا قطعوا قنطرة قديمة أجنبية ، كانت بين سوق الأهواز ورامهرمز ،
يقال لها قنطرة أريق ، فامتنع التجار ومن كان يحمل الميرة من التورود ، قطع تلك القنطرة ،
فركب أبو أحمد إليها ، وهي على فرسخين من سوق الأهواز ، فجمع من كان في السكر
من السودان ، وأخذهم بنقل المنخر والحجارة لإصلاح هذه القنطرة ، وبذل لهم من أموال
الرحمة ، فلم يرم حق أصلحت في يومه ذلك ، وردت إلى ما كانت عليه ، فسلكتها الناس ،
ووافقت القوافل بالميرة ، فغنى أهل السكر ، وحسنت أحوالهم ، وأمر بجمع الفتن ليقعد
الجسر على دجيل الأهواز ، فجمعت من جميع الكور ، وأقام بالأهواز أياما حتى أصح
أصحابه أمورهم ، وما احتاجوا إليه من آلاتهم ، وحسنت أحوال دوابهم ، وذهب عنها
ما كان بها من الفتن بآخر الأملاف ، ووافقت كتب القوم الذين تخلفوا عن المهلب ،
وأقاموا بعده بسوق الأهواز يسألون أيا أحد الأمان ، فأتتهم ، فأنله منهم نحو ألف رجل ،
فأحسن إليهم ، وضمهم إلى قواد غلاته ، وأجرى لهم الأرزاق ، ووقعد الجسر على دجيل
الأهواز ، ورحل بعد أن قدم جبهوشه أمامه ، وعبر دجيلاً ، فأقام بالموضع المعروف بقصر
الأمون ثلاثاً ، وقد كان قدم ابنه أبا العباس إلى نهر المبارك ، من مروت البصرة ، وكتب إلى
ابنه هارون بالانحدار إليه ليحتمع الساكن هناك ، ورسّل أبو أحمد عن قصر الأمون إلى
قورج العباس ، ووافاه أحمد بن أبي الأصبح هناك بهدايا محمد بن عبد الله الكردي صاحب
رامهرمز من دواب وصال^(١) . ثم رحل عن القورج فنزل الجعفرية ، ولم يكن بها ماء ،
وقد كان أخذ إليها وهو بعد في القورج من حفر آبارها ، فأقام بها يوماً وليلاً ، وأتى بها
ميراً مجوعة ، فأتبع الجند بها ، وتزوّدوا منها ، ثم رحل إلى المنزل المذكور بالبشير ، فأتى
فيه خديراً من ماء المطر ، فأقام به يوماً وليلاً ، ورحل إلى المبارك وكان منزلاً بعيد المسافة ،

(١) الطبرى : « وشوار وغير ذلك »

فلقاه ابنه أبو الهيثم وهارون في طريقه، وسأله عن طريقه، حتى ودَّهم المبارك؛
وذلك يوم السبت لثلاث من رجب سنة : سبع وستين .

• • •

قال أبو جعفر، فأما نصير ونزيرك، فقد كانا اجتماعاً بدجلة العوراء، وانحدرا حتى وافيا
الأبلة بينهما وشذاها، فاستأمن إليهما رجل من أصحاب الناجم، فأعلمهما أنه قد أخذ
هدفا كثيرا من السمريات والزواريق مشعونة بالزنج، برأسهم قائد من قواده؛ يقال له
محمد بن إبراهيم، وبكتي أبا عيسى .

قال أبو جعفر : ومحمد بن إبراهيم هذا، رجل من أهل البصرة، جاء به إلى الناجم
صاحب شرطته المعروف بيسار، واستصلحه لكتابته فكان يكتب له حتى مات ^(١)،
وقد كانت ارتفعت حال أحمد بن مهدي الجبائي عند الناجم، وولاه أكثر أعماله، فغمم
محمد بن إبراهيم هذا إليه، فكان كاتبه، فلما قتل الجبائي في وقعة سليمان الشرابي، طمع
محمد بن إبراهيم هذا في مرتبته، وأن يحته الناجم محته، فبذل القلم والدواة، وليس آلة الحرب،
وتجرد للقتال، فأهضه الناجم في هذا الجيش، وأمره بالاعتراض في دجلة لدافعة من
يردّها من الجيوش، فكان ^(٢) يدخله أحيانا، وأحيانا يأتي بالجمع الذي معه إلى نهر
المعروف بنهر يزيد، وكان معه في ذلك الجيش من قواد الزنج شبل بن سالم وعمر والمعروف
بنلام بؤذي ^(٣) وأحلام من السودان وغيرهم، فاستأمن رجل منهم كان في ذلك الجيش
إلى نزيرك ونصير، وأخبرهما خبره، وأعلمهما أنه هل اتفعد لسواد عسكر نصير . وكان نصير
يومئذ معسكراً بنهر المرأة، وإنهم على أن يسلكوا الأنهار المعترسة على نهر معقل، ويبتق

(١) الطبري : « فكان يكتب ليسار على ما يلى حتى مات » .

(٢) الطبري : « فكان في دجلة أحيانا » .

(٣) كذا في الطبري .

شيرين حتى يوافوا الشرطة ، ويخرجوا من وراء المعسكر ، فكتبوا على من فيه ، فرجع نصير
عند وصول هذا الخبر إليه من الأئمة ، مبارزا إلى حكر موسار ليرك قاصدا بشق شيرين ،
معارضاً لمحمد بن إبراهيم ، ففقه في الطريق ، فوهب الله له العلو عليه بعد سير من الزنج له ،
ومجاهدة شديدة ، فانهزموا ولجئوا إلى النهر الذي فيه كينهم ، وهو نهر يزيد ، فدل ليرك
عليهم ، فتوغلت إليهم سميرياته ^(١) ، فقتل منهم طائفة وأسر طائفة ؛ فكان محمد بن إبراهيم
فيمن أسير ، وعمره و غلام بوذي ، وأخذ ما كان معهم من السميريات ؛ وهي نحو ثلاثين
سميرة ، وأفلت شبل بن سالم في الدين مجوا معه ، فلحق بمسكر الناجم ، وخرج ليرك
في بشق شيرين سالماً ظافراً ، ومعه الأسارى يورموس القتل ؛ مع ما حوى من السميريات
والسفن ، وانصرف من دجلة الموراء إلى واسط ، وكتب إلى أبي أحمد بالفتح ، وعظم
الجزع على كل من كان بدجلة وكورها من أتباع الناجم ؛ فاستأمن إلى نصير صاحب الماء ،
وهو مقيم حينئذ بنهر المرأة زهاء ألفي رجل من الزنج وأتباعهم .

فكتب إلى أبي أحمد بخبرهم ، فأمره بقبولهم وإقرارهم على الأمان ، وإجراء الأرزاق
عليهم ، وخطبهم بأصحابه ، ومناخضة المدؤمهم ، ثم كتب إلى نصير يأمره بالإقبال إليه إلى
نهر المبارك ؛ فوافاه هنالك .

وقد كان أبو العباس عند منصرفه إلى نهر المبارك ، انحدر إلى عسكر الناجم في الشتاء ،
فأوقع بهم في مدينته بنهر أبي الخصب ، فكانت الحرب بينهما من أول النهار إلى آخر
وقت الظهر .

واستأمن إليه قائد جليل من قواد الناجم من الضمومين ، كانوا إلى سليمان بن جامع ،
يقال له منتاب ، ومعه جماعة من أصحابه ؛ فكان ذلك مما كسر من الناجم وانصرف أبو
العباس بالظفر ، وخلع على منتاب الزمعي ، ووصله وحله . فلما لقي أباه أخبره خبره ، وذكر

(١) الطبري : « عليهم سميراته وشدواته » .

إليه خروجه إليه في الأمان ، فأمر أبو أحمد له بفتح وصية وحلان ، وكان مقاب أول من استأمن من جلة قواد الناجم .



قال أبو جعفر : ولما نزل أبو أحمد نهر المبارك^(١) كان أول ما عمل به في أمر الناجم أن كتب إليه كتاباً يدعو فيه إلى التوبة والإقامة إلى الله تعالى ؛ مما ارتكب من سفك الدماء ، وانتهاك الحرام ، وإخراص البلدان والأموال ، واستغلال القروج والأموال ، واعتصام ما لم يحسه الله أهلاً من النبوة والإمامة ، وطمعاً في التوبة له ببسطة ، والأمان له موجود ؛ فإن نزع قماره عليه من الأمور التي يخطئها الله تعالى ، ودخل في جماعة المسلمين ، مما ذلك ما سلف من عظيم جرائمه ؛ وكان له به الخطأ الجزيل في دنياه وآخرته ، وأخذ ذلك إليه مع رسول ، فالتمس الرسول إيصاله إليه ، فاستمع الزنج من قبول الكتاب ، ومن إيصاله إلى صاحبهم ، فألقى الرسول الكتاب إليهم إلقاء ، فأخذوه وأتوا به صاحبهم ، فقرأه ولم يجب عنه بشيء ، ورجع الرسول إلى أبي أحمد فأخبره . فأقام خمسة أيام متشاقلاً برض السفن ، وترتيب القواد والموالي والفلسان فيها ، وتخزين الرماة ، واختصاصهم للسور بها .

ثم سار في اليوم السادس في أصحابه ومعه ابنه أبو العباس إلى مدينة الناجم^(٢) التي سماها المختارة ، من نهر أبي الخصيب فأشرف عليها ، وتأملها فرأى منعتها وحصانها بالسور والخلجان المحيطة بها ، وغور^(٣) الطريق للوذي إليها ؛ وما قد أعد^(٤) من الجنايق

(١) الطبري : « ولما نزل أبو أحمد نهر المبارك يوم السبت لتصف من رجب سنة سبع وستين ومائتين »
 (٢) الطبري : « فلما كان يوم الخميس سار أبو أحمد في أصحابه ومعه ابنه أبو العباس إلى مدينة الخيبر » .
 (٣) الطبري : « وما مور من الطرق للوذية لها » .
 (٤) الطبري : « وأعد » .

والعزادات^(١) والقسي النواكبة ، وسائر الآلات على سُورها ، فرأى مالم ير مثله من تقدم من منازعي السلطان . ورأى من كثرة عدد مقاتلتهم واجتماعهم ما استغفل أمره .

ولما هان الزنج أبا أحمد وأصحابه ، ارتفعت أصواتهم بما ارتجت له الأرض ، فأمر أبو أحمد عند ذلك ابنه أبا العباس بالتقدم إلى سور المدينة ، ورشق من عليه بالسهم ، فقتل ودنا ، حتى ألصق شدوانه بمسافة قصر الناجم ، وانهار الزنج بأسرهم إلى اللواضع الذي دنت منه الشفا . وتماشدوا ، وكتابت سهامهم وحجارة مصنفاتهم وعزاداتهم ومقاتليهم ، ورمى عوامهم بالحجارة عن أيديهم ؛ حتى ما بقع طرف ناظر على موضع إلا رأى فيه سهماً أو حجراً .

وثبت أبو العباس ، فرأى الناجم وأشباعه من تقدم واجتهادهم وصبرهم مالا عهد لم يمثله من أحد من سارحهم ، وحينئذ أمر أبو أحمد ابنه أبا العباس بالرجوع بمن معه إلى مواضعهم ليروحووا عن أنفسهم ، ويدأبوا بجروحهم ، ففعلوا ذلك ، واستأمن في هذه الحال إلى أبي أحمد مقاتلان من مقاتلة السمرقيات من الزنج ، فأتياه بشيئتيهما وما فيها من اللآحين والآلات ، فأمر لما يختلج ديباج ومناطق محلاة بالذهب ، ووصلتهما بحال ، وأمر اللآحين بختلج من الحرير الأحمر والأخضر القوي حسن موقعه منهم ، وعظم جوعهما بصيلا ، وأمر بإدنائهم من اللواضع الذي يرام فيه نظراتهم ؛ فكان ذلك من أنجع^(٢) للسكايد التي كيد بها صاحب الزنج ؛ فلما رأى اللآحين ما صار إليه أصحابهم من الضر عنهم والإحسان إليهم رغبوا في الأمان ، وتنافسوا فيه ، فابتدر منهم جمع كثير مسرعين نحوه ، راغبين فيما شرع لهم منه . فأمر أبو أحمد لم يثقل ما أمر به لأصحابه ؛ فلما رأى الناجم ركون أصحاب السمرقيات إلى الأمان ، ورغبتهم فيه ، أسر برذ من كان منهم في رجلة إلى نهر أبي

(١) العزادة : شبه للصبيان ؛ إلا أنها صغيرة .

(٢) الطبرى : « أنجع » .

الخصيب ، ووكل بغوطة النهر مَنْ يَمْنَعُهُم الخروح ، وأمر بإظهار شذائعه الخاصة ، ونذب لهم يهود بن عبد الوهاب - وهو من أشد كياته بأساً ، وأكثرم عدداً وعدتاً فانتدب يهود لذلك ؛ وخرج في جمع كثيف من الزنج فسكانت بينه وبين أبي حمزة نصير صاحب اللواء وبين أبي العباس بن أبي أحمد وقعات شديدة ، في كلها يظهر عليه أصحاب السلطان ، ثم يمود فيرتاش ويحفش ، فيخرج فيواقهم ، حتى صدقوه الحرب ، وهزموه وألجئوه إلى فناء قصر الناجم ، وأصابته طعنات ، وجرح بالسهم ، وأوهنت أعضائه الحجارة ، وأولجوه نهر أبي الخصيب وقد أشفى على الموت ، وقتل قائد جليل معه من قواد الرنج ذو بأس ونجدة ؛ وتفدّهم في الحرب ؛ يخال له عمرة .

واستأنس إلى أبي أحمد جماعة أخرى ، فوصلهم وحباهم وخلع عليهم ، وركب أبو أحمد في جميع جيشه وهو يومئذ في خمسين ألف رجل ، والناجم في ثلاثمائة ألف رجل ، كلهم يقاتل ويدافع ؛ فن ضارب سيفاً وطعن برمحاً ، ورام بقوس ، وقاذف بمقلاع ، ورام بمرادة ومنجنيق ، وأضفهم أمر الرماة بالحجارة عن أيديهم ، وهم النظارة المسكتون للسود ، والمعينون بالنعير والصياح ، والنساء يشتركنهم في ذلك أيضاً ، فأقام أبو أحمد يراء عسكر الناجم إلى أن أضى ، وأمر فنودي : الأمان مسوطاً للناس : أسودهم وأحرهم ، إلا لمدوا الله الداعي على من محمد . وأمر بسهام فملقت فيها رفاع مكتوب فيها من الأمان ، مثل الذي نودي به ، ووعد الناس فيها الإحسان ورعى بها إلى عسكر الناجم ، فالت إليه قاوب خلق كثير من أولئك ؛ ممن لم يكن له بصيرة في اتباع الناجم ، فأناء في ذلك اليوم جمع كثير يحملهم الشذا والشميرات ، فوصلهم وحباهم ، وقدم عليه قائدان من قواده ، وكلاهما من مواليه متداد ، أحدهما بكتمر والآخر بفر^(١) في جمع

من أصحابها ؛ فكان ورودها زيادة في قوته . ثم رحل في غدٍ هذا اليوم بجميع جيشه ، فنزل معاناً لمدينة الناجم في موضع كان مخبئاً للنزول ، فأوطن ^(١) هذا الموضع ، وجعله معسكراً له وأقام به ، ورتب قواته ورؤساء أصحابه مراتبهم ، فجعل نصيراً صاحب الماء في أول المعسكر ، وجعل زبرك التركي في موضع آخر ، وعلى بن جهش حاجبه في موضع آخر ، وراشداً مولاه في مواليه وغلطانه الأثر الشواخزر والروم والديلم والطبرية والمغاربة والزنج والفراغنة والعجم والأكراد ، محيطاً هو وأصحابه بمضارب أبي أحمد وفساطيطه وسرادقاته ، وجعل صاعد بن غلطة وريرة وكاتبه في جيش آخر من الموالى والفلتان ، فوق عسكر راشد ، وأنزل مسروراً البلخي القائد صاحب الأهواز في جيش آخر على جانب من جوانب عسكره ، وأنزل الفضل وعمداً ابني موسى بن بشار في جانب آخر بجيش آخر ^(٢) ، وتلاهما القائد المعروف بموسى ^(٣) ، وأنشأوا في جيشه وأصحابهم ، وجعل بترج التركي على ساقته في جيش كثيف بمدة عظيمة ، وعدد جم سواريه أبو أحمد من حال الناجم وحصانة موضعه وكثرة جمعه ما علم معه أنه لا بد له من الصبر عليه ، وطول الأيام في محاصرته ، وتقريب جموعه ، وبذل الأمان لهم ، والإحسان إلى من أناب منهم ، والمعاطة على من أقام على غيه منهم ، واحتاج إلى الاستكثار من الشذا وما يحارب به في الماء ، وشرع في بناء مدينة مماثلة لمدينة الناجم ، وأمر بإفاد الرسل في تحمل الآلات والصناعات من البر والبحر ، وإنفاذ المير والأزواد والأقوات وإيرادها إلى عسكره بالمدينة التي شرع فيها ، وسماها الموقعية . وكتب إلى عماله بالتواحي في تحمل الأموال إلى بيت ماله في هذه المدينة ، وألا يحمل إلى بيت المال بالحضرة درهم واحد ، وأخذ رسلاً إلى سيران وجنابة ^(٤) في بناء الشذا

(١) أوطن الموضع : أقام فيه .

(٢) الطبري : « في جيشها على النهر المعروف بهامة »

(٣) الطبري : « موسى دالجوبة » .

(٤) الطبري : « وجنابا »

والاستكثار منها لحاجته إلى أن يشأ ويفرغها في المواضع التي يقطع بها الليرة عن الناجم وأصحابه ، وأمر بالكتاب إلى عماله في إنقاذ كل من يصلح للإثبات والعرض في الدواوين ؛ من الجند والقائلة ، وأقام ينتظر ذلك شهرا أو نحوه ، فوردت الليرة متتابعة ، يتلو بعضها بعضا ، ووردت الآلات والصباغ وبينت المدينة ، وجهز التجار صنوف التجارات في الأمتعة ، وحملوها إليها ، واتخذت بها الأسواق ، وكثر بها التجار والمجهزون من كل بلد ، ووردت إليها مراكب من البحر ، وقد كانت انقطعت لقطع الناجم وأصحابه سبلها قبل ذلك بأكثر من عشر سنين ، وبني أبو أحمد في هذه المدينة المسجد الجامع ، وصلى بالناس فيه واتخذ صور الضرب ، فضرب بها الدنانير والدرهم ، فجمعت هذه المدينة جميع المرافق وسبق إليها صنوف النافع ؛ حتى كان ما كنوها لا يفتقدون فيها شيئا ، مما يوجد في الأمصار العظيمة القديمة ، وحملت الأموال وأدّر السطاء على الناس في أوقاته ، فاقسموا وحددت أحوالهم ، ورجب الناس جميعا في الصبر إلى هذه ولتقام بها .



قال أبو جعفر : وأمر القاجم بهود بن عبد الوهاب ، فمير والقاس غارون في مخرجات إلى طرف عسكرا في حمزة صاحب الماء ، فأوقع به ، وقتل جماعة من أصحابه ، وأسر جماعة ، وأحرق أكوخا كانت لهم ، وأرسل إبراهيم بن جعفر الهنداني تسوهو من جملة قواد القاجم في أربعة آلاف زنجي ، ومحمد بن أبان المكفي أبا الحسين أخا علي بن أبان المهدي . في ثلاثة آلاف والقائد المعروف بالدور في ألف وخمسمائة ، فميروا على أطراف عسكرا في أحد ووقعوا بهم . فغدير بهم ^(١) أبو العباس ، فمير إليهم في جمع كثيف من أصحابه ، وكانت بينه وبينهم حروب كان الاستظهار فيها كلها له ، واستأمن إليه جماعة منهم ، فخلع عليهم ، وأمر أن يوقفوا بإزاء مدينة الناجم إيعابهم أصحابه ، وأقام أبو أحمد يكاد الناجم ، ويسذل

الأموال لأصحابه تارة ، وبواقصهم وبخاربهم تارة ؛ ويقطع الليرة عنهم ، فسرى يهود الزنجى فى الأجلاذ للنتخبين من رجاله ليرة من الليالى ، وقد تأدى إليه خير قيروان^(١) ورد للتجار ، فيه صنوف التجارات والأمتعة واليبر ، فكن فى النخل ، فلما ورد القيروان ، خرج إلى أهله وم غارون ، فقتل منهم وأسر ، وأخذ ما شاء أن يأخذ من الأموال .

وقد كان أبو أحمد علم بورود ذلك القيروان ، وأخذ قائداً من قواده لبذرقته^(٢) فى جمع حفيف ، فلم يكن لذلك للقائد يهود طاقة ، فاصرف عنه منهزماً . فلما انتهى إلى أبى أحمد ذلك ، غلظ عليه ما نال الناس فى أموالهم وتجاراتهم ، فأمر بمويفهم . وأخلف عليهم مثل الذى ذهب منهم ، ورتب على فوهة النهر المعروف بنهر بيان ، وهو الذى دخل القيروان فيه جيشاً قوياً لحملهم .

•••

قال أبو جعفر : ثم انفذ الناجم جيشاً عليه القائد للمروى بصندل الزنجى ، وكان صندل هذا - فيما ذكر - يكشف وحوره الحرائر للسلطات ورووسهن ويقلبنه تغليب الإمام ، فإن امتنعت منهن امرأة لعلم وجهها ، ودفنها إلى بعض علوج الزنج يواقصها ، ثم يخرجها بعد ذلك إلى سوق الرقيق فيبيعها بأوكس الثمن ، فيسرق الله تعالى قدته فى وقعة جرت بينه وبين أبى العباس ، أسر وأحضر بين يدي أبى أحمد ، فشده كفافاً ، ورماه بالسهام حتى هلك .

•••

قال أبو جعفر : ثم ندب الناجم جيشاً آخر ، وأمره أن يغير على طرف من أطراف عسكر أبى أحمد وم غارون ، فاستأمن من ذلك الجيش زنجى مدكور ، يقال له مهذب ،

(١) القيروان : القنطرة .

(٢) البذرة : الحراسة والمخافة .

كان من فرسان الزنج وشجعانهم ، فأثى به إلى ابن أحمد وقت إنظاره ، فأعلمه أنه جاء راضياً في الطاعة والأمان ، وأن الزنج على العبور في ساعتهم تلك إلى عسكره للبيات ، وأن النديين تلك أنجادهم وأبطالهم ، فأمر أبو أحمد أبا العباس ابنته أن ينهض إليهم في قواد عيّنهم له ، فهضوا ، فلما أحس ذلك الجيش بأنهم قد نذروا بهم ، وعرفوا استئذان صاحبهم ، رجعوا إلى مدينتهم .



قال أبو جعفر : ثم إن الناجم ندب أجل قواده وأكبرهم قدراً عنده ، وهو عليّ ابن أمان المهلبى ، واتخّض له أهل البأس والجلد ، وأمره أن يبيت عسكر أبي أحمد ، فصر في زهاء خمسة آلاف رجل ، أكثرهم الزنج ، وفيهم نحو مائتى قائد من مذكورهم وعظمائهم ، فمضى ليلاً إلى شرق حجة ، وحزموا على أن يقتروا قسيتين : أحدهما حلف عسكر أبي أحمد والثانى أمامه ، ويظهر القدين أمامه على أصحاب أبي أحمد ، فإذا ثاروا إليهم ، واستعرت الحرب ، أكتب أولئك الذين من وراء العسكر على من يليهم : ومشاغبل بحرب من يازائهم . وقدّر الناجم وعليّ بن أمان أن ينهيا لهما من ذلك ما احتبا ، فاستأمن منهم إلى أبي أحمد غلام كان معهم من اللاحين ليلاً ، فأخبره خبرهم ، وما اجتمعت عليه آراؤهم ، فأمر ابنته أبا العباس والعمان والقواد بالحذر والاحتياط والجلد ، وفرّقهم في الجهتين المذكورتين .

فلما رأى الزنج أن تديرهم قد انتفض ، وأنه قد فطن لهم وتكرّ بهم ، كروا راجعين في الطريق الذى أقبلوا فيه ، طالبين التخلّص . فسبقهم أبو العباس ووزيرك إلى قوّة النهر ليمصوهم من عموره ، وأرسل أبو أحمد غلامه الأسود الزنجى الذى يقال له ثابت . وكان له قيادة على السودان الذين بمسكر اللوق . فأمره أن يعترضهم ، ويخف لهم في طريقهم

بأصحابه ، فأدركهم وهو في خمسين رجل ، فواقصهم وشدَّ عَصَدَهُ أبو العباس ولزيرك بمن معه ، فقتل من الزنج أصحاب الناجم خلق كثير ، وأسير منهم كثير ، وأفلت الياقون فلعقوا بمدبنتهم ، وانصرف أبو العباس بالفتح وقد عاق رؤوس الزنج في الشَّدَا وصلب الأسارى أحياء فيها ، فاعترضوا بهم مدبنتهم ليُرهبوا أصحابهم ، فلما رأوهم رهبوا وانكسروا . واتصل بأبي أحمد أن الناجم مَوَّه على أصحابه ، وأوهم أن الرؤوس للرفوعة مُثْلٌ مثْلها لم أبو أحمد ليُراهم ، وأن الأسارى من المستأمنه . فأمر أبو أحمد عند ذلك بجميع الرؤوس والمسير بها إلى إزاء قصر الناجم ، والقذف بها في ملعنيق منصوب في سفينة إلى عسكره ، فعُمل ذلك ، فلما سقطت الرؤوس في مدبنتهم ، هرفأولياء القتل رؤوس أصحابهم ، فظهر بكاؤهم وصراخهم .



قال أبو جعفر : وكانت لهم وقعات كثيرة بعد هذه ، إلى أكثرها ينهزم الزنج ويظفر بهم ؛ وطلب وجوههم الأمان ، فكان ممن استأمن محمد بن الحارث القائد ، وإليه كان حفظ النهر المعروف بـمَنكى ، والسر القوي على عسكر أبي أحمد ، كان غروجه ليلاً مع عِدَّة من أصحابه ، فوصله أبو أحمد بصيالات كثيرة ، وخلع عليه ؛ وحمله على عِدَّة دواب بحايتها وآلاتها ، وأسنى له الرزق .

وكان محمد هذا حاول إخراج زوجته معه - وهي إحدى جات قومه - فصعرت المرأة من اللعاق به ، فأخذها الزنج فردوها إلى الناجم ، فحبسها مدة ، ثم أمر بإخراجها والتداه عليها في السوق ، فبيعت .

ومن استأمن ، القائد المعروف بأحمد البرذعي كان من أشجع رجالهم ، وكان يكون أقدام مع المهات .

وكان من أساقم مریدا^(١) القائد وبرنكوبة^(٢) وبيلويه^(٣) ، فخلعت عليهم الخلع
ووصلوا بالصلوات الكثيرة ، وحملوا على الخيول المحلاة ، وأحسن إلى كل من جاء
معهم من أصحابهم .

• • •

قال أبو جعفر : فصاقت الليز على الناجم وأصحابه ، فتدب شبلاً القائد وأبا الندى -
وهما من رؤساء قواده ، وقدماء أصحابه الذين يستمد عليهم ويثق بمناصحتهم - وأمرهما
بالخروج في عشرة آلاف من الرمح وغيرهم ، والقصد إلى سمر الدير ونهر المرأة ونهر
أبي الأسد ، والخروج من هذه الأنهار إلى البطيعة ، والعمارة^(٤) على المسلمين وأهل
القرى وقطع الطرقات ، وأخذ جميع ما يقدرون عليه من الطعام والليرة وحملوا إلى مدينته ،
وقطعه من الوصول إلى عكر إلى أحمد / كتدب أبو أحمد تقصدهم بولاء لمرحك في
جيش كثيف ، بعضه في المياد ، وبعضه على الظهر ، فوافهم في الموضع المعروف بنهر
عمر ، فكانت بينه وبينهم حرب شديدة ، أسفرت عن اسكسارهم وخذلان الله لم ،
فأخذ منهم أرساة سفينة وأسرى مكثرين ، وأقبل بها وهم ، ولزموا إلى عسكر
أبي أحمد .

قال أبو جعفر : وتدب أبو أحمد ابنه أبا العباس لقصد مدينة الناجم ، والعلو عليها ،
فقصدها من النهر المعروف بالعربي ، وقد أعد الناجم به علي بن أمان المهلبى ، فاستعرت
الحرب بين الفريقين ، فأمد الناجم عليا بسليمان بن جامع في جمع كثير من قواد الرمح ، واتصلت
الحرب ، واستأن كثير من قواد الرمح إلى أبي العباس وامتدت الحرب إلى بعد العصر ،
ثم انصرف أبو العباس ، فاجتاز في معصره بمدينة الناجم ، وقد انتهى إلى الموضع المعروف

(٢) الطبري : « وابن أنسكويه » .

(٤) الطبري : « العمارة » .

(١) الطبري : « مديد » .

(٣) الطبري : « ومينيه » .

بهر الأتراك ، فرأى في ذلك النهر قلعة من الزنج الذين يجرسونه ، فطبع فيهم ، فقصدهم ، وصعد جماعة من أصحابه سور المدينة ، وعليه فربق من الزنج ، قتلوا من أصحابه هناك ، ونذر الناجم بهم ، فأخذهم قواد من قواده ، فأرسل أبو العباس إلى أبيه يسعده ، فوافى من عسكر أبي أحمد من خوف من العلان ، ففوى بهم عسكر أبي العباس .

وقد كان سليمان بن جامع لما رأى أن أبا العباس قد أوغل في بهر الأتراك ، صعد في جمع كثير من الزنج ، ثم استدبر أصحاب أبي العباس وهم منشغلون بحرب من إزائهم على سور المدينة ، فخرج عليهم من ورائهم وحقت طبولهم ، فأكشف أصحاب أبي العباس وحملت الزنج عليهم من أمامهم ، فأصيب في هذه الواقعة جماعة من غلمان أبي أحمد وقواده ، وصار في أيدي الزنج عدة أعلام ومطارد ، وحامى أبو العباس عن نفسه حتى اصرف سالماً ، فأطمعت هذه الواقعة الزنج وأتباعهم^(١) ، وشدت قلوبهم ، فأجمع أبو أحمد على العبور بجيشه أجمع ، وأمر بالاستعداد والتأهب ، طائفتاً له ذلك خبر في آخر ذي الحجة من سنة سبع وستين ، في أكشف جمع ، وأكل عدة ، وفرق قواده على أقطار مدينة الناجم ، وقصد هو بنفسه ركناً من أركانها ، وقد كان الناجم حصنه بأرضه القدي يقال له أنسكلای ، وكشفه دلي بن أبان ، وسليمان بن جامع ، وإبراهيم بن حمزة الحمداني وحفه بالجانيق والمرادات^(٢) والقسي الناركية ، وأعدت فيه الناشبة^(٣) ، جمع فيها أكثر جيشه ، فلما التقى الجلمان أمر أبو أحمد غلمانه الناشبة والراحة^(٤) والسودان بالدخول من هذا

(١) الطرى : د وتاعهم .

(٢) الراوة بالتشديد : من آلات الحرب ، أصغر من النعدي .

(٣) الناشبة : الرماة بالنشاب ؛ والنشاب : السهام ؛ مأخوذة من النشوب .

(٤) الراحة : الرماة بالرمح .

الركن ، وبينه وبينهم النهر المعروف بنهر الأتراك ، وهو نهر عريض غزير الماء ، فلما انتهوا إليه أحصوا عنه ، فصيح بهم ، وحُرِّصوا على العبور ، فعبروه سباحةً ، والرجح ترميهم بالمجانيق والممرادات والمقاليح والحجارة عن الأيدي ، والسهام عن قسي الأيدي ، وقسى الرجل ، وصوف الآلات التي يرمى عنها ، فصبروا على جميع ذلك حتى حاوروا النهر وانتهوا إلى السور ، ولم يكن لحقهم من الدابة من كان أعداه لهدمه . فحولى الدمان تشعبت السور بما كان معهم من السلاح ، وبترافقه تعالى ذلك ، وسهلوا لأنفسهم السبيل إلى علوه ، وحصرهم ببعض السلايم التي كانت اتخذت لذلك ، فطلوا الركن ونصبوا عليه عدداً عليه مكتوب : «الموفق بالله» ، وأكبت عليهم الرمح ، فحاربوا أشدَّ حرب ، وقتل من قواد أى أحد القائد المعروف بثابت الأسود ، رئيسَ سهم في بطنه فمات ، وكان من حلة القواد ، وأحرق أصحابُ الموفق على ذلك الركن من المدعنيقات والممرادات .

وقصد أبو العباس بأصحابه جهة أخرى من جهات المدينة ليُدخلها من النهر المعروف بمنكى ، فعارضه على بن أبان في جمع من الزنج ، فظهر أبو العباس علوه ، وهزمه ، وقتل قوماً من أصحابه ، وأطت على بن أبان المهلبى راجعاً ، وانتهى أبو العباس إلى نهر منكى وهو يرى أن المدخل من ذلك الموضع سهل ، فوصل إلى الخندق ، فوجده عريضاً متيناً ، فحمل أصحابه أن يعبروه فعبروه ، وعبرته الرجالة سباحةً ، ووافوا السور فقلعوا منه ثلثةً واتسع لهم دخولها فدخلوا ، فلقى أولهم سليمان بن جامع وقد أقبل للمدافعة عن تلك الناحية ، فحاربوه وكشفوه ، وانتهوا إلى النهر المعروف بان سمعان ، وهو سمر سيق بالمدينة ، وصارت الدار المعروفة بدار ابن سمعان في أيديهم ، فأحرقوا ما كان فيها وهدموها .

فوقفت الزنج على نهر ابن سمعان ، وقروا طويلاً ودافعوا مدافعةً شديدةً ، وشدَّ بعض موالى الموفق على على بن أبان فأدير عنه حارباً فقبض على مثزره ، فخل على المنزر ونهذه إلى الخلام ، ونجا بعد أن أشرف على الملكة ، وحمل أصحاب أبى أحمد على الزنج ، فكشفوهم

عن نهر ابن سمعان، حتى وافوا بهم طرف المدينة، وركب الناجم بنفسه في جمع من خواصه؛ فتلقاه أصحاب الموفق، وعرفوه وحملوا عليه، وكشفوا مَنْ كان معه حتى أفرد، وقرب منه بعضُ الرجال حتى ضرب وجه فرسه بِتُرْصِيه، وكان ذلك وقت غروب الشمس، وحجَزَ الليل بينهم وبينه وأظلم، وهبت ريح شمال عاصف، وقوى الجزر؛ فلتق أكثر سفن الموفق بالطين، وحرّض الناجم أصحابه، ثاب منهم بجمع كثير، فشذوا على سفن الموفق، فقالوا منها نبلاً، وقتلوا نفرًا، وصعد بهوذ الزيجي لسرور الهلخي بنهر العربي، فأوقع به، وقتل جماعة من أصحابه، وأسر أسرى، وصار في يده دواب من دوابهم، فكسر ذلك من نشاط أصحاب الموفق، وقد كان حرب في هذا اليوم كثير من قواد صاحب الزنج، وتفرقوا على وجوههم نحو نهر الأمير وعبادان وغيرهما، وكان ممن حرب ذلك اليوم منهم أخو سليمان ابن موسى الشرائي ومحمد وعيسى، فصياً يؤمان البادية، حتى انتهى إليهم جوع أصحاب الموفق، وماهل منهم، فرجعا، وحرب جماعة من العرب الذين كانوا في عسكر الناجم، وصاروا إلى البصرة، وبعثوا يطلبون الأمان من أبي أحمد، فأمتهم، ووجه إليهم السفن، وحلهم إلى الموقية، وخلع عليهم، وأجرى لهم الأرزاق والأنزال.

وكان ممن رغب في الأمان من قواد الناجم القائد المعروف بريمان بن صالح المرمي، وكانت له رئاسة وقيادة، وكان حول حجة أنكلاني بن الناجم^(١). فكذب ريمان يطلب الأمان لنفسه ولجماعة من أصحابه، فأجيب إلى ذلك، وأُفِذَ إليه عدد كثير من الشذا والشمريات والمعابر مع زيرك القائد، صاحب مقدمة أبي العباس؛ فسلك نهر اليهودي إلى آخره، فألقى به ريمان القائد ومن كان معه من أصحابه، وقد كان الموعد قدّم منه في موافاة ذلك الموضع. فسار زيرك به وبهم إلى دار الموفق، فأمر لريمان بخلع جليلة،

(١) الطبري: د ابن الحيث للعروف بالكلبي.

وحل على عدة أفراس بآلتها وحليتها ، وأجيز بجائزة سنينة ، وخلع على أصحابه ، وأجيزوا على أقدارهم ومراتبهم ، وضم ربحان إلى أبي العباس ، وأمر بجمعه وحل أصحابه وللصبر بهم إلى إزاء دار الناجم ، فوققوا هناك في الشذا ؛ عليهم الطلع الملقنة بصنوف الألوان والذهب حتى طاب يوم مشاهدة ، فاستأن في هذا اليوم من أصحاب ربحان الذين كانوا يختلفوا عنه ومن غيرهم جماعة ، فالحقوا في البر والإحسان بأصحابهم ^(١) .



ثم استأن جعفر بن إبراهيم للعروف السحان في أول يوم من سنة ثمان وستين ومائتين ، وكان أحد قعات الناجم ، فقل به من الخلع والإحسان ما فعل ربحان ، وحل في سيرة حتى وقف بإزاء قصر الناجم ؛ حتى يراه أصحابه ، وكلهم وأخبرهم أنهم في غرور من صاحبهم ، وأعلمهم ما وقف عليه من كذبه وفجوره ؛ فاستأن في هذا اليوم خلق كثير من قواد الزنج وغيرهم ، وجماع الناس في طلب الأمان ، وأقام أبو أحمد يجمع أصحابه ، ويبدأوى جراحهم ، ولا يحارب ولا يهرب إلى الزنج إلى شهر ربيع الآخر .

ثم عبر جيشه في هذا الشهر المذكور مرتباً على ما استعمله من تفرقه في جهات مختلفة ، وأمرهم بهدم سور المدينة ، وتقدم إليهم أن يقتصرُوا على الهدم ، ولا يدخلوا المدينة ، ووكل بكل ناحية من النواحي التي وجه إليها قواده سفناً فيها الرماة ، وأمرهم أن يحموا بالسهم من يهدم السور من القعة ، فخلت في هذا اليوم من السور ثلث كثيرة ، واتعم أصحاب أبي أحمد المدينة من جميع تلك الثلث وهزموا من كان عليها من الزنج ، وأوقفوا في طلبهم ، واختاف بهم طرق المدينة ، وتمزقت بهم التكاك والفيجاج ،

(١) في الطبري بعدها : « وكان خروج ربحان بعد الوقعة التي كانت يوم الأربعاء في يوم الأحد ليلة بقيت من ذي الحجة سنة سبع وستين ومائتين » .

وانتهوا إلى أبعس المواضع التي كانوا وصلوا إليها في المرة التي قبلها، فراجت إليهم الزجج، وخرج عليهم كملوهم من نواح يهتدون إليها، ولا يعرفها جيش أبي أحمد. فصير جيش أبي أحمد، فقتل منهم خلق كثير، وأصاب الزجج منهم أسلحة وأسلاباً، وأقام ثلاثون دليلاً من أصحاب أبي أحمد يدافعون عن الناس ويحسونهم، حتى خَلَص إلى السفن مَنْ خَلَص، وقتلت القبائل من آخرها، وعظم على الناس ما أصابهم في هذا اليوم، وانصرف أبو أحمد إلى مدينته للوقتية، فجمع قواده، وعَدَّ لهم على ما كان منهم من مخالفة أمره، والإفساد عليه في رأيه وتدييره، وتوَعَّدَهم بأغلظ العقوبة إن عادوا لمثل ذلك، وأمر بإحصاء القتولين^(١) من أصحابه، فأَيَّ بأسمائهم، فأقر ما كان جارياً لهم على أولادهم وأهاليهم، فحَسُنَ موقع ذلك، وزاد في صحة نيات أصحابه، لما رأوا من خيافته حلف مَنْ أُصِيب في ملاحته.

قال أبو جعفر : وشرع أبو أحمد في قطع الطريق عن مدينة التاج من جميع الجهات ، وقد كان يجلب إليهم من التسليح الشيء العظيم من مواضع كثيرة ، فيبع ذلك عنهم ، وقتل القوم الذين كانوا يحملونه ، وأخذت عليهم الطرق ، وأسد عليهم كل مسلك كان لهم ، وأضر بهم الحصار ، وأضعف أبدانهم وطالت للذة ، فكان الأسير منهم يؤمر ، وللساميين يستأمن ؛ فيسأل عن عهده بالخبر^(٣) ، فيقول : منذ سنقأو سنئين ؛ واحتاج من كان منهم مقبلا في مدينة التاج إلى الحيلة لقوته ، ففترقوا في الأنهار السائبة عن عسكرهم طلبا للقوت ، وكثرت الأسارى منهم في عسكر أبي أحمد ؛ لأنه كان يلتقطهم بأصحابه يوما فيوما ، فأمر باعتراضهم^(٤) لما رأى كثرتهم ، فمن كان منهم ذا قوة وخليد ونهوض بالسلاح من عليه ، وأحسن إليه ، وخطه بقلعه السودان ، وعرفهم ما لهم عنده من البر والإحسان ومن كان منهم ضعيفا لا حراك به ، أو شيخا قاهيا لا يطبق حمل السلاح ، أو مجروحا جراحة قد أزمته ، أمر بأن يكسى ثوبين ، ويوصل بدارهم ، ويزود ويحمل إلى عسكر

(٦) الطريق : التقويم ٤ .

(٧) في الأصول : « بالجر » ، والصواب ما أثبت من الطري .

(۴) د : ۵ برضیم ۴

الناجم ، فبات هناك بعد أن بوصى^(١) بوصف ما بين من إحصان أبي أحمد إلى كل من يصور إليه ، وأن ذلك رأي في جميع من يأتيه مستأمنًا ، أو يأسره ، فتهيأ له بذلك ما أراد من استقالة الزنج ؛ حتى استشعروا الليل إلى ناحية ، والدخول في سِلَه وطاعته .

• • •

قال أبو جعفر : ثم كانت الوقعة التي قتل فيها يهود^(٢) الزنجي القائد وجرح أبو العباس ، وذلك أن يهود كان أكثر أصحاب الناجم غارات ، وأشدّهم نمرضا لقطع الشبل ، وأخذ الأموال ، وكان قد جمع من ذلك لنفسه مالا جليلا ، وكان كثير الخروج في الشيريات الخفاف ، فيغترق بها الأنهار للؤذية إلى دجلة ، فإذا صاف سفينة لأصحاب أبي أحمد أخذها واستولى على أهلها ، وأدخلها النهر الذي خرج منه ، فإن تبعه تابع حتى توغل في طلبه ، خرج عليه من ذلك النهر قوم من أصحاب^(٣) قد أعدّم قتلهم ، فأقطعوه وأوقعوا به . فوق الصعرز حيث نزلته ، والاستعداد لغاراته ، فركب خذاة ، وشبهها بشنوات أبي أحمد ، ونصب عليها علما مثل أعلامه ، وسار بها ومعه كثير من الزنج ، فأوقع بكثير من أصحاب أبي أحمد ، وقتل وأسر . فندب له أبو أحمد ابنه أبا العباس في جمع كثير ، فكانت بينهما وقعة شديدة ، ورعى فيها أبو العباس بسهم فأصابه ، وأصاب يهود طعنة في بطنه من يد غلام من بعض شيريات أبي العباس ، فهوى إلى الماء ، فأبتره أصحابه ، فحملوه ورجعوا به إلى عسكر الناجم ، فلم يصلوا به إلا وهرميت ، فضلت الفجيمة به على الناجم وأولياته ، واشتدّ عليه جزعهم ، وخفى موته على أبي أحمد ؛ حتى استأمن إليه رجل من الملاحين ، فأخبره بذلك ؛ فسر ، وأمر بإحضار العلام الذي طعنه ، فوصله وكساه وطوقه ، وزاد في رزقه . وأمر بلجميع من كان في تلك الشيرية بصيلات وخلع ، وعولج أبو العباس من جرحه مدة حتى برا ، وأقام أبو أحمد في مدينته للوقعية ميسكا عن حرب الزنج ، محاصرا لم

(٢) الطبري : « يهود بن عبد الوهاب » .

(١) الطبري : « يؤمر » .

بذل الأنهار وسكرها ، واعترض من يخرج منهم لطلب الهرة ، ومنتظرا يره ولده ؛ حتى
كمل بعد شهر كثيرة ، وانقضت سنة ثمان وستين .

ونقل إسحاق بن كنداجيق عن البصرة وأهلها ؛ فوئى للوصول الجزيرة وديار
ريحة وديار مضر .

ودخلت سنة تسع وستين وأبو أحمد مقيم على الحصار ، فلما أمن على أبي العباس ،
وركب على عادته ، طرد النهوض إلى حرب الناجم .



قال أبو جعفر : وقد كان بهوذا لكما طبع الناجم في أمواله لكثرتها ووفورها ،
وصح عنه أنه ترك مائتي ألف دينار عينا ، ومن الجواهر وغيرها بمثل ذلك ، فطلب المال
الذكر بكل حيلة ، وحسن أوياء بهوذا وقربته وأصحابه ، وضر بهم بالسياسة ، وأثار دورا
من دورهم ، وهدم أبنية من أبنية ، طمعا في أن يجد في شيء منها دفينا ؛ فلم يجد من ذلك شيئا ؛
فكان فعله هذا أحدا ما أفسد قلوب أصحابه عليه ، ودعا إلى الحرب ^(١) منه ، والزهد في صحبته ،
فاستأمن منهم إلى أبي أحمد خلق كثير ، فوصلتهم ودفع عليهم ، ورأى أن يبرد دجلة من
الجانب الشرقي إلى الجانب الغربي ، فيجعل لنفسه هناك معسكرا ، ويبني بمدينة أخرى ،
ويضيق خناق الناجم ، ويحكم من مفادته ومراوخته بالحرب ، فقد كانت الریح العاصف
تحوّل بينه وبين عبور دجلة في كثير من الأيام بالجيش ؛ فأمر بقطع النخل المقارب لمدينة
الناجم لذلك ، وإصلاح موضع يجتذ معسكرا ، وأن يحف بالخطائق ، ويحصر بالسور
لها من بركات الزنج ، وجعل على قواده نواب تلك ، ومعهم القمعة والرجال ، فقابل الناجم
ذلك ؛ بأن جعل على بن أبان المهلب وسليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمداني نوابا
للحرب والمدافعة عن ذلك ؛ وكان أسكلاني بن الناجم رتبا حضر في نوبة أيضا ، وضم

(١) الطبري : د الحرب .

إليه سليمان بن موسى بن الشعرائي ، وقد كان صار إليه من المذار بعد الواقعة التي انهزم فيها ،
وعلم الناجم أن أبا أحمد إذا جاوره صُوب أمره ، وقرب على من يريد اللحاق به من
الزنج لساقفة مع ما يدخل قلوب أصحابه بمجاورته من الرعب والرهبة ، وفي ذلك انقراض
تدييره ، وفساد جميع أموره ؛ فكانت الحرب بين قواد أبي أحمد وقواد الناجم متصلة ؛
على إصلاح هذا للوضع ، ومداغمة الزنج عنه .

واتفق أن عصفت الرياح يوما وجاعة من قواد أبي أحمد بالجانب الغربي للصل الذي
يريدونه ، فاستهز الناجم الفرصة في امتناع العبور بدجلة ، لمصف الرياح ، فرمام بجميع
جيشه ، وكأثرهم برّجه ، فلم تجد الشنوات التي مع قواد أبي أحمد سبيلا إلى الوقوف بحيث
كانت واقفة به ، لحمل الرياح إياها على الجسارة ، وخوف^(١) أصحابها عليها من التكسر ،
ولم يجدوا سبيلا إلى العبور في دجلة ، لشدّة الريح واضطراب الأمواج ، فأوقعت الزنج بهم ،
فقتلهم من آخرهم ، وأفلت منهم نفر ، فمروا إلى اللوقية ، فاشتدّ جزع أبي أحمد وأصحابه
لما نالهم .

ولما تهوّا للزنج عليهم ، وعظم بذلك اهتمامهم . وتغلب أبو أحمد الرأي ، فرأى أن
نزوله ومقامه بالجانب الغربي ، مجاور مدينة الناس خطأ ، وأنه لا يؤمن منه حيلة ، وانتهاز
فرصة ، فيوقع بالمكربيات ، أو يجد مَساعا إلى^(٢) ما يكون له قوة ، لكثرة الأدغال في ذلك
الموضع ، وصعوبة المسالك ، وإن الزنج على التوغل في تلك المواضع الوعرة للوحشة أقدر وهو
عليهم أسهل من أصحابه ؛ فانصرف عن رأيه في نزول الجانب الغربي^(٣) ، وصرف همه وقصده

(١) الطبري : « وما ظف » .

(٢) الطبري : « إلى شيء ما يكون » .

(٣) الطبري : « غربي دجلة » .

إلى هدم سور مدينة الناجم ، وتوسيع الطريق وللسالك لأصحابه في دخولها؛ فغلب الثوراء
فذلك ، وغلب الناجم قواده للمداخلة عنها ، وطال الأمد ، وتعدت الأيام .

فلما رأى أبو أحمد تحشد الزنج ونعائهم على المنع من هدم الثوراء زرع على مباشرة
ذلك بنفسه ، وحضوره إياه ، ليستدعى بذلك جد أصحابه واجتهادهم ، وزيد في عنايتهم
وهميهم ، فحضر بنفسه ، واتصلت الحرب ، وغنطت على الفريقين ، وكثر القتل والجراح
في الحزبين ، وأقام أبو أحمد أياما كثيرة يفاديهم الحرب ويروحهم ، فكانوا لا يفترقون
يوما من الأيام ، وصُوب على أصحاب أبي أحمد ما كانوا يروونه ، واشتدت حامية الزنج
عن مدينتهم ، وباشر الناجم الحرب بنفسه ، ومعه نخبة أصحابه وأبطالهم ، والموتون أنفسهم
على الصبر معه ، فغاموا جهدهم ، حتى لقد كانوا يقفون الموقف فيصيب أحدا منهم السهم
أو الطعنة أو الغربة فيسقط ، فيحذبه الذي إلى بجانبه ، فينحبه ، ويقف موقفه إشفافا من أن
يخلو موقف رجل منهم ، فيدخل ليلخل عليهم .

واتفق في بعض الأيام شدة ضباب ستر بصر الناس من بعض ؛ فلما يكاد الرجل يهصر
صاحبه ، وظهر أصحاب أبي أحمد ، ولاحت تبشير الفتح ، ودخل الجند إلى المدينة
وولجوها ، وملكوا مواضع منها ؛ وأنهم فعل ذلك ؛ حتى وصل سهم من سهام الزنج
إلى أبي أحمد ؛ رماء به روى كان مع الناجم ؛ يقال له قيرطاس ؛ وأصابه في صدره وذلك غس
بقين من جمادى الأولى سنة تسع وستين ومائتين . فستر أبو أحمد وخواته مانله من ذلك عن
الناس ، وانصرف إلى الموقبة آخر نهار يومه هذا ، فخرج في ليلته تلك وشدت الجراحة ،
وغدا على الحرب على مانله من ألبا ليشد بذلك قلوب أصحابه من أن يدخلها وهم
أو ضعف ، فزاد في قوة عكته ، بما حل على نفسه من الحركة ، فغلظت وعظم أمرها ، حتى
خيف عليه العطب ، واحتاج إلى علاج نفسه بأعظم ما يأتج به الجراح ؛ واضطرب قلبك

المسكر والجند والرعية، وخافوا قوة الزنج عليهم؛ حتى خرج عن الموقعية جماعة من التجار كانوا مقيمين بها لما وصل إلى قلوبهم من الرهبة .

• • •

قال أبو جعفر: وحدثت على أبي أحمد في حال صعوبة عنته، حادثة في سلطانه وأمور متعلقة بما بينه وبين أخيه المعتمد، فأشار عليه مشيرون من أصحابه وثقاته بالرحلة عن معسكره إلى بغداد، وأن يخلف من يقوم مقامه، فأبى ذلك، وحاذر أن يكون فيه تلافى ما قد فرّق من شمل صاحب الزنج؛ فأقام على صعوبة عنته، وظل الأمر الحادث في سلطانه وصبر إلى أن حوّل، فظهر لقواده وخاصته؛ وقد كان أطال الاحتجاب عنهم، فقويت برؤيته منهم، وأقام متأنلاً مودعاً نفسه إلى شعبان من هذه السنة؛ فلما أبلى وقوى على الركوب والنهوض، نهض وطود ما كان مواطياً عليه من الحرب، وجعل التاجيم لما صحّ عنده الخبر بما أصاب أبا أحمد بعد أصحابه الميذات، وبخيتهم الأمانى، واشتدت شوكتهم، وقويت آمالهم، فلما اتصل به ظهور أبي أحمد، جعل يحيل للزنج على مديده، أن ذلك باطل لا أصل له، وأن القدي رأوه والشذا مثلاً مؤثراً وشبه عليهم .

• • •

قلت : الحادث القدي حدث على أبي أحمد من جهة سلطانه، أن أحاه المعتمد؛ وهو الخليفة يومئذ، فارق دار ملكه، ومستقرّ خلافه مغاضباً له متعنّياً عليه، زاعماً أنه مستبدّ بأموال الملكة وجبايشها، مضطهدّ مستأثر عليه، فكانت ابن طولون صاحب مصر، وسأله أن يأذن له في القعاق به، فأجابته ابن طولون إلى ذلك، فخرج من سائرّاء في جماعة من قواده ومواليه، قاصداً مصر. وكان أبو أحمد هو الخليفة في المعنى؛ وإنما المعتمد صورة

خالية من معاني الخلافة ، لا أمر له ولا نهى ، ولا حل ولا عقد ، وأبو أحمد هو الذي يرتب الوزراء والكتّاب ، ويقود القواد ، ويقطع الأنعام ، ولا يراجع المعتمد في شيء من الأمور أصلاً ، فأتصل به خبر المعتمد في شغوصه عن سامراء ، وقصده ابن طولون ، فكانت إسحاق بن كنداحيق وهو يومئذ على الموصل والجزيرة ، فأمره أن يعترض المعتمد ؛ ويقبض عليه وعلى القواد والموالي الذين معه ويبيدّهم إلى سامراء ، وكتب لإسحاق بإقطاعه ضياع أولئك القواد والموالي بأجمعهم ، فاعترضهم إسحاق ، وقد قرّبوا من الرقة ، فأخذهم وقبض عليهم ، وقبّدهم بالقيود الثنية ، ودخل على المعتمد فمتفه به وحبته وعذله في شغوصه عن دار ملكه وملك آبائه ، ومفارقة أخيه على الحال التي هو فيها ، وحرب من يحاول قتله ، وقتل أهل بيته وزوال ملكهم .



ثم حلّهم في قيودهم حتى وافى بهم سامراء ، فأقرّ المعتمد على خلافته ، ومنعه عن الخروج ، وأرسل أبو أحمد ابنه هارون ، وكاتبه صاعد بن مخلد من الموقعية إلى سامراء فخلعا على ابن كنداحيق ، خلعاً جليلاً ، وقتل بسيفين من ذهب ؛ وثقب ذا السنين ، وهو أول من قتل بسيفين ، ثم طع عليه بعد ذلك يوم قباء ديباج أسود ، وشاحين مرصعين بالجواهر الثمين ، وتوجّج بقاج من ذهب مرصع بنفيس الجواهر ، وقتل سيفاً من ذهب مرصع بالجواهر المظلمة ، وشيعة إلى منزله هارون وصاعد ، وقعدا على طعامه ؛ كل ذلك مكافأة له عن صنيعه في أمر المعتمد . فليعجب للتعجب من همة الموفق أبي أحمد ، وقوة نفسه ، وشدة شكيمته ! أن يكون يازاء ذلك المدّة ، ويقتل من أصعابه كل وقت من يقتل ، ثم يصاب ولده بسهم ، ويصاب هو بسهم آخر في صدره بشارف منه على اللوت ، ويحدث من أخيه وهو الخليفة ما يحدث ، ولا تنكير نفسه ولا يهيئ عزمه ، ولا تضعف قوته . وبمن

حاشي للنصور الثاني ا ولولا قيامه في حرب الزنج ، لاهرض ملك أهل بيته ؛ ولكن الله تعالى ثبته لما يريد من بقاء هذه الدولة .



قال أبو جعفر : ثم جدّ للوقى في تخريب السور ، وإحراق المدينة ، وجدّ الناجم في إعداد المقاتلة والمحاولة من سوريه ومدينته ، فسكّات بين الفريقين حروب عظيمة نجل من الوصف ، ورمى الناجم سفن الوقى المقاربة لسور مدينته بالرصاص المذاب ، والمجانيق والمرتادات ، وأمر أبو أحمد بإعداد غلة^(١) من خشب [لشذا^(٢)] وإلباسها جلود الجواميس ، وتنطية ذلك بالخيش المطلية بصنوف العقاقير والأدوية التي تمنع النار من الإحراق ، ففعل ذلك ، وحوّرب صاحب الزنج من تحتها ، فلم تصل مآرؤه ورصاصه المذاب فيها شيئا ، واستأمن إلى أبي أحمد محمد بن سميان ، كاتب الناجم ووزيره في شعبان من هذه السنة ، فهدّ باستشامه أركان الناجم ، وأضعف قوته ، وأتدب أبو العباس لقصد دار محمد بن يحيى الكربائي ؛ وكانت بإزاء دار الناجم ، وشرع في الحيلة في إحراقها ، وأحرق الوقى كثيرا من الرواشين^(٣) الغلة على سور المدينة وشعبها ، وعلا غلمان أبي أحمد على دار الناجم وولجوها وانتهبوها ، وأضرموا النار فيها ، وفعل أبو العباس بدار الكربائي مثل ذلك ، وجرح أنسكلاني بن الناجم في بطنه جراحة شديدة ، أشق منها على التلف ، واتفق مع هذا الظفر العظيم أن غرق أبو حمزة نصير صاحب جيش الماء عند ازدحام الشدّوات وإكباب الزنج على الحرب ، فصُوب ذلك على أبي أحمد ، وقوى بفرقه أمر الزنج ، وانصرف أبو أحمد

(١) الطبرى : « ظلال » ؟ وعما اسم جمع ؟ واحد عما ظله ، فالضم .

(٢) من الطبرى .

ما : جم روشن ؟ وهو السكوة .

آخر نهار هذا اليوم ، وعرضت له علة أقام فيها بقية شعبان وشهر رمضان ، وأياما من شوال محسباً من حرب الزنج ، إلى أن استقبل من علقه .

• • •

قال أبو جعفر: فلما أحرقت دار الناجم ودُور أصعابه ، وشارفت أن يؤخذ ، وعرضت لأبي أحمد هذه العلة ، فأمسك فيها عن الحرب ، انتقل الناجم من مدينته التي بناها بقرب نهر أبي الخصب إلى شرقه إلى منزل وعمر لا يخلص إليه أحد لاشتباك القصب والأدغال والأحطاب فيه ، وعليه خنادق من أنهار قاطعة معترضة ، فظن هناك في خواصه ومن يختلف معه من جلة أصعابه وثقاته ، ومن بقي في نصرته من الزنج يوم حدود عشرين ألف مقاتل ، وانقطعت لليرة عنهم ، وبان للناس ضعف أمرهم ، فتأخر الجلب الذي كان يصل إليهم ، فبلغ الرطل من خبز البر عندم عشرة دراهم ، فأكلوا السمير ، ثم أكلوا أصناف الحبوب ؛ ثم لم يزل الأمر كذلك إلى أن كانوا يتبعون الناس ؛ فإذا خلا أحد منهم بصحة أو امرأة أو رجل ذبحوه وأكلوه . ثم صار قوقعة الزنج جدو على ضعفيهم ، فإذا خلا به ذبحه وأكل لحمه ، ثم ذبحوا أولادهم ، فأكلوا لحومهم ، وكان الناجم لا يعاقب أحداً عن فعل شيئا من ذلك إلا بالحبس ، وإذا تطاول حبسه أطلقه .

ولما أبل الموفق من علقه ، وعلم انتقال الناجم إلى شرق نهر أبي الخصب واعتصامه به ، أعمل فكره في تخريب الجانب للشرق عليه ، كما فعل بالجانب الغربي ، ليتمكن من قتله أو أسره ؛ فكانت له آثار عظيمة من قطع الأدغال وال^(١) حال وسد الأنهار ، وطم الخنادق ، وتوسيع المسالك وإحراق الأسوار للبنية ، وإدخال الشذا ؛ وفيها لقائته إلى حريم الناجم ؛ وفي كل ذلك بدافع الزنج عن أنفسهم بحرب شديدة ، وقتال عظيم تذهب فيها النفوس ، وتراق فيها الدماء ، وكان الظفر في ذلك كله لأبي أحمد ، وأمر الزنج يزداد ضعفا

(١) الحال : جمع دخل ، وهو التعب الضيق الأمل الواسع الأسفل ؛ يمكن أن يعني به .

وطالت الأيام على ذلك ؛ إلى أن استأمن سليمان بن موسى الشمراني ، وهو من عظمائهم ، وقد تقدم ذكره ، فوجه يطلب الأمان من أبي أحمد ، ففهم ذلك لما كان سلف منه من الميت وسفك الدماء بنواحي وسط .

ثم اتصل بابي أحمد أن جماعة من رؤساء الزنج قد استوحشوا لمنعه الشمراني من الأمان ، فأجاب إلى إعطائه الأمان استصلاحاً بذلك غيره من رؤساء الزنج ، وأمر بتوجيه الشذا إلى موضع وقع المهاد عليه ، فخرج سليمان الشمراني وأخوه ، وجماعة من قواده ، فزلوا الشدا ، فصاروا إلى أبي العباس ، فحملهم إلى أبي أحمد ، فخلع على سليمان ومن معه ، وحمله على عدة أفراس بسرورها وآلتها ، وأزل له ولأصحابه أنزالاً سنية ، ووصله بمال جليل ، ووصل أصحابه ، وضته وضمته إلى أبي العباس ، وأمر بإظهاره وإظهارهم في الشدا لأصحاب الناجم ، ليزدادوا ثقة بأمانته ، فلم تبرد الشدا ذلك اليوم من موضعها ؛ حتى استأمن جمع كثير من قواد الزنج ، فوصلوا وألحقوا بإخوانهم في الحباء واليرة والخلع ، والجوائز ؛ فلما استأمن الشمراني اختل ما كان الناجم قد ضبطه به من مؤخر عسكريه ، وقد كان جملة على مؤخر نهر أبي الخصب ، فوجه أمره وموضع ، وقدما كان سليمان يقول له القائد المعروف بشبل بن سالم - وهو من قوادهم للشهورين - فلم يمس أبو أحمد حتى وافاه رسول شبل ابن سالم يطلب الأمان ، ويسأل أذ. يوقف له شذوات عند دار ابن سيمان ؛ ليكون قصده في الليل إلى يدها ومعه من يثق به من أصحابه ، فأجيب إلى سؤاله ، ووافق آخر الليل ومعه عيال وولده ، وجماعة من قواده ، فصاروا إلى أبي أحمد ، فوصله بصلة جليقة ، وخلع عليه خلعاً كثيرة ، وحمله على عدة أفراس بسرورها وآلتها ، ووصل أصحابه ، وخلع عليهم ، وأحسن إليهم ؛ وأرسله في الشذوات ، فوقفوا بحيث يراهم الناجم وأصحابه نهراً ، ففطم ذلك عليه وعلى أوليائه ، وأخلص شبل في مناصحة أبي أحمد ، فسأل أن يضم إليه عسكري بيت به عسكر الناجم ، وبسلك إليه من مسالك يرفها هو ولا يرفها أصحاب أبي أحمد ، ففعل

وكتب عسكر الناجم سحرًا ، فأوقع بهم وهم غارون ؛ فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأسرجعًا من قواد الزنج وانصرف بهم إلى اللوق ، وذعر الزنج من شبل وما فعله ، فاستعصموا من النوم ، وخافوا خوفًا شديدًا ، فكانوا يتعارسون بعد ذلك في كل ليلة ، ولا تزال النفرة تقع في عسكرهم ، لما استعصموا من الخوف ، ووصل إلى قلوبهم من الوحشة ؛ حتى لقد كان ضجيجهم ونحارهم يسمع بالموحية .

وصح عزم اللوق على المبور لمحاربة الناجم في الجانب الشرقي من نهر أبي الخصب ، فجلس مجلسًا عامًا ، وأمر بإحصار قواد المستأمنة ووجوه فرسانهم ورجالهم من الزنج والبيضان فأدخلوا إليه ، فخطبهم وعرفهم ما كانوا عليه من الصلاة والجهل ، وانهك الحارم ، وما كان صاحبهم زينه لهم من معاصي الله سبحانه ؛ وأن ذلك قد كان أحل لدماءهم ، وأنه قد غفر لقرلة وعفا عن العقوبة ، وبذل الأمان ، وأعاد على من الجأ إليه بالفضل والإحسان فأحرل القملات ، وأسى الأرزاق ، وألحقهم بالأولياء وأهل الطاعة ، وأن ما كان منه من ذلك يوجب عليهم حقه وطاعته ، وأنهم لم يأتوا بشيء بغير رضون به لطاعة ربهم ، والاستعداد لرضا سلطانهم أو لى بهم من الجدة في محاربة الناجم وأصحابه ، وأنهم من الخبرة بمسالك عسكر الناجم ومضابقي طرق مدينته ، والمعافل التي أعدها للحرب على ما ليس عليه من غيرهم ؛ فهم أخرى أن يخصصوه بصحتهم ، ويجهدوا على الولوج إلى الناجم ، والتوجه إلى حصونه ؛ حتى يمسكهم الله منه ومن أشياعه ، فإذا فعلوا ذلك فليهم الإحسان والمزيد ، ومن قصرهم استدعى من سلطانه إسقاط حاله ، وتصغير منزلته ووضع مرتبته .

فارتفعت أصواتهم جميعًا بالدعاء للوقوف والإقرار بإحسانه ، وبما هم عليه من صفة الضائر من السمع والطاعة والجد في محاربة عدوه ، وبذل دماهم ومهجهم في كل ما يقر بهم منه ، وأن مادعاهم إليه قد قوى مسهم ، ودلهم على قوته بهم ، وإحلاء إياهم

صل أوليائه، وسألوه أن يفردهم ناحية ، ولا يخطبهم بمكره ، ليظهر من حسن جهادهم بين يديه ؛ وخلص نياتهم في الحرب ، ونكايتهم في المدد وما يعرف به طاعتهم ، وإفلاحهم مما كانوا عليه من جهلهم .

فأجابهم إلى ذلك ، وعرفهم حسن ما ظهر له من طاعتهم فخرجوا من عنده مبتهجين بما أجيئوا به من حسن القول وجبل الوعد .



قال أبو جعفر: ثم استعد أبو أحمد ورتب جيشه ؛ ودخل إلى عسكر الناجم شرق نهر أبي الخصيب في خمسين ألف مقاتل ، من البر والبحر ، فرسا ورجالة ، يكبرون ويهلقون ويقرءون القرآن ، ولم ضجيج وأصوات هائلة . فرأى الناجم منهم ما هاه وتلقاهم بنفسه وجيشه ؛ وذلك في ذي القعدة سنة تسع وستين ومائتين .

واشتبكت الحرب ، وكثر القتل والجراح ، وحامى الزنج عن صاحبهم وأنفسهم أشد محاماة ، واستماتوا ، وصبر أصحاب أبي أحمد ، وصدقوا القتال ، فنزل الله عليهم بالنصر ، وانهمز الزنج ، وقتل منهم خلق عظيم ، وأسير منهم أسرى كثيرة ؛ فضرب أبو أحمد أعناق الأسارى في المعركة ، وقصد بنفسه دار الناجم ، فواقها وقد لجأ الناجم إليها ؛ ومعه أعباد أصعابه للدافعة عنه .

فلما لم يفتنوا شيئا أسدوها ، وتفرقوا عنها ، ودخلها غلمان اللوق ، وبها بقايا ما كان سلم له من مال وأثاث ، فأخذوه وانتهبوه ، وأخذوا حرمة وولده الله كور والإمات ؛ وتخلص الناجم بنفسه ، ومضى هاربا نحو دار علي بن أبان اللهي ، لا يلوي على أهل ولا ولي ولا مال ، وأحرق دبره ، وحل أولاده ونسبه إلى اللوقية في التوكيل ، وقصد أصاب أبي أحمد دار اللهي ، وقد لجأ إليها الناجم وأكثر الزنج ، وتشاغل أصعاب أبي أحمد بنهب

الأموال من دور الزنج ، فانغم الناجم تشاغلهم بالنهب ، فأمر قواده بانتهاز الفرصة ، والإكباب عليهم ، فخرجوا عليهم من حدة مواضع ، وخرج عليهم كفتاء أيضا قد كانوا كنوم لهم ، فكشفوهم واتهموهم حتى واثقوا بهم سرايا الخصيب ، فقتلوا من فرسانهم ورجالتهم جماعة ، وارتجموا بعض ما كانوا أخذوه من اللال واللتاع .

ثم تراجع الناس ، ودامت الحرب إلى وقت العصر ، فرأى أبو أحمد عند ذلك أن يصرف أصحابه ، فأمرهم بالرجوع فرجعوا على هدوء وسكون ، كي لا تكون هزيمة ، حتى دخلوا سفنهم ، وأحجم الزنج عن اتباصهم ، وعاد أبو أحمد بالجيش إلى مراكزم .

قال أبو جعفر : ووافق إلى أبي أحمد في هذا الشهر كانه صاعد بن مخلد من سائر أمة في عشرة آلاف ، ووافق إليه لؤلؤ صاحب ابن طولون - وكان إليه أمر الرقة ودار مصر - في عشرة آلاف من نخبة الفرسان وأعيانهم ، فلم يبق أبو أحمد لؤلؤ أن يخرج في صكره فيحارب الزنج ، فخرج بهم معه من أصحاب أبي أحمد من يده على الطرق والمصابق ؛ فكانت بين لؤلؤ وبين الزنج حرب شديدة في ذي الحجة من هذه السنة ؛ استظهر فيها لؤلؤ عليهم ؛ وبأن من نجده وشجاعته وإقدام أصحابه ، وصبرهم على ألم الجراح وثبات قلوبهم ما سر أبا أحمد وملا قلبه .



قال أبو جعفر : فلما دخلت سنة سبعين ومائتين ، تخاصمت الأمداد إلى أبي أحمد من سائر الجهات ، فوصل إليه أحمد بن دينار في جمع عظيم من اللطوعة ، من كور الأهواز ونواحيها ، وقدم بعده من أهل البحرين جمع كثير من اللطوعة زهاء ألف رجل ، يقودهم رجل من عبد القيس ، وورد بعد ذلك زهاء ألف رجل من فارس ، ورئيسهم شيخ من اللطوعة يكنى أبا سلة ، وكان أبو أحمد يجلس لكل من يرد ويخلف عليه ، ويقم لأصحابه الأنزال الكثيرة ، ويصلهم بالصلات ، فعظم جيشه جدا ، وامتلات بهم الأرض ، وصح

عزمه على لقاء التاجم بجميع عسكره ، فرتب جيوشه ، وقسمهم على القواد ، وأمر كل واحد من القواد أن يقصد جهة من جهات معسكر التاجم عتينا له ، وركب بنفسه ، وركب جيشه ، وتوغلوا في مسالك شرقى نهر أبى الخصيب ، ولقيهم الزنج ، وقد حشدوا واستقبلوا ؛ فكانت بينهم وقعة شديدة ، منعهم الله تعالى فيها أكتاف الزنج ، فولوا منهزمين ؛ فاتبعهم أصحاب أبى أحمد يقتلون ويأسرون ، قتل منهم كثير ، وغرق كثير ، وحوى أصحاب أبى أحمد معسكر التاجم ومدينته ، ونظفروا بسال على بن أبان اللهبى وداره وأمواله ، فاحتورا عليها ، وعبر أهل وأولاده إلى اللوشة مع كلابهم ، ومضى التاجم ومعه اللهبى وابنه أنسكلانى ، وسليان بن جامع ، والحمدانى وجماعة من أكابر القواد ، حامدين إلى موضع كان التاجم قد أحده لنفسه ملجأ إذا غلب على مدينته وداره في النهر المعروف بالسقيانى . فقدم أبو أحمد ومعه لؤلؤ لاصدين هذا النهر ، لأن أباهما دخل عليه ، فأوقل في الدخول وقتله أصحابه ، فظنوا أنه رجع ، فرجموا كلهم ، وعبروا دجلة في الشدا فلانين أنه عبر راجعا ، وانتهى أبو أحمد ومعه لؤلؤ ، لاصدين هذا النهر ، فاقصمه لؤلؤ بفرسه ، وعبر أصحاب لؤلؤ خلفه .

ووقف أبو أحمد في جماعة من أصحابه عند النهر ، ومضى التاجم هاربا ، ولؤلؤ يتبعه في أصحابه ؛ حتى انتهى إلى النهر المعروف بالقربرى ، فوصل إليه لؤلؤ وأصحابه ، فأوقفوا به وبين معه فكشوفهم ، فولوا هارين حتى عبروا النهر للذكور ؛ ولؤلؤ وأصحابه يطردونهم من ورائهم ، حتى الجنوم إلى سحر آخر ، فمبروه واعتصموا بدحال وراءه ، فوبلجوها ، وأشرف لؤلؤ وأصحابه عليها فأرسل إليه اللوقق بنهاء عن اقتحامها ، وبشكر سميته ، وبأمره بالانصراف ؛ فانفرد لؤلؤ هذا اليوم وأصحابه بهذا الفعل ؛ دون أصحاب اللوقق ؛ فانصرف لؤلؤ عمود الفيل ، فحمله اللوقق معه في شداته وجدده من البر والكرامة ورفع للزفة ليا كان منه في أمر التاجم ، حسبا كان مستعقبا له ؛ ولهذا نادى

أهل بغداد لما أدخل إليهم رأس الناجم بين يدي أبي العباس : ما شئتم قولوا ، كان
الفتح لؤلؤ .

•••

قال أبو جعفر : فجمع للوفق في هذا اليوم قواده وهو حيق عليهم لانصرافهم
عنه ، وإفرادهم إياه ، وكان لؤلؤ وأصحابه تولوا طلب الناجم دونهم ، فمتقهم وعذلم
ووتخيم على ما كان منهم ، وعجزم وأغظ لهم ، فاعتذروا إليه بما توفوه من
انصرافه ، وأنهم لم يعلموا أنه قد تلجج وأوغل في طلب الناجم ، وأنهم لو علموا ذلك
لأسرعوا نحوه .

ثم تحالفوا بين يديه ، وتماقدوا ألا يبرحوا في غير موضعهم إذا توجهوا نحو الزنج ،
حتى يظفرهم الله تعالى به ، فإن أعيام ذلك أقاموا حيث انتهى بهم النهار في أية موضع كان
حتى يحكم الله بينهم وبينه . وسألوا للوفق أن يرزق الشفن إلى الموقية ، بحيث لا يطمع طامع
من المكركب في الالتجاء إليها والعبور فيها .

فقال أبو أحمد عزهم ، وجزام الخيل عن تنصلهم ، ووعدهم بالإحسان ، وأمرهم
بالتأهب للعبور ؛ ثم عجز بهم على ترتيب وعظام قد أحكم وقرره ، وذلك في يوم السبت
الثلثين خلثنا من صفر من سنة سبعين ومائتين ، وقد كان الناجم هادم تلك الأنهار إلى
مسكره بعد انصراف الجيش عنه ، فأقام به ، وأمل أن تطاول به وهم الأيام ^(١) ، وتدفع عنه
المكاجزة ، فلقية في هذا اليوم سرعان ^(٢) للمسكر ؛ وهم مهيضون محققون من التقريع والتوبيخ
للأحقين بهم بالأمس ، فأوتسوا به وبأصعابه وقعة شديدة ، أزالهم عن مواقعهم ، ففترقوا
لا يلوي بعضهم على بعض ، واتبعهم الجيش يقتلون ويأسرون من لحقوا منهم ، واقطع

(١) الطبري : « تطاول بهم الأيام » .

(٢) سرعان الناس : أوائلهم . وفي الطبري : « فوجد الوفاق للتسريع من مرساين غلاته ورجالهم » .

النَّاجِمُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ كَمَاةٍ مِنْ قَوَادِ الزَّيْجِ ؛ مِنْهُمْ لِلْهَلِيِّ ، وَفَارَقَهُ ابْنَهُ الْكَلَانِي وَسُلَيْمَانَ
ابْنَ جَامِعٍ ، فَكَانَا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ بِمَجْتَمِعِينَ ، ثُمَّ افْتَرَقَا فِي الْمَزِيْمَةِ ، فَصَادَفَ سُلَيْمَانَ ابْنَ جَامِعٍ
قَوْمٌ مِنْ قَوَادِ اللُّوْقِ ، فَخَارِبُوهُ وَهُوَ فِي جَمْعٍ كَثِيفٍ مِنَ الزَّيْجِ ، فَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ كَمَاةٍ ،
وَوَظَّفِرَ بِهِ فَأَسْرَ ، وَوُحِّلَ إِلَى اللُّوْقِ بِعِيرٍ عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ ، فَاسْتَبَشَرَ النَّاسُ بِأَسْرِ سُلَيْمَانَ ،
وَكَثُرَ التَّكْبِيرُ وَالضَّجِيجُ ، وَأَيُّتُوا بِالْفَتْحِ إِذْ كَانَ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ غَنَاءً ، وَأَسْرَ بَعْدَهُ إِبْرَاهِيمُ
ابْنَ جَعْفَرِ الْهَدَنَانِي ، وَكَانَ مِنْ عِظَاءِ قَوَادِهِ وَأَكْبَرِ أَمْرَاءِ جِهوشِهِ ، وَأَسْرَ نَادِرَ الْأَسْوَدَ
لِلْمَعْرُوفِ بِالْخَفَّارِ ، وَهُوَ مِنْ قُلْعَاءِ قَوَادِ النَّاجِمِ ، فَأَمَرَ اللُّوْقُ بِضَيْدِهِمْ بِالْحَدِيدِ ، وَنَصَبُوهُمْ فِي
شَذَاةٍ لِأَيِّ الْعَبَّاسِ ، وَمَعَهُمُ الرَّجُلُ بِالسَّلَاحِ ، وَجَدَ اللُّوْقُ فِي مَطْلَبِ النَّاجِمِ ، وَأَمِنَ فِي نَهْرٍ ابْنِ
الْخَصِيبِ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى آخِرِهِ .

فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ ، أَتَاهُ الْبَشِيرُ بِمَقْتُلِ النَّاجِمِ قَلَمٌ بِصَدَقٍ ، فَوَافَاهُ بِشِيرٍ آخَرَ ، وَمَعَهُ كَفٌّ
زَعَمَ أَنَّهَا كَفُّهُ ، فَتَوَى الْخَبِيرُ عِنْدَهُ بِمَنْزِلِ الْقُوَّةِ ، قَلَمٌ يَلْبِثُ أَنْ أَتَاهُ غُلَامٌ مِنْ غُلَامَانِ لَوْلُوَيْرِ كَهْ
وَمَعَهُ رَأْسُ النَّاجِمِ ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَعَرَضَهُ اللُّوْقُ عَلَى مَنْ كَانَ حَاضِرًا أَنَّكَ الْحَالُ مَعَهُ مِنْ
قَوَادِ الْمُسْتَأْمَنَةِ ، فَعَرَفُوهُ ، وَشَهِدُوا أَنَّ رَأْسَ صَاحِبِهِ ، نَفَرًا سَاجِدًا^(١) ، وَسَجَدَ ابْنُهُ أَبُو الْعَبَّاسِ ،
وَسَجَدَ الْقَوَادُ كُلُّهُمْ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى ، وَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالْهَلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ ، وَأَمَرَ بِرَفْعِ الرَّأْسِ
عَلَى قَنَاةٍ ، وَنَصَبَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَرَأَاهُ النَّاسُ ، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَالضَّجِيجُ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ لَمَّا أُحْبِطَ بِالنَّاجِمِ ، لَمْ يَبْقَ مَعَهُ مِنْ رُؤَسَاءِ أَصْحَابِهِ
إِلَّا الْمُهَلِّيُّ ، فَلَمَّا عَلِمَا أَنَّهُمَا مَقْتُولَانِ افْتَرَقَا ، فَوَقَفَ النَّاجِمُ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهِ هَذَا الْعُلَامُ وَمَعَهُ
جَمَاعَةٌ مِنْ غُلَامَانِ لَوْلُوَيْرِ ، فَتَنَاحَ عَنْ نَفْسِهِ بِسَيْفِهِ حَتَّى مَجَزَ عَنْ الْمَانَعَةِ ، فَأَحَاطُوا بِهِ وَضَرَبُوهُ
بِسُيُوفِهِمْ حَتَّى سَقَطَ ، وَنَزَلَ هَذَا الْعُلَامُ فَاحْتَرَّ رَأْسُهُ ، وَأَمَّا الْمُهَلِّيُّ فَإِنَّهُ قَصَدَ النَّهْرَ الْمَعْرُوفَ

(١) بِمَدَامَا فِي الطَّبَرِيِّ : هُوَ عَلَى مَا أَوْلَاهُ وَأَبْلَاهُ .

بنهر الأمير ، تقذف بنفسه يروم النجاة ، وقبل ذلك كان ابن الناجم وهو المعروف بأنكلاذى
فارق أباه ، ومضى يؤتم النهر المعروف بالديبارى ، مصحفاً فيه بالأدغال والآجام ، فلم يظفر
بهما ذلك اليوم ، ودل للوقى عليهما بعد ذلك .

وقيل ٤ : إنَّ معهما جمعاً من الزَّجج وجماعة من جيلة قوادهم ، فأرسل غلامه في طلبهما ،
وأمرهم بالتصديق عليهما ، فلما حاطت العلمان بهم أيقنوا أن لا ملجأ لهم ، وأعطوا أبائهم .
فظفر بهم العلمان ، وحلّوهم إلى للوقى ، فقتل منهم جماعة ، وأمرَ بالاستيثاق من المهلى
وأنكلاذى بالحديد والرجال الموككين بهما .



قال أبو جعفر : وانصرف في هذا اليوم وهو يوم السبت ، ليلتين حلتان صفرأبواحد
من نهر أبي الخصيب ، ورأس الناجم منصوب بين يديه على قنطرة في شدة يُحترقُ به في
النهر ، والناس من جانبي النهر ينظرون إليه حتى واقى دجلة ، فخرج إليها ، والرأس بين
يديه ، وسليمان بن جامع والمهدانى مصلوبان أحياء في شداتين عن جانبيه ، حتى واقى قصره
بالموقية . هذه رواية أبي جعفر وأكثر الناس عليهما .



وذكر المسعودى في كتاب "مروج الذهب" ،^(١) أن الناجم ارتث ، ونُحِل إلى أبي أحمد
وهو حى ، فسَلَّمه إلى ابنه أبي العباس ، وأمر بتعذيبه ، فجعله كردناجا^(٢) على النار وجعله
ينتفخ ، ويتفرق حتى هلك .

والرواية الأولى هي الصحيحة ، والذي جعل كردناجا هو قرطاس الذى رمى بأحمد

(١) مروج الذهب ٤ : ١٩٥ .

(٢) الكردناج ، معناه الكباب ، أو ما يشبهه بواطر يمزون .

بالسهم ، ذكر ذلك التنوخى في "نشوار المحاضرة" ، قال : كان الزنج يصيحون لما رمى أبو أحمد بالسهم ، وتأخر ليلاج جراحتهم من الحرب : ملّعوهم ملّعوهم ، أى قد مات وأنتم تسكنون موته ، فاجلوه كالبحر للكسود .

قال : وكان قرطاس الرامى لأبى أحمد يصيح بأبى المباس فى الحرب إذا أخذنى فاجملنى كردناجا ؛ يهزأ به .

قال : فلما ظفر به أدخل فى دُبره سهيقاً من حديد ، فأخرجه من فيه ، وجعله على النار كردناجا .



قال أبو جعفر : ثم تقاع محمى - الرّبيع إلى أبى أحمد فى الأمان ، فغضر منهم فى ثلاثة أيام نحو سبعة آلاف زنجي ، لما عرفوا قتل صاحبهم ، ورأى أبو أحمد بذل الأمان لهم ، كى لا يهين منهم بقية يخاف سرقتها فى الإسلام وأهلها ، وانقطعت منهم قطعة نحو ألف زنجي مالت نحو البر ، فأتت أكثرها عطشا ، وظفر الأعراب بمن سلم منهم ، فاسترقوهم ، وأقام الموفق بالموقية ، بعد قتل الناجم مدة ، ليزداد للناس بمقامه أنسا وأمانا ، ويدرج أهل البلاد إليها ، فقد كان الناجم أجلام عنها . وقدم ابنه أبو المباس إلى بغداد ، ومعه رأس الناجم ، فدخلها يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من مجادى الأولى من هذه السنة ، ورأس الناجم بين يديه على قنّاة ، والناس يجتمعون يشاهدونه .



وقد روى غير أبى جعفر ، وذكره الآب^(١) فى مجموعته المسمى "نثر الدر" ، من العلماء ابن صاعد بن محمد ، قال : لما أخيل رأس صاحب الزنج ودخل به المعتضد إلى بغداد دخل فى جيش

(١) هو الوزير زين الكفأة أبو سعد منصور بن الحسين الآبى ، وزير مجد الدولة رستم بن فخر الدولة ابن بويه . وكتابه نثر الدر فى المحاضرات ؛ منه نسخ خطية بأجزاء متفرقة فى دار الكتب المصرية .

لم يَر مثله، واشتق أسواق بغداد، والرأس بين يديه، فلما صرنا بباب الطلق، صاح قوم من درج من تلك الدروب: رحم الله معاوية وزاد! حتى حلت أصوات العامة بذلك فتغير وجه المعتضد، وقال: ألا تسع يا أبا عيسى! ما أعجب هذا! وما الذي اقتضى ذكر معاوية في هذا الوقت! والله لقد بلغ أبي إلى اللوت وما أفلت أنا إلا بعد مشافهته، ولقينا كل جهد وبلاء، حتى أنجبنا هؤلاء الكلاب من عدوهم، وحقنا حرمتهم وأولادهم، فتركوا أن يترحموا على العباس وعبد الله ابنه ومن ولد من الخلفاء، وتركوا الترس على علي بن أبي طالب، وحزمة وحفر، والحسن والحسين! والله لا برحت أو أؤثر في تأديب هؤلاء أنرا لا يباودون بعد هذا القتل مثله! ثم أمر بجميع النفاطين ليحرق الناحية! فقلت له: أيها الأمير، أحل الله بقاءك! إن هذا اليوم من أشرف أيام الإسلام فلا تضيئه بجهل عامة لا أخلاق لهم. ولم أرل أداريه وأرفق به حتى سار.

فأما الذي يرويه الناس من أن صاحب الزنج ملك سواد سداد، ونزل بالمداثر، وأن الموفق أرسل إليه من بغداد عسكرياً وأمرهم بقتل النبيذ، وأمرهم أن يهزموا من بين يدي الزنج عند اللقاء، ويتركوا خيائهم وأتقاهم لينتهبها الزنج وأنهم فعلوا ذلك، فظفر الزنج فيها غفروا به من امتنعهم بتلك الدمان، وكانت كثيرة جداً، فشربوا تلك الهبة وسكروا، وباتوا على غيرته، فكبسهم للموفق وبيتهم ليلاً وهم سكارى، فأصاب منهم ما أراد - فباطل موضوع لا أصل له! - والذي بيتهم وهم سكارى قتل منهم نيلاً تكفين البخاري! وكان على الأهواز بيت أصعب على بن أمان في سنة خمس وستين ومائتين! وقد أتاه الخبير بأنهم تلك الهبة قد عمل النبيذ فيهم! والصحيح أنه لم يتجاوز نههم ودخولهم البلاد النعمانية. هكذا رواه الناس كلهم.

•••

قال أبو جعفر: فأما علي بن أبلان وأنسكلاني بن الناجم ومن أسير معها، فإنهم

حملوا إلى بغداد في الحديد والقيد ، فحبسوا بيد محمد بن عبد الله بن طاهر ، ومعهم غلام
 الموفق يقال له فتح السبدي ، فكانوا كذلك إلى شوال من سنة اثنين وسبعين ومائتين
 فكانت للزنج حركة بواسط ، وصاحوا : أنكلاني ، يا منصور ! وكان للموفق يومئذ
 بواسط ! فكتب إلى محمد بن عبد الله ، وإلى فتح السبدي يأمرهما بوجهيه رموس الزنج
 الذين في الأسر إليه ، فدخل فتح السبدي إليهم ، فجعل يخرج الأول فالأول فيذبجه
 على البهولة كما تذبج الشاة ، وكانوا خمسة : أنكلاني بن الناجم ، وعلي بن أبان اللهبلي ،
 وسليمان بن جامع ، وإبراهيم بن جعفر الهذاني ، ونادر الأسود ؛ وقام رأس البهولة
 وطرحتها فيها أبدانهم ، وسد رأسها ، ووجهه برموسهم إلى الموفق فنصبا بواسط ،
 وانقطعت حركة الزنج ، وبئس منهم .

ثم كتب للموفق إلى محمد بن عبد الله بن طاهر في جنث هؤلاء الخمسة ، فأمر بصلبهم
 بحضرة الجسر ، فأخرجوا من البهولة ؛ وقد اعتصموا وتغيرت روائحهم ، وتشتت
 جلودهم ، فصلى اثنان منهم على جانب الجسر الشرقي وثلاثة على الجانب الغربي ؛ وذلك
 لسبع بقين من شوال من هذه السنة ، وركب محمد بن عبد الله بن طاهر ؛ وهو أمير بغداد
 يومئذ بنفسه حتى صلبوا بحضرته .

وقد قال الثراء في وقائع الزنج فأكثرنا كالبعثرى وابن الرومي وغيرهما ؛ فن
 أراد ذلك فلأخذه من عظامه .

الأصل :

منها في وصف الأتراك :

كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْمًا كَانُوا جُوهَهُمْ لِلْجَانِّ لِلطَّرْفَةِ ، يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَالذُّبْيَاجَ ،
وَيَمْتَقِبُونَ الْخَلِيلَ الْيَمَاقَ ، وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِعْرَارُ قَتْلِ حَقِّ يَمَشِي الْمَجْرُوحُ عَلَى
الْمَقْتُولِ ، وَيَكُونُ الْمَقْتُلُ أَقْلَ مِنَ الْمَأْثُورِ .

فقال له بعض أصحابه : لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم النيب افضحك
عليه السلام وقال للرجل - وكان كلياً :

يَا أَخَا كَلْبٍ ؛ لَيْسَ هُوَ يَعْلَمُ الْغَيْبَ ، وَلَكِنْ هُوَ نَعْلَمُ مِنْ ذِي عِلْمٍ ، وَلَكِنْ عِلْمُ
الْمَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَمَا عَدَدَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾
وَيَنْزِلُ الْفَيْثُ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي
نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ . . .) الْآيَةُ ، فَيَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، مِنْ
ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى ، وَفَيْحٍ أَوْ جَمَلٍ ، وَسَحَابٍ أَوْ بَحِيلٍ ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ؛ وَمَنْ يَكُونُ
لَقَارِ حَطَبًا أَوْ فِي الْجَنَانِ الْغَبِيٍّ مُرَافِقًا ؛ فَهَذَا عِلْمُ الْمَيْبِ الَّذِي لَا يَسْلُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ،
وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلَى اللَّهِ نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَمِيَهُ
صَدْرِي ، وَتَضُمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي .

الْبَرْخ :

الْبَرْخ : جمع بَرَخٍ بكسر الليم ، وهو الثرس ، وإنما سمي بِرَخًا ، لأنه يُسْتَقَرُّ به ،
والْبَرْخَةُ : السُّترة والجمع بَرَخَاتٌ ؛ يقال استَبَخَنَ بِرَخَةً ، أى استقر بستره .

والمَطْرَقَةُ ، يكون الطاء : التى قد أطرقَ بِمَضُها إلى بعض ، أى حُتَّتْ طليقاتها ؛
فجعل بِمَضُها يتلو بمضا ، يقال : جاءت الإبل مطارِقِي ؛ أى يتلو بمضا بمضا . وللعل
المَطْرَقَةُ : المخصوصة ، وأطَرَقْتُ بالجلد والنصب ، أى ألبست ، وتُرْسٌ مطَرَقٌ ، وطِراق
العمل : ما أطرقت وخرزت به . وریش طِراق ؛ إذا كان بعضه فوق بعض ، وطِراق
الرجلُ بين الثوبين ؛ إذا لبس أحدهما على الآخر ؛ وكلّ هذا يرجع إلى مفهوم واحد وهو
مظاهرة الشيء بعضه بمضا . ويروى : « الحان المطرقة » ، بتشديد الراء ، أى كالتُرْسِ
المتخذة من حديد مطرَقٍ بالمطرقة .
والسَّرَق : شقق الحرير ، وقيل : لا نسمي سَرَقًا إلا إذا كانت رِيصًا ،
الواحدة سَرَقَةٌ .

ويستقبون الخليل ، أى ينجبونها لينقلوا من غيرها إليها . واستعرار القتل : شدته ،
استعَرَّ وحَرَّ بمعنى ، قال ابن الزُّعْرَى :

حيث ألفت بقاء برّكها واستعَرَّ القتل في عهد الأشل^(١)

والمفليت : المارب .

يقول عليه السلام : إن الأمور المستقبّة على قسمين :

أحدهما ما تفرّد الله تعالى بخلقه ، ولم يطلع عليه أحدًا من خلقه ؛ وهى الأمور الخمسة
المعدودة فى الآية المذكورة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي
الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ عَدَا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾^(٢)

والقسم الثاني ما يبطئه بعض البشر بإعلام الله تعالى إتياءه ؛ وهو ما عدا هذه الخمسة ، والإخبار بعلامة الأتراك من جهة ذلك .

وتنظم عليه جوامع : تفعل ، من الضم ، وهو الجمع ، أى يجمع عليه جوامع صدرى ، ويروى : « جوارحى » ، وقد روى أن إنساناً قال لموسى بن جعفر عليه السلام : إني رأيت الليلة في منامى أتى سائلتك : كم بقى من عمرى ؟ فرضت بك اليمنى ، وفصعت أصابعها في وجهى مشيراً إلى ، فلم أظلم خمس سنين ، أم خمسة أشهر ، أم خمسة أيام ! فقال : ولا واحدة منهن ، بل ذاك إشارة إلى النيوب الخمسة التى استأثر الله تعالى بها فى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ... ﴾ الآية .

فإن قلت : لم ضحك عليه السلام لنا قال له الرجل : « لقد أوتيت علم الغيب » ؟ وهل هذا إلا زهوى النفس ، ونجب ^(الحال) ؟ قلت : قد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله ضحك فى مناسب هذه الحال ؛ لما استسقى فسقى وأشرف درور المطر ، فقام إليه الناس ، فألوه أن يسأل الله تعالى أن يحبسهم عنهم ، فدعا ، وأشار بيده إلى السحاب ، فأنجب حول المدينة كالإكليل ؛ وهو عليه السلام يخطب على المنبر ؛ فضحك حتى بدت نواجذه ، وقال : أشهد أنى رسول الله ؛ وسر هذا الأمر أن النبي أو الولي إذا تحدث عنه نعمة الله سبحانه ، أو عرف الناس وجاهته عند الله ، فلا بد أن يسر بذلك . وقد يحدث الضحك من السرور ؛ وليس ذلك بمذموم إذا خلا من التثب والمجب ، وكان محمى السرور والابتهاج ، وقد قال تعالى فى صفة أوليائه : ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ^(١) .

فإن قلت : فإن من جهة الخمسة : ﴿ وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ ، وقد أعلم

عمل أولياته، وسأله أن يفرده ناحية ، ولا يخلطهم بسكره ، ليظهر من حسن جهادهم بين يديه ؛ وحلوص نياتهم في الحرب ، ونسكائهم في العدا وما يعرف به طاعتهم ، وإفلاحهم عما كانوا عليه من جهلهم .

فأجابهم إلى ذلك ، وعرفهم حسن ما ظهر له من طاعتهم فخرجوا من عنده مبتهجين بما أجابوا به من حسن القول وجليل الوعد .



قال أبو جعفر: ثم استعد أبو أحمد ورتب جيشه ؛ ودخل إلى عسكر الناجم شرق نهر أبي الخصيب في خمسين ألف مقاتل ، من البر والبحر ، فرسانا ورجالة ، يكثرون ويهلقون ويقرءون القرآن ، ولم ضجيج وأصوات هائلة فرأى الناجم منهم ما هاله وتلقاه بنفسه وجيشه ؛ وذلك في ذي القعدة سنة تسع وستين ومائتين .

واشتبكت الحرب ، وكثر القتل والجراح ، وحامى الزنج عن صاحبهم وأنفسهم أشد حمامة ، واستأثروا ، وصبر أصحاب أبي أحمد ، وصدقوا القتال ، فنزل الله عليهم بالنصر ، وانتهزم الزنج ، وقتل منهم خلق عظيم ، وأسير منهم أسرى كثيرة ؛ فغضب أبو أحمد أعتاق الأسارى في المعركة ، وقصد بنفسه دار الناجم ، فوافاها وقد لجأ الناجم إليها ؛ ومعه أعباد أصعابه للدفاع عنه .

فلما لم يفتروا شيئا أسدوها ، وتفرقوا عنها ، ودخلها غلمان اللوقت ، وبها بقايا ما كان سلم له من مال وأثاث ، فأخذوه وانتهبوه ، وأخذوا حرمة وولاه الله كور والإثاث ؛ وتخلص الناجم بنفسه ، ومضى هاربا نحو دار علي بن أبي طالب ، لا يلوي على أهل ولا ولي ولا مال ، وأحرق داره ، وحمل أولاده ونسأله إلى اللوقتية في التوكيل ، وقصد أصحاب أبي أحمد دار الهلب ، وقد لجأ إليها الناجم واكثر الزنج ، وشاغل أصحاب أبي أحمد بنهب

الأموال من دور الزنج ، فانضم للناسم تشاغلهم بالنهب ، فأمر قواده بانتهاز الفرصة ، والإكباب عليهم ، فخرجوا عليهم من عدة مواضع ، وخرج عليهم كغناء أيضا قد كانوا كنوم لهم ، فكشفوهم واتهموهم حتى وافوا بهم نهرا إلى الخصب ، قتلوا من قرواتهم ورجالاتهم جماعة ، وارتجسوا بعض ما كانوا أخذوه من المال واللحاح .

ثم تراجع الناس ، ودامت الحرب إلى وقت العصر ، فرأى أبو أحمد عند ذلك أن يصرف أصحابه ، فأمرهم بالرجوع فرجعوا على هدوء وسكون ، كي لا تكون هزيمة ، حتى دخلوا سفنهم ، وأجمع الزنج من اتباعهم ، وعاد أبو أحمد بالجيش إلى مراكزم .

قال أبو جعفر : ووافى إلى أبي أحمد في هذا الشهر كانه صاعد بن محمد من سامراء في عشرة آلاف ، ووافى إليه لؤلؤ صاحب ابن طولون - وكان إليه أمر الرقة ودار مصر - في عشرة آلاف من نخبة الفرسان وأنجادهم ، فأمر أبو أحمد لؤلؤا أن يخرج في عسكره فيحارب الزنج ، فخرج بهم ومعه من أصحاب أبي أحمد من يده على الطرق والمضائق ؛ فكانت بين لؤلؤ وبين الزنج حرب شديدة في ذي الحجة من هذه السنة ؛ استظهر فيها لؤلؤ عليهم ؛ وبان من نجدته وشجاعته وإقدام أصحابه ، وصبرهم على ألم الجراح وثبات قلوبهم ما سر أباه أحمد وملا قلبه .



قال أبو جعفر : فلما دخلت سنة سبعين ومائتين ، تكاثرت الأمداد إلى أبي أحمد من سائر الجهات ، فوصل إليه أحمد بن دينار في جمع عظيم من المطوعة ، من كور الأهواز ونواحيها ، وقدم بملء من أهل البحرين جمع كثير من المطوعة زهاء ألفي رجل ، بقودم رجل من عبد القيس ، وورد بعد ذلك زهاء ألف رجل من فارس ، ورئيسهم شيخ من المطوعة يكنى أبا سلمة ، وكان أبو أحمد يجلس لكل من يرد ويخلف عليه ، ويقيم لأصحابه الأنزال الكثيرة ، ويصلهم بالصلوات ، فمظم جيشه جدا ، وامتلات بهم الأرض ، وصح

ثم إن العروف بجيكرخان - والناس يخطونه بالراء ، وذكر لي جماعة من أهل
 المعرفة بأحوال القتر أنه « جيكر » ، بالراء المحبة - عن « رأى » في النهوض إلى بلاد
 تركستان ، وذلك أن جيكر خان هذا هو رئيس القطار الأقصى في الشرق ، وابن
 رئيسهم ، وما زال سلفه رؤساء تلك الجهة ، وكان شجاعا عاقلاً موقفاً منصوراً في
 الحرب ؛ وإنما عن « هذا الرأي » لأنه رأى أن طاعة من القطار - لا ملك لهم ،
 وإنما يقوم بكل فرقة منهم مديراً لها من أنفسهم - قد نهضت فلكت بلاد تركستان
 على جلالتها ، غار من ذلك ، وأراد الرئاسة السامة لنفسه ، وأحب الملك ، وطمع في
 البلاد ، فنهض بمن معه من أقاصي الصين ؛ حتى صار إلى حدود أعمال تركستان ،
 فغار به القطار الذين هناك ، ومنعوه عن تطريق البلاد ، فلم يكن لهم به طاقة ، وهزمهم
 وقتل كثيراً منهم ؛ وملك بلاد تركستان بأجمعها ، وصار كالجوار لبلاد خوارزمشاه ،
 وإن كان بينهما مسافة بعيدة ، وصار بينه وبين خوارزمشاه سلمي ومهادنة ؛ إلا أنها
 هدنة على دخن .

فكثت الحال على ذلك بغير ، ثم فدت بما كان يصل إلى خوارزمشاه على
 السنة التجار من الأخبار ، وأن جيكر خان على عزم النهوض إلى سمرقند وما يليها ،
 وأنه في التأهب والاستعداد ، فلو داراه لكان أولى له ؛ لكنه شرع فسد طرق التجار
 القاصدين إليهم ، فمذرت عليهم الكسرات ، ومبيع عنهم لليدة والأقوات التي تجلب
 وتحمل من أعمال ما وراء النهر إلى تركستان ، فلو افتتح بذلك لكان قريباً ؛ لكنه
 أسى إليه نائبه بالمدينة المعروفة بأوتران ، وهي آخر ولايته بما وراء النهر ، أن جيكرخان
 قد سير جماعة من تجار القطار ، ومعهم شيء عظيم من الفضة إلى سمرقند ، ليشتروا له
 ولأهله وبنى عنه كثرة وثياباً وغير ذلك .

فبحث إليه خوارز مشاء بأمره بقتل أولئك التجار ، وأخذ مائتهم من الفضة وإنفاذها إليه ، فقتلهم وسير إليه الفضة . وكان ذلك شيئاً كثيراً جداً ؛ ففرقه خوارز مشاء على تجار سمرقند وبخارى ، وأخذ ثلثه منهم لنفسه . ثم علم أنه قد أخطأ ، فأرسل إلى نائبه بأوتران ، يأمره أن ينفذ جواسيس من عنده إليهم ، ليخبروه بصدقتهم ، فضت الجواسيس ، وسلكت مفارز وجبالاً كثيرة ، وعلدوا إليه بعد مدة ، فأخبروه ، بكثرة عددهم ، وأنهم لا يملئهم الإحصاء ولا يدرکهم ، وأنهم من أصبر الناس على القتال ؛ لا يعرفون الهرب ، ويعملون ما يحتاجون إليه من السلاح بأيديهم ، وأن خيلهم لا تحتاج إلى الشجير ، بل تأكل نبات الأرض ومروق المراعى ، وأن عندهم من الخيل والبقر مالا يحصى ، وأنهم يأكلون الميتة والكلاب والخنازير ، وهم أصبر خلق الله على الجوع والظمأ والشقاء ، وثياهم من أخشن الثياب ماءً ، ومنهم من يلبس جلود الكلاب والذئاب الميتة ؛ وأنهم أشبه شيء بالوحش والسباع .

فأنهى ذلك كله إلى خوارز مشاء ، فقدم على قتل أصحابهم ، وعلى خرق الحجاب بينه وبينهم ، وأخذ أموالهم ، وغلب عليه الفكر والوجع ، فأحضر الشهاب المصونى ، وهو فقيه فاضل كبير المحل عنده ، لا يخالف ما يشير به ، فقال له : قد حدث أمر عظيم لا بد من الفكر فيه ، وإجالة رأى فيما فعل ؛ وذلك أنه قد نحرک إلينا خصم من الترك فى عدد لا يحصى ، فقال له : عسا كرك كثيرة ، وتكاتب الأطراف ، وتجميع الجنود ، ويكون من ذلك غير هام ، فإنه يجب على المسلمين كافة مساعدتك بالأموال والرجال ، ثم تذهب بجميع العساكر إلى جانب سيحون ، وهو نهر كبير يفصل بين بلاد الترك وبين بلاد خوارز مشاء ، فتكون هناك ، فإذا جاء العدو وقد سار مسافة بعيدة ، فقتلناه ونحن جامئون مستريحون ، وقد منه وعساكره النصب والفتوب .

حاشي للنصور الثاني ١ ولولا قهامة في حرب الزنج ، لا عرض منك أهل بيته ؛ ولكن الله تعالى ثبتته لما يريد من بقاء هذه الدولة .



قال أبو جعفر : ثم جدّ للوقت في تخريب السور ، وإحراق المدينة ، وجدّ الناجم في إعداد المقاتلة والمحاولة عن سوريه ومدينته ، فكادت بين العريقين حروب عظيمة تجلّ من الوصف ، ورعى الناجم سفن الوقت القاربة لسور مدينته بالرمصاص المذاب ، والجمايق والمرادات ، وأمر أبو أحمد بإعداد غلة^(١) من خشب [لشذا^(٢)] وإلباسها جلود الجواميس ، وتنطية ذلك بالخيوش الطلية بصنوف المعاقير والأدوية التي تمنع النار من الإحراق ، ففعل ذلك ، وحارب صاحب الزنج من تجهها فلم يفلح ناره ورصاصه المذاب فيها شيئا ، واستأمن إلى أبي أحمد محمد بن سحمان ، كاتب الناجم ووزيره في شعبان من هذه السنة ، فهذه باستثمانه أركان الناجم ، وأضعف قوته ، وانتدب أبو العباس لقصد دار محمد بن يحيى الكربائي ؛ وكانت بإزاء دار الناجم ، وشرع في الحيلة في إحراقها ، وأحرق الوقت كثيرا من الرواشين^(٣) لليلة على سور المدينة وشعبها ، وعلا غلمان أبي أحمد على دار الناجم وولجوها وانتهبوها ، وأضرموا النار فيها ، وفعل أبو العباس بدار الكربائي مثل ذلك ، وجرح أنسكلاني بن الناجم في بطنه جراحة شديدة ، أشنى منها على التلف ، واتفق مع هذا الخافر العظيم أن غرق أبو حمزة نصير صاحب جيش الماء عند ازدحام الشدوات وإكباب الزنج على الحرب ، فصنّب ذلك على أبي أحمد ، وقوى بفرقه أمر الزنج ، وانصرف أبو أحمد

(١) الطبري : « غلال » ؛ وهما اسم جمع ؛ واحدهما غلة ، بالضم .

(٢) من الطبري .

(٣) جمع روشن ؛ وهو الكوة .

آخر نهار هذا اليوم ، وعرضت له حيلة أقام فيها بقية شعبان وشهر رمضان ، وأياما من شوال محسباً عن حرب الزنج ، إلى أن استقبل من عنته .

• • •

قال أبو جعفر : فلما أحرقت دار الناجم ودور أصعابه ، وشارفت أن يؤخذ ، وعرضت لأبي أحمد هذه العلة ، فأسسك فيها عن الحرب ، انتقل الناجم من مدينته التي بناها بنهر أبي نهر أبي الخصب إلى شرقية إلى منزل وغير لا يختص إليه أحد لاشتباك القصب والأدغال والأحطاب فيه ، وعليه خنادق من أنهار قاطعة معترضة ، قطعن هناك في خواصه ومن تخلف معه من جلة أصعابه وثقاته ، ومن بقي في نصرتة من الزنج يوم حدود عشرين ألف مقاتل ، وانقطعت للميرة عنهم ، وبان للناس ضعف أمرهم ، فتأخر الجلب الذي كان يصل إليهم ، فبلغ الرطل من خبز الميرة عديم بحسرة دراهم ، فأكلوا الشير ، ثم أكلوا أصناف الحبوب ؛ ثم لم يزل الأمر كذلك إلى أن كانوا يتبعون الناس ؛ فإذا خلا أحد منهم بصحة أو امرأة أو رجل ذبحوه وأكلوه . ثم صار قوى الزنج يمدو على ضيقتهم ، فإذا خلا به ذبحه وأكل لحمه ، ثم ذبحوا أولادهم ، فأكلوا لحومهم ، وكان الناجم لا يعاقب أحداً من فعل شيئا من ذلك إلا بالحبس ، وإذا تطاول حبسه أطلقه .

ولما أبل اللوق من عنته ، وعلم انتقال الناجم إلى شرق نهر أبي الخصب واعتصامه به ، أعمل فكرة في تخريب الجانب للشرق عليه ، كما فعل بالجانب الغربي ، ليتمكن من قتله أو أسره ؛ فكانت له آثار عظيمة من قطع الأدغال وإزالة حال^(١) وسد الأنهار ، ولم تخنادق ، وتوسيع للسالك وإحراق الأسوار للبنية ، وإدخال الشذا ؛ وفيها القاتلة إلى حريم الناجم ؛ وفي كل ذلك بدافع الزنج عن أنفسهم بحرب شديدة ، وقتل عظيم تذهب فيها النفوس ، وتراق فيها الدماء ، وكان النظر في ذلك كله لأبي أحمد ، وأمر الزنج يزداد ضعفا

(١) الدخال : جمع دخل ، وهو الثقب الضيق الأملئ الواسع الأسفل ؛ يمكن أن يسمى به .

ثم رحل إلى خراسان ، فمهر جيوشون ؛ وكانت هذه الواقعة في سنة ست عشرة وسبعمائة
غزى بالقرب من بلخ ، فسكر هناك ، واستغفر الناس .

وأما القطار فلهم رحلوا بعد أن استعدوا بظهور بلاد ما وراء النهر ؛ فوصلوا إلى
بخارى بعد خمسة أشهر من رحل خوارزمشاه عنها ، وحاصروها ، فقاتلوا السكر للرابط
بها ثلاثة أيام قتالا متعبا ، فلم يكن للسكر الخوارزمي بهم قوة ؛ فقتلوا أبواب المدينة
ليلاً ، وخرجوا بأجمعهم مائدين إلى خراسان ، فأصبح أهل بخارى وليس عندهم من
السكر أحد أصلاً ، فضفت نفوسهم ، فأرسلوا قاضي بخارى^(١) ليطلب الأمان للرعية ،
فأعطاه القطار الأمان ، وقد كان على في قلعة بخارى خاصة طائفة من عسكر خوارزمشاه
محاصرون بها .

فما رأى أهل بخارى بذلهم للأمان ، فحاصروا أبواب المدينة ، وذلك في رابع ذي الحجة
من سنة ست عشرة وسبعمائة فدخل القطار^(٢) بخارى ، ولم يهرضوا لأحد من الرعية ،
بل قالوا لهم : كل ما لخوارزمشاه عندهم من وديعة أو ذخيرة أخرجوه إلينا ؛ وساعدونا
على قتال من بالقلة ، ولا بأس عليكم . وأظهروا فيهم العدل وحسن التيرة ودخل
جسكز خان بنفسه إلى البلد ، وأحاط بالقلة ، ونادى بصادقيه في البلدان : لا يخلف أحد ؛
ومن يخلف قتل . فحضر الناس بأسرهم ، فأمرهم بقطع الخندق فطؤوه بالأخشاب والأحطاب
والتراب ، ثم زحفوا نحو القلة ، وكان حدة من بها من الجند الخوارزمية أربعمائة
إنسان ، فبذلوا جهودهم ، ومنعوا القلة عشرة أيام إلى أن وصل النقاؤون إلى سور
القلة ، فقبضوه ودخلوا القلة ، فقتلوا كل من بها من الجند وغيرهم .

(١) في ابن الأثير : « وهو بدر الدين طخستان » .

(٢) ابن الأثير : « فدخل السكفار » .

فلما فرغوا منها أمر جسكرخان أن يكتب له وجوه البلد ورؤسائهم ، قتل ذلك ،
فلما عرّضوا عليه أمر بإحضارهم ، فأحضروا ، فقال لهم : أريد منكم القصة الثقرة^(١) التي
بأعما إياكم خوارزمشاه ، فلانها لي ، ومن أصحابي أخذت . فكان كل من عنده شيء منها
يحضره ، فلما فرغ من ذلك أمرهم بالخروج من البلد بأنفسهم خاصة ، فخرجوا مجردين من
أموالهم ، ليس مع كل واحد منهم إلا ثيابه التي على جسده ، فأمر بقتلهم ، فقتلوا عن
آخرهم ، وأمر حينئذ بنهب البلد ، فنهب كل ما فيه ، وسبيت النساء والأطفال ، وعذبوا
الناس بأنواع العذاب في طلب الليل . ثم حلوا عنه نحو ستمائة قتيل ، وقد عثقوا تميز خوارزمشاه
عنهم ، واستصحبوا معهم من سليم من أهل بخارى ؛ أسارى مشاة على أقبح صورة ،
وكل من أعيا وجز عن الشيء قتلوه .

فلما قاربوا سمرقند ، قدموا الخيالة يوتركو^(٢) الرجال والأسرى والأقال وراهم ، حتى
يلتصقوا بهم شيئا فشيئا ، ليرعبوا قلوب أهل البلد ، فلما رأى أهل سمرقند سوادهم ،
استظفروهم ؛ فلما كان اليوم الثاني وصل الأسرى والرجال والأقال ؛ ومع كل عشرة من
الأسرى علم ، فظن أهل البلد أن الجميع حسكر مقاتلة ؛ فأحاطوا بسمرقند ، وفيها خسون
ألقا من الخوارزمية ، ومالا يحصى كثرة من هوام البلد ؛ فأحجم الحسكر الخوارزمي عن
الخروج إليهم ، وخرجت العامة بالسلاح ، فأطمعهم التتار في أنفسهم ، وقهرروا عنهم ؛
وقد كمنوا لهم كمناء ؛ فلما جاوزوا الكمين خرج عليهم من وراءهم ، وشد عليهم من
ورائهم جمهور التتار ؛ فقتلهم عن آخرهم .

فلما رأى من تخلف بالبلد ذلك ، ضفت قلوبهم ، وخيئت للجنود الخوارزمي أنفسهم

(١) الثقرة : القطعة الغاية من القصة أو القصب .

حلوا إلى بغداد في الحديد والقيّد ، فجعلوا بيد محمد بن عبد الله بن طاهر ، ومعهم غلام
الموفق يقال له فتح السعدي ، فكانوا كذلك إلى شوال من سنة اثنين وسبعين ومائتين
فكانت للزنج حركة بواسط ، وصاحوا : أنكلاني ، يا منصور ! وكان الموفق يومئذ
بواسط ، فكتب إلى محمد بن عبد الله ، وإلى فتح السعدي يأمرهما بوجبه رموس الزنج
الذين في الأسر إليه ، فدخل فتح السعدي إليهم ، فجعل يخرج الأول فالأول فيذبجه
على البالوعة كما تذبج الشاة ، وكانوا خمسة : أنكلاني بن الناجم ، وعلّ بن أبان المهلب ،
وسليمان بن جامع ، وإبراهيم بن جعفر الحمذاني ، وغادر الأسود ؛ وقطع رأس البالوعة
وطرحت فيها أبدانهم ، وسدّ رأسها ، ووجه برءوسهم إلى الموفق فنصبها بواسط ،
وانقطعت حركة الزنج ، وليس منهم .

ثم كتب الموفق إلى محمد بن عبد الله بن طاهر في جثث هؤلاء الخمسة ، فأمر بصلبهم
بمحضرة الجسر ، فأخرجوا من البالوعة ؛ وقد انتفخوا وتغيرت روائحهم ، وتفتشت
جلودهم ، فصلب اثنان منهم على جانب الجسر الشرقي وثلاثة على الجانب الغربي ؛ وذلك
لسبع بقين من شوال من هذه السنة ، وركب محمد بن عبد الله بن طاهر ؛ وهو أمير بغداد
يومئذ بنفسه حتى صلبوا بمحضرة .

وقد قال الثمراء في وقائع الزنج فأكثرنا كالبحري وابن الرومي وغيرهما ؛ فن
أراد ذلك فلأخذه من مقلاته .

الأصل :

منها في وصف الأراك :

كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْمًا كَانُوا وَجُوهَهُمْ لِلْجَانِّ لِلطَّرْفَةِ ، يَنْبَسُونَ السَّرَقَ وَالذَّبَّاحَ ،
وَيَمْتَقِبُونَ الْخَلِيلَ الْيَتَامَى ، وَيَكُونُ هُنَاكَ أَسْتَعْرَارُ قَتْلِ حَتَّى يَمْشِيَ الْجَبْرُوحُ عَلَى
الْمَقْتُولِ ، وَيَكُونُ لِلْقَلْبِ أَقْلٌ مِنَ الْأُمُورِ .

فقال له بعض أصحابه : لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب افضحك
عليه السلام وقال للرجل - وكان كلبيا :
يا أحمأ كلبى ؛ ليس هو يعلم الغيب ، وإنما هو تعلم من ذى علم ، وإنما علم

الغيب علم الساعة ، وما عدده الله سبحانه بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ
وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تُكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي
نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ... ﴾ الآية ، فعلم الله سبحانه ما في الأرحام ، من
ذكر أو أنثى ، وقبيح أو جميل ، وسخيف أو بخيل ، وشقي أو سعيد ؛ ومن يكون
هنا خطبا أو في الجنان للنبين مرافقا ؛ فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله ،
وما سوى ذلك فعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، ودعا إلى بأنبيائه
صدري ، ونظم عليه جواني .

عنه يوماً اعتراه من خوف النار، أو لأمر سئله الله تعالى عليه؛ فكان يهذي بالتأثر بكثرة وعشهة؛ وكل وقت وكل ساعة؛ ويقول: هو فاعم قد خرجوا من هذا الباب؛ قد هموا من هذه المرجة، ورجعوا يقولون: ويحفل كلابه وحركته.

وحكى لي قبه خراساني وصل إلى بغداد بعرف بالبرهان، قال: كان أخى معه، وكان ممن يثق خوارزمشاه به، ومختصه، قال: لمج خوارزمشاه لما تفر عنه بكلمة كان يقولها: «قرأت كلدي» بكثرة ما يوتقها: «الفرشود قد جاءوا»، وفي التفر صنف سود بشبهون الزنج، لم سيوف عربية جدا على غير صورة هذه السيوف؛ يأكلون لحوم الناس، فكان خوارزم شاه قد أميز وأغريه بكرم.

وحدثني البرهان، قال: رقي به شخص كدني أتلش إلى قلعة من علاع الهند؛ حصينة عالية شائعة لا يملوها السيم أبدا؛ وإنما تخطر السحب من تحتها. وقال له: هذه القلعة لك وبناتها أموالك، فكن فيها ولداً آمناً إلى أن يستقيم طالعك؛ فالملك ملازمها هكذا يذبر طالعهم ثم يقبل؛ فقال له: لا أقدر على التثبت فيها، والقام بها، لأن التفر سيوف يطلبوني، ويقدمون إلى هاهنا، ولو شاءوا لوضوا أسروج خيلهم واحدا على واحد تحت القلعة؛ فبلغت إلى ذروتها، وصعدوا عليها، فأخذوني قبضا باليد، فلم أتلش أن عنه قد تمير، وأن الله تعالى قد بدل ما به من نعمة، فقال: فالذي تريد؟ قال: أريد أن تحملي في البحر المعروف ببحر للمير إلى كرمان، فحملني في نفر يسير من عماليك إلى كرمان، ثم خرج منها إلى أطراف بلاد فارس، فأت هناك في قرية من قرى فارس، وأخيت موته، لئلا يقصده النتر، وتطلب جثته^(١).

(١) في ابن الأثير ٩ : ٣٣ فصل واث من خوارزم شاه وسيرته .

وجهة الأمر أن حاله مشبهة بملكية لم يحقق على يقين ، وبقي الناس بعد هلاكه نحو سبع سنين ينتظرونه .

ويذهب كثير منهم إلى أنه حي مستتر ؛ إلى أن ثبت عند الناس كافة أنه هلك .



فأما جرماهم فإنه لما بشى من الظفر بخوارزم شاه ، عاد من ساحل البحر إلى مازندران ، فلسكها في أسرع وقت ؛ مع حصانها وصعوبة الدخول إليها واعتناع قلاعها ؛ فإنها لم تزل محتصة على قديم الوقت ؛ حتى إن المسلمين لما ملكوا بلاد الأكاسرة من العراق إلى أقصى خراسان ، بقيت أعمال مازندران محالما تؤدى الخراج ، ولا يقدر المسلمون على دخولها ؛ إلى أيام سليمان بن عبد الملك

ولما ملكت القطار مازندران ، قتلوا فيها ونهبوا وسلبوا ، ثم سلكوا نحو الرى فصادفوا في الطريق والدة خوارزم شاه ونساءه ، ومعهم أموال بيت خوارزم شاه وذخائرهم ؛ التي ما لا يسمع بمثليها من الأعلام النفيسة ، وهن قاصدات نحو الرى ، ليمتنصن ببعض القلاع للنيمة ؛ فاستولى القطار عليهن وعلى مامن يأسره ، وسيروهن كله إلى جنكزخان بسمرقند وصمدوا صمد الرى ، وقد كان اتصل بهم أن محمد خوارزم شاه قصدها كما يتسامع الناس بالأراجيف الصحيحة والباطلة ، فوصلوها على حين غفلة من أهلها ، فلم يشمر بهم حكر الرى إلا وقد ملكوها ونهبوها ، وسبوا الحرم ، واسترقوا العلمان ، وفعلوا كل قبيح مكر فيها ، ولم يقيموا بها ، ومضوا مسرعين في طلب خوارزم شاه ، فنهبوا في طريقهم مامروا به من المدن والقرى ، وأحرقوا وخرموا ، وقتلوا الذكران والإماء ؛ ولم يبقوا على شيء ، وقصدوا نحو همدان ، فخرج إليهم رئيسها ، ومعه أموال جليلة قد جمعها من أهل همدان ؛ عتيقا وغروضا وخيلا ، وطلب منهم الأمان لأهل البلد ، فأمتنهم ، ولم يرضوا لم

النَّاجِمُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ كُفَّائِهِ مِنْ قُوَادِ الزَّيْجِ ؛ مِنْهُمْ لِلْمُهَلِّبِ ، وَفَارِقَهُ ابْنَهُ الْكَلَانِي وَسُلَيْمَانَ
ابْنَ جَامِعٍ ، فَكَانَا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ بِمَجْتَمِعِينَ ، ثُمَّ افْتَرَقَا فِي الْمَرْجَةِ ، فَصَادَفَ سُلَيْمَانَ بَنَ جَامِعٍ
قَوْمٌ مِنْ قُوَادِ الْمُوَفَّقِ ، فَعَارَبُوهُ وَهُوَ فِي جَمْعٍ كَثِيفٍ مِنَ الزَّيْجِ ، فَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ كُفَّائِهِ ،
وَعَثَّرَ بِهِ فَأَسْرَ ، وَحِيلَ إِلَى الْمُوَفَّقِ بِفِرْعَوْنٍ وَلَا تَحْدَ ، فَاسْتَبَشَرَ النَّاسُ بِأَسْرِ سُلَيْمَانَ ،
وَكَثُرَ التَّسْكِييرُ وَالضَّجِيحُ ، وَأَيُّقُنُوا بِالْفَتْحِ إِذْ كَانَ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ غَنَاءً ، وَأَسْرَ بِمَنْدِهِ إِبْرَاهِيمُ
ابْنَ جَعْفَرِ الْمُهْدَانِي ، وَكَانَ مِنْ عِظَاءِ قُوَادِهِ وَأَكْبَرِ أَمْرَاءِ جِيُوشِهِ ، وَأَسْرَ نَادِرَ الْأَسْوَدَ
لِلنُّصُوفِ بِالْخَفَّارِ ، وَهُوَ مِنْ قِدَمَاءِ قُوَادِ النَّاجِمِ ، فَأَمَرَ الْمُوَفَّقُ جَعْفَرَهُمُ بِالْحَدِيدِ ، وَنَصَّبَهُمْ فِي
شَدَاةِ لَأَبِي الْعَبَّاسِ ، وَسَمَّاهُمُ الرِّجَالَ بِالسَّلَاحِ ، وَجَدَ الْمُوَفَّقُ فِي طَلَبِ النَّاجِمِ ، وَأَمَّنَ فِي نَهْرٍ إِلَى
الْخَصِيبِ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى آخِرِهِ .

فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ ، أَنَاءَ الْبَشِيرِ بِقَتْلِ النَّاجِمِ فَلَمْ يَصْلُقْ ، فَوَافَاهُ بِشِيرٌ آخَرٌ ، وَمَعَهُ كَفٌّ
زَعَمَ أَنَّهَا كَفَّةٌ ، فَقَوَى الْخَبِيرُ عِنْدَهُ بِنَصْرِ الْقُوَّةِ ، فَلَمْ يَلِمْ أَنْ أَنَاءَ غَلَامٍ مِنْ غُلَامَانِ لَوْلُوَيْرِ كَضُ
وَمَعَهُ رَأْسُ النَّاجِمِ ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَمَرَّضَهُ الْمُوَفَّقُ عَلَى مَنْ كَانَ حَاضِرًا تِلْكَ الْحَالِ مَعَهُ مِنْ
قُوَادِ الْمُسْتَأْمِنَةِ ، فَمَرَّفُوهُ ، وَشَهِدُوا أَنْتَرَأْسَ صَاحِبِهِ ، نَغْرًا سَاجِدًا^(١) ، وَسَجَدَ ابْنُهُ أَبُو الْعَبَّاسِ ،
وَسَجَدَ الْقُوَادُ كُلُّهُمْ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى ، وَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالْهَلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ ، وَأَرْبَعُ رُفَعِ الرَّأْسِ
عَلَى قَنَاقَةٍ ، وَنَصَبَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَرَأَاهُ النَّاسُ ، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَالْمُصْجِحُ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ لَمَّا أَحْيَيْطَ بِالنَّاجِمِ ، لَمْ يَبْقَ مَعَهُ مِنْ رُؤَسَاءِ أَصْحَابِهِ
إِلَّا الْمُهَلِّبُ ، فَلَمَّا عَلِمَا أَنَّهُمَا مَقْتُولَانِ افْتَرَقَا ، فَرَفَعَ النَّاجِمُ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهِ هَذَا الْعَلَامُ وَمَعَهُ
جَمَاعَةٌ مِنْ غُلَامَانِ لَوْلُوَيْرِ ، فَتَنَاسَعَ عَنْ نَفْسِهِ بِسَيْفِهِ حَتَّى عَجَزَ عَنِ الْمَانَسَةِ ، فَأَحَاطُوا بِهِ وَضَرَبُوهُ
بِسُيُوفِهِمْ حَتَّى سَقَطَ ، وَنَزَلَ هَذَا الْعَلَامُ فَاحْتَرَّ رَأْسُهُ ، وَأَمَّا الْمُهَلِّبُ فَأَيَّاهُ قَصَدَ النَّهْرَ الْمَرْوُوفَ

(١) بِمَنْدِهِ إِلَى الطَّبْرِ : وَ عَلَى مَا أَوْلَاهُ وَأَمَلَاهُ .

بهر الأمير ، فتذف بنفسه يروم التجاة ، وقبل ذلك كان ابن الناجم وهو المعروف بأنكلافي
فارق أباه ، ومضى يوم النهر المعروف بالدياري ، مصحفاً فيه بالأذغال والآجام ، فلم يظفر
بهما ذلك اليوم ، ودلّ للوقت عليهما بعد ذلك .

وقيل له : إن معهما جمعاً من الرّنج وجماعة من جلة قوادهم ، فأرسل خطاه في طلبهما ،
وأمرهم بالتصديق عليهما ، فلما حاطت الفلان بهم أيقنوا أن لا ملجأ لهم ، وأعطوا أيديهم .
فظفر بهم الفلان ، وحلّوهم إلى للوقت ، فقتل منهم جماعة ، وأمر بالاحتياط من اللهاية
وأنكلافي بالحديد والرجال الموكلين بهما .

• • •

قال أبو جعفر : وانصرف في هذا اليوم وهو يوم السبت ، فليتين حلتان من صفر أبو أحمد
من نهر أبي الخصيب ، ورأس الناجم منصوب بين يديه على قنطرة في شدة يخرق به في
النهر ، والناس من جانبي النهر ينظرون إليه حتى وافي فجلة ، فخرج إليها ، والرأس بين
يديه ، وسليمان بن جامع والحمداني مصلوبان أحياء في شذاتين من جانبيه ، حتى وافي قصره
بالموقية . هذه رواية أبي جعفر وأكثر الناس عليهما .

• • •

وذكر المسعودي في كتاب " مروج الذهب " (١) أن الناجم ارتث ، وجرى إلى أبي أحمد
وهو حي ، فسأله إلى ابنه أبي العباس ، وأمر بتعذيبه ، فجعله كردناجا (٢) على النار وجعله
ينفخ ، ويضرق حتى هلك .

والرواية الأولى هي الصحيحة ، والذي جعل كردناجا هو قرطاس الذي رمى أباه أحمد

(١) مروج الذهب : ٤ : ١٩٥ .

(٢) الكردناج ، معناه الكباب ، أو ما يشبهه هو انظر شعرون .

وذلك في شهر رجب من سنة ثمانى عشرة وثمانائة ، ودخلوا المدينة بالسيف ، وقتلوا الناس في الدروب ، وسفل السلاح للازدحام ، واقتلوا بالسكاكين ، قتل من القرعيين عالا يحصى ، وظهر التتار على المسلمين فافنؤهم قتلا ، ولم يسل منهم إلا من كان له فقه في الأرض يستغنى فيه . ثم اتوا النار في البلد فأحرقوها ، ورحلوا إلى مدينة أردبيل وأعمال أذربيجان ، فلكوا أردبيل ، وقتلوا فيها ، فأكثروا .

ثم ساروا إلى تبريز ، وكان بها شمس الدين عثمان الطغرائى ، قد جمع كلمة أهلها بعد مفارقة صاحب أذربيجان أزيك بن البهلوان البلاد ، خوفا من التتار ، ومقامه يتقربون ، فتوهم الطغرائى قوس الناس على الاستماع ، وحذرهم عاقبة الضاغل ، وحسن البلد . فلما وصل التتار ، وراوا اجتماع كلمة المسلمين وحصانة البلد ، طلبوا منهم مالا وثيابا ، فاستقر الأمر بينهم على شئ معلوم ، فسيروهم إليهم ، فلما أخذوا مرحلوا إلى بيتقان . فقاتلهم أهلها . فلكها التتار في شهر رمضان من هذه السنة ، ووضعوا فيهم السيف حتى افنؤهم أجمعين . ثم ساروا إلى مدينة كنجة ، وهى أم بلاد آران ، وأهلها ذور شجاعة وبأس وجلد ، لمقاومتهم الكرج ، وتدريبهم بالحرب ، فلم يقدر التتار عليهم وأرسلوا إليهم يطلبون مالا وثيابا ، فأرسلوه إليهم . فاروا عنهم ، فقصدوا الكرج ، وقد أعدوا لهم ، فلما صافوهم حرب الكرج ، وأخذهم السيف ، فلم يسل إلا الشريد ، ونهبت بلادهم وأخربت ولم يؤغل التتار في بلاد الكرج ، لكثرة مضايقتها ودربنداتها^(١) ، فقصدوا دربند شروان فحصرها مدينة شماخي ، وحصنوا سورها في التلاليم ، وملكوا البلد بعد حرب شديدة ، وقتلوا فيه فأكثروا^(٢) .

(١) الدربند : الباب والممر مجسم البلدان .

(٢) ابن الأثير ٩ : ٣٤٠ .

فلما فرغوا ، أرادوا عبور الدربند ، فلم يقدموا عليه ، فأرسلوا إلى شروان شاه ملك
الدربند ، فطالبوه بإفاد رسول يسمي بيته وبينهم في الصلح ، فأرسل إليهم عشرة من
ثقائه ، تلقوا وصلوا إليهم جميعهم ، ثم قتلوا واحدا منهم بحضور الباقين ، وقالوا للتسعة : إن
أنتم هزمتونا طريقا نبر فيه فلکم الأمان ، وإلا قتلناكم كما قتلنا صاحبكم ، فقالوا لهم :
لا طريق في هذا الدربند ، ولكن نمرتكم موصفاً هو أسهل المواصلات لعبور الخليل .

وساروا بين أيديهم إليه ، فعبروا الدربند ، وتركوه وراء ظهرهم ؛ وساروا في تلك
البلاد ؛ وهي مملوءة من طرائق مختلفة منهم قتلان وأفكر وأصناف من الترك ، فنبهوها
وقتلوا الكثير من ما كنيتها ، ورحلوا إلى قلات - وهم أم كثيرة - وقد وصلهم خبرهم ،
وجمعوا وحذروا ، وانضاف إليهم جوع من قنجاك ، فقاتلهم فلم يظروا أحد المكرين
بالآخر ؛ فأرسل التتار إلى قنجاك : أنتم إخواننا ، وحبسنا واحد ، والآن ليسوا من جنسكم
لتصروهم ، ولا دينهم دينكم ، ونحن نلطفكم بالأسرى منكم ، ونحمل إليكم من المال
والثياب ما يستقر بيننا وبينكم ؛ هل أن تصرفوا إلى بلادكم .

فاستقر الأسرى بينهم على مال وثياب تحملها التتار إليهم ؛ وفارقت قنجاك القلات ،
فأوقع التتار باللات ، فقتلهم ، ونهبوا أموالهم ، وسبوا نساءهم . فلما فرغوا منهم ساروا
إلى بلاد قنجاك وهم آمنون متفرقون ، لما استقر بينهم وبين التتار من الصلح ، فلم
يشعروا بهم إلا وقد طرقتهم ، ودخلوا بلادهم ، فأوقعوا إليهم الأول فالأول ، وأخذوا
منهم أضعاف ما حملوا إليهم ؛ وجمع ما كان بعيد الدار من قنجاك بما جرى .

فقرؤا عن غير قتال ، فأبسلوا ، فبعضهم بالنباض وبعضهم بالجهال ، وبعضهم لحقوا
ببلاد الروس . وأقام التتار في بلاد قنجاك ، وهي أرض كثيرة المراعي في الشتاء ، وفيها
أيضا أماكن باردة في الصيف ، كثيرة المراعي ، وهي غياض على ساحل البحر .

ثم سارت طائفة منهم إلى بلاد الروس ؛ وهي بلاد كثيرة عظيمة ، وأهلها نصارى ؛
وذلك في سنة عشرين وستمائة . فاجتمع الروس وقبجاق عن منهم عن البلاد ؛ فلما قاربهم
التتار ، وعرفوا اجتماعهم ، رجعوا القهقري إيهاماً للروس ؛ أن ذلك عن خوفٍ وحذرٍ ؛
فجذبوا في اتباعهم ؛ ولم يزل التتار راجعين ، وأولئك يقفون آثارهم اثني عشر يوماً .
ثم رجعت التتار على الروس وقبجاق ، فاعتنوا فيهم قتلاً وأسراً ، ولم يسلم منهم
إلا القليل ، ومن سلم نزل في الراكب ، وخرج في البحر إلى الساحل الشامي ، وغرق
بعض الراكب .

وهذه الوقائع كلها تولاها القتر للخرقة ، الذين قادم جرمافون ، فأما ملكهم
الأكبر جنكزخان ، فإنه كان في هذه المدة بسمرفند ماوراء النهر ، قسم أصحابه أقساماً ؛
فبعث قسماً منهم إلى قرغانة وأعمالها ، فلكوها ، وبعث قسماً آخر إلى ترميد وما يليها
فلكوها ، وبعث قسماً آخر إلى بلخ وما يليها من أعمال خراسان

فأما بلخ ؛ فإنهم آمنوا أهلها ، ولم يعرضوا لها بنهب ولا قتل ، وجعلوا فيها شحنة^(١)
وكذلك فاريات وكثير من المدن ، إلا أنهم أخذوا أهلها ، يقاتلون بهم من يمنع عليهم ؛
حتى وصلوا إلى الطالقان ، وهي عدة بلاد ، وفيها قلعة حصينة ، وبها رجال أنجاد ، فأقاموا
على حصارها شهوراً فلم يفتحوها ، فأرسلوا إلى جنكزخان يرفقونه مجرم عنها ؛ فسار
أنفسه ، وعبر جيحون ، ومعه من الخلائق ما لا يحصى ؛ فنزل على هذه القلعة ، وبني حولها
شبة قلعة أخرى من طين وتراب وخشب وحطب ، وتصب عليها المنجنيقات ، ورمى
القلعة بها ، فلما رأى أهلها ذلك فتحوها ، وخرجوا وحملوا شحنة واحدة ، فقتل منهم من
قتل ، وسلم من سلم ، وخرج السالون فلكوا تلك الجبال والشعاب ، ناجين بأنفسهم ،
ودخل التتار القلعة ، فهبوا الأموال والأمتعة ، وسبوا النساء والأطفال

(١) الشحنة في اللغة : من يقوم فيها بالسكاية لصاحبها من جهة السلطان .

ثم سار جنكزخان جيشا عظيما مع أحد أولاده إلى مدينة مرو ، وبها ماخا ألف من المسلمين ؛ فكانت بين التتار وبينهم حروب عظيمة شديدة ، صبر فيها المسلمون ثم انهزموا ، ودخلوا البلد ، وأغلقوا أبوابه ، فحاصره التتار حصارا طويلا ، ثم أمتوا مقدم البلد ، فلما خرج إليهم في الأمان ، خلع عليه ابن جنكزخان وأكرمه ، وعاهده ألا يتعرض لأحد من أهل مرو ، ففتح الناس الأبواب فلما تمكنوا منهم استعرضوهم بالسيف عن آخرهم ، فلم يبقوا منهم بقية ، بعد أن استصفوا أرباب الأموال غنيب عذاب شديد عذبوهم به .

ثم ساروا إلى نيسابور ، ففعلوا به ما فعلوا بمرو من القتل والاستئصال ، ثم عمدوا إلى طوس ، فنهبوها وقتلوا أهلها ، وأخرجوا الشهيد الذي به علي بن موسى الرضا عليه السلام والرشيد هارون بن المهدي ، وساروا إلى حمزة فحاصروها ، ثم أمتوا أهلها ، فلما فتحوها قتلوا بعضهم ، وحملوا على الباقيين **شحنة** فقاموا على أهل حمزة على الشحنة فقتلوه ، فساد عليهم **عسكر من التتار** ، فاستعرضوهم بالسيف ، فقتلهم من آخرهم .

ثم حادرا إلى طالقان ، وبها ملكهم الأكبر جنكزخان ، فسير طائفة منهم إلى خوارزم ، وجعل فيها مقدم أصحابه وكرامهم ، لأن خوارزم حينئذ كانت مدينة الملك ، وبها عسكر كثير من الخوارزمية ، وعوام البلد معروفون بالبأس والشجاعة ، فساروا ووصلوا إليها ، فالتقى الفئتان ، واقتتلوا أشد قتال مباح به ، ودخل المسلمون البلد ، وحاصرتهم التتار خمسة أشهر ، وأرسل التتار إلى جنكزخان يطلبون المدد ، فأمدهم بجيش من جيوشه ، فلما وصل قويت منهم به وزحفوا إلى البلد زحفا متتابعا ، فلكوا طرفا منه ، وولجوا المدينة ، فقاتلهم المسلمون داخل البلد ، فلم يكن لهم به طاقة ، فلكوه وقتلوا كل من فيه ، فلما فرغوا منه وقضوا وطرحهم من القتل والهب ، فتحروا **السكّر** ^(١) الذي يمنع

(١) السكر بالسكسر : ما سد به الثهر .

ماء جيحون عن خوارزم ، قد حل للماء البلد ، ففرق كله ، وانهدمت الأبنية ، فهني بجرأ ،
ولم يسلم من أهل خوارزم أحد البتة ، فإن غيره من البلاد كان يسلم فخر يسير من أهلها ،
وأما خوارزم فن وقف ليف قتل ، ومن استغنى غرقه للماء أو أهلكتهم ، فأصبحت
خوارزم يها .



قلما فرغ القتر من هذه البلاد ، سبوا جيشاً إلى غزنة ، وبها حينئذ جلال الدين
منكبرى بن محمد خوارزم شاه مالسها ، وقد اجتمع إليه من سليم من عسكرايه وغيرهم ،
فكانوا نحو ستين ألفاً ، وكان الجيش الذي سار إليهم التتار اثني عشر ألفاً ، فالتقوا
في حدود غزنة ، وقاتلوا قتالاً شديداً ثلاثة أيام ، ثم أنزل الله النصر على المسلمين ، فانهزم
القتر وقتلهم المسلمون كيف شاءوا ، وغير الناجون منهم إلى الطالقان ، وسها جنكز خان ،
وأرسل جلال الدين إليه رسولا يطلب منه أن يمن بوضع الحرب ، فاتفقوا على أن يكون
الحرب بكابل ، فأرسل جنكز خان إليها جيشاً ، وسار جلال الدين إليها بنفسه ، وتصارفوا
هناك ، فكان الظفر للمسلمين ، وهرب التتار فالتجثوا إلى الطالقان ، وجنكز خان مقيم
بها أيضاً ، وعَمَّ للمسلمون منهم غنائم عظيمة ، فجرت بينهم فتنة عظيمة في الغنائم ، وذلك
لأن أميراً من أمراءهم اسمه بهراق ، كان قد أبلى في حرب التتار هذه ؛ جرت بينه وبين
أمير يعرف بملك خان نسيب خوارزم شاه مقابلة أفضت إلى أن فصل أخ بهراق ،
فغضب وفارق جلال الدين في ثلاثين ألفاً ، فتبعه جلال الدين واسترضاه واستمطفه ، فلم
يرجع ؛ فضئف جانب جلال الدين بذلك ، فبينما هو كذلك وصلة الخبر أن جنكز خان
قد سار إليه من الطالقان بنفسه وجنوده ، فمجز عن مقاومته ؛ وعلم أنه لا طاقة له به ، فسار
نحو بلاد الهند وعبر نهر السند ، وترك غزنة شاغرة كالقريسة للأسد ، فوصل إليها

جنگز خان فلکها ، وقتل أهلها وسب نساءها ، وأخرب القصور ، وتركها كأمس
النابر .

ثم كانت لم بعد ملك غزنة واستباحتها وقائع كثيرة مع ملوك الروم بنى قلع أرسلان
لم يوغلوا فيها ، في البلاد وإنما كانوا ينطرقونها وينهبون ممتلكاتهم منها ؛ وأذن لم ملوك
فارس وكرمان والنيز ومكران بالطاعة ، وحلوا إليهم الإتاوة ، ولم يبق في البلاد الناطقة
باللسان الأتومي بلد إلا حكم فيه سيفهم أو كتابهم ، فأكثر البلاد قتلوا أهلها ، وسبق
السيف فيهم المذل ، والباقي أدى الإتاوة إليهم رغماً ، وأعطى للطاعة صاغراً ، ورجع
جنگز خان إلى ماوراء النهر ، وتوفي هناك .

وقام بعده ابنه قاآن مقامه ، وثبت جرماعون في مكانه بأذربيجان . ولم يبق لم
إلا أصهبان ؛ فإنهم نزلوا عليها مراراً في سنة سبع وعشرين وستائة . وحاربهم أهلها . وقتل
من الفريقين مقتلة عظيمة ، ولم يلبثوا منها غرضاء حتى اختلف أهل أصهبان في سنة ثلاث
وثلاثين وستائة وهم طاققتان : حنفية وشافعية ، وبينهم حروب متصلة وعصبية ظاهرة فخرج
قوم من أصحاب الشافعية إلى من يجاورهم ويقاتلهم من ممالك التتار ؛ فقالوا لم : اقصدوا
البلد حتى نلتم إليكم ، فنقل ذلك إلى قاآن بن جنگز خان بعد وفاة أبيه ، والمك يومئذ
منوط بتدبيره ، فأرسل جيوشاً من المدينة المستجدة التي بنوها وسموها قرا حرم ؛ فمبرت
جميعون مغربة ، وانضم إليها قوم ممن أرسله جرماعون على هيئة المدد لم ، فنزلوا على
أصهبان في سنة ثلاث وثلاثين المذكورة وحاصروها ، فاختلف سيفا الشافعية والحنفية في
المدينة ، حتى قتل كثير منهم ، وفتحت أبواب المدينة ، وفتحها الشافعية على عهد بينهم وبين
التتار أن يقتلوا الحنفية ، ويعفوا عن الشافعية ؛ فلما دخلوا البلد بدأوا بالشافعية ، فقتلوا
قتلاً ذريعاً ؛ ولم يحقوا مع العهد الذي عهدوه لم ، ثم قتلوا الحنفية ، ثم قتلوا سائر الناس ،

وسَبَّوْا النِّسَاءَ ، وَشَقَّوْا بَطُونَ الْحَبَالِ ، وَنَهَبُوا الْأَمْوَالَ ، وَصَادَرُوا الْأَغْنِيَاءَ ، ثُمَّ أَضْرَمُوا النَّارَ ، فَأَحْرَقُوا أَصْحَابَانِ ، حَتَّى صَارَتْ تَلَوًّا مِنَ الرَّمَادِ .

فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ لَمْ يَبْقَ مِنْ بِلَادِ الْحِجَمِ إِلَّا وَقْدٌ دُوْخُوهُ ، صَمِدُوا نَحْوَ إِبْرَيْلَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتَّمِائَةٍ ، وَقَدْ كَانُوا طَرَقُوا هَامِرَارًا ، وَتَحَيَّفُوا بَعْضَ نَوَاحِيهَا فَلَمْ يُؤْغَلُوا فِيهَا ، وَالْأَمِيرُ الْمُرْتَبِ بِهَا يَوْمَئِذٍ بَاتِكِينَ الرُّومِ ، فَزَلَّ عَلَيْهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ مِنْهُمْ نَحْوُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ فَارِسٍ ، أَرْسَلَهُمْ جَرْمَانُونَ ، وَعَلَيْهِمْ مَقَدِّمٌ كَبِيرٌ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ يُدْرِكُ بِحِكْمَتِهِ ، فَغَادَاهَا الْقِتَالُ وَرَوَّاحِيهَا ، وَبِهَا عَكْرُ جَمٍّ مِنْ عَاكِرِ الْإِسْلَامِ ، فَقَتَلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَاسْتَظْهَرَ النَّتَارُ ، وَدَخَلُوا اللَّدِيْنَةَ ، وَحَرَّبَ النَّاسَ إِلَى الْقَلْعَةِ ، فَاجْتَصَمُوا بِهَا ، وَحَصَرَهُمُ الْقِتَارُ ، وَطَالَ الْحِصَارُ حَتَّى هَلَكَ النَّاسُ فِي الْقَلْعَةِ عَطَشًا ؛ وَطَلَبَ بَاتِكِينَ مِنْهُمْ أَنْ يَصَالِحُوهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِمَالٍ يُؤَدِيهِ إِلَيْهِمْ ؛ فَأُظْهِرُوا الْإِجَابَةَ ، فَلَمَّا أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مَا تَقَرَّرَ بِهِمْ وَبَيْنَهُمْ ، أَخَذُوا الْمَالَ وَغَدَرُوا بِهِ ، وَحَلُّوا عَلَى الْقَلْعَةِ بَعْدَ ذَلِكَ حِلَاتٍ عَظِيمَةً ، وَزَحَفُوا إِلَيْهَا زَحْفًا مُعْتَابًا ، وَحَقَّقُوا عَلَيْهَا الْمُسْتَعِينَاتِ الْكَثِيرَةَ ، وَسَرَّ لِلْمُسْتَعِينِ بِاللَّهِ الْخُلُوفَةُ جِهْرُشَهُمْ مَعَ مَمْلُوكِهِ وَخَادِمِ حَضْرَتِهِ وَأَخَصِّ مَمَالِكِهِ بِهِ شَرَفَ الدِّينِ إِنْجَالِ الشَّرَامِيِّ ؛ فَسَارُوا إِلَى تَكْرِيتَ ، فَلَمَّا عَرَفَ الْقَتَرُ شَخْصَتَهُمْ رَحَّلُوا عَنْ إِبْرَيْلَ ، بَعْدَ أَنْ قَتَلُوا مِنْهَا مَالًا يُجْمَعُ ؛ وَأَخْرَجُوهَا وَتَرَكُوهَا كَجَوْفِ حِمَارٍ ، وَعَادُوا إِلَى تَبْرِيزَ ، وَبِهَا مَقَامُ جَرْمَانُونَ ، وَقَدْ جَمَعَهَا دَارَ مُلْكِهِ .

فَلَمَّا رَحَّلُوا عَنْ إِبْرَيْلَ ، عَادَ الْمُسْكِرُ الْهِنْدَادِيُّ إِلَى بَغْدَادَ ؛ وَكَانَتْ قِتَارُ بَعْدَ ذَلِكَ نَهَضَاتٍ وَسَرَايَا كَثِيرَةً إِلَى بِلَادِ الشَّامِ ، قَتَلُوا وَسَبَّوْا فِيهَا ؛ حَتَّى انْتَهَتْ خَيْولُهُمْ إِلَى حَلَبَ ، فَأَوْقَعُوا بِهَا ، وَصَانَعَهُمْ مِنْهَا أَهْلُهَا وَسُلْطَانُهَا ، ثُمَّ صَمِدُوا إِلَى بِلَادِ كَتِّي خِيَشَرُوْهُ صَاحِبُ الرُّومِ ؛ وَفَلَكَ بَعْدَ أَنْ هَلَكَ جَرْمَانُونَ ؛ وَقَامَ عَرْضُهُ الْمَعْرُوفُ بِبَابِ إِيَسِيَجُوْ ؛ وَكَانَ

قد جمع لم ملك الروم قضيته وقضيته ، وحيث وثيقته ؛ واستكثر من الأكراد المتعربة ، ومن عساكر الشام وجند حلب ؛ فيقال : إنه جمع مائتا ألف فارس ورجال ، فلقية التتار في عشرين ألفا ، فحرت يده وبينهم حروب شديدة ، قتلوا فيها مقدّمته ، وكانت المقدمة كلها أو أكثرها من رجال حلب ، وهم أنجاد أبطال ؛ قتلوا عن آخرهم ، وانكسر المعسكر الرومي ، وعرب صاحب الروم حتى انتهى إلى قسنة له على البحر تعرف بأطاكية ، فاعتصم بها وتمزقت جموعه ، وقتل منهم عدداً يحصى ، ودخلت التتار إلى المدينة المعروفة بـ «سارّة» ، ففعلوا فيها أفاعيل منكّرة من القتل والنهب والتعريق ، وكذلك بالمدينة المعروفة بسيواس وغيرها من كبار المدن الرومية ، وتجمع لم صاحب الروم بالطاعة ، وأرسل إليهم يسألهم قبول اللال والمصانة ، فضربوا عليه ضريبة يؤدّيها إليهم كل سنة ، ورجعوا من بلاده .



وأقاموا على جهة التسكون وللراضة للبلاد الإسلامية كلها ، إلى أن دخلت سنة ثلاث وأربعين وستائة . فاتفق أن بعض أسراء بغداد وهو سليمان بن برجم ، وهو مقدّم الطائفة المعروفة بالإيواء ، وهي من التركان ، قتل شحنة من شجعهم في بعض قلاع الجبل يعرف بخليل بن بدر ، فأثار قتله أن صار من تبريز عشرة آلاف غلام منهم ، يطوون النازل ، ويسبقون خبرهم ، ومقدّمهم المعروف بمسكتاي الصغير ، فلم يشعر الناس ببغداد إلا وهم على البلد ، وذلك في شهر ربيع الآخر من هذه السنة في فصل الخريف ، وقد كان الخليفة المستعصم بالله ، أخرج عسكره إلى ظاهر سور بغداد على سبيل الاحتياط ، وكان التفرّد بهم ذلك ، إلا أن جواسيسهم فرّتهم ، وأوقعت في أذهانهم أنه ليس خارج السور إلا غيابة مضروبة وقساطيط مصروبة ، لا دجال تحتها ، وأنكم متى أشرقت عليهم ملككم سوادهم وقتلهم ، ويكون قصارى أمر قوم قليلين تمنعهم أن ينهزموا إلى البلد ، ويستصموا بجدرانها ، فأقبلت

التتر على هذا الفن، وسارت على هذا الوهم، فلما قربوا من بغداد، وشارفوا الوصول إلى
 للمسكر، أخرج للمتعمم بالله الخليفة مملوكه وقائد جيوشه شرف الدين إقبال الشرايى إلى
 ظاهر السور، وكان خروجه في ذلك اليوم من لطف الله تعالى بالمسلمين؛ فإن التتار لو وصلوا
 وهو بعد لم يخرج، لاضطرب المسكر، لأنهم كانوا يكونون بغير قائد ولا زعيم، بل كل
 واحد منهم أمير نفسه، وآراؤه مختلفة، لا يجمعهم رأى واحد، ولا يحكم عليها حاكم
 واحد، فكانوا في مظنة الاختلاف والتفرق، والاضطراب والتشتت، فكان خروج
 شرف الدين إقبال الشرايى في اليوم السادس عشر من هذا الشهر المذكور، ووصلت التتر
 إلى سور البلد في اليوم السابع عشر، موقفوا بإزاء حاكم بغداد صفًا واحدًا، وترتب
 المسكر البغدادى ترتيبًا متظامًا؛ ورأى التتر من كثرتهم وجودة سلاحهم وعددهم وخيولهم،
 ما لم يكونوا يظنون، ولا يحسبون، واسكشف ذلك الوهم الذى أوهمهم جواسيسهم عن
 الفساد والبطلان.

وكان مدير أمر الدولة والوزارة في هذا الوقت، هو الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد بن
 العلقمى، ولم يحضر الحرب، بل كان ملازمًا دايوان الخلافة بالحضرة؛ لكنه كان يمدد
 المسكر الإسلامى من آرائه وتدابيره بما ينتهون إليه ويقفون عنده، فحلت التتار على
 عسكر بغداد حلات متتابعة، ظنوا أن واحدة منها تهزمهم، لأنهم قد اعتادوا أنه لا يقف
 عسكر من الصاكر بين أيديهم، وأن العرب والخوف منهم يكفى وينفى عن مباشرتهم
 الحرب بأنفسهم، فثبت لهم عسكر بغداد أحسن ثبوت، ورشقهم بالسهم، ورشقت التتار
 أيضا بسهامها، وأنزل الله سكينته على عسكر بغداد، وأنزل بهد السكينة نصره، فإزال
 المسكر البغدادى تظهر عليه أمارات القوة، وتظهر على التتار أمارات الضعف
 والخذلان إلى أن حَبَزَ القَيْلُ بين الفريقين، ولم يصطدم الفيلقان وإنما

كانت مناوشاتٌ وحملاتٌ خفيفة لا تقتضي الاتصال والمواجهة ، ورشقٌ بالنشاب شديد .
فلما أظلم الليل ، أوقد القنار نيراناً عظيمة ؛ وأرهموا أنهم مقيمون عندها ، ولرتموها
في الليل راجعين إلى جهة بلادهم ، فأصبح المسكر البغدادي ، فلم ير منهم شيئاً ولا
أثراً ، ومازالوا يطوؤون المنازل ، ويقطعون القرى عابدين حتى دخلوا الكربلاء ،
ولحقوا ببلادهم .

• • •

وكان ما جرى من دلائل النبوة ، لأن الرسول صلى الله عليه وآله وعد هذه الأمة
بالظهور والبقاء إلى يوم القيامة ، ولو حدثت على بغداد منهم حادثة ، كما جرى على غيرها
من البلاد ، لاهضت ملة الإسلام ، ولم يبق لها بقية .
والى أن يلتفت من هذا الشرح إلى هذا الموضع ، لم يذعر العراق منهم ذاعر بعد
تلك التوبة التي قدمنا ذكرها .

• • •

قلت : وقد لاح لي من غوى كلام أمير المؤمنين عليه السلام أنه لا بأس على بغداد
والعراق منهم ، وأن الله تعالى يكفي هذه الملكة شرهم ، ويرد عنها كيدهم ، وذلك
من قوه عليه السلام : « ويكون هناك استعرار قتل » ، فأتى بالكاف ، وهي إذا
وقعت غيب الإشارة أفادت البعد ، تقول قفر ب : هنا ، وللميد هناك ، وهذا منصوص
عليه في العربية ؛ ولو كان لم استعرار قتل في العراق لما قال : « هناك » بل كان يقول :
« هنا » ، لأنه عليه السلام خطب بهذه الخطبة في البصرة ؛ ومعلوم أن البصرة وبغداد شيء
واحد وبلد واحد ؛ لأنهما جميعاً من إقليم العراق ؛ وملكهما ملك واحد ، فيلحق هذا
الموضع ، فإنه لطيف .

• • •

وكتبت إلى مؤيد الدين الوزير عقيب هذه الواقعة التي نصر فيها الإسلام ، ورجع
التمر محذولين ناكسين على أعقابهم أيانا أنسب إليه الفتح ، وأشير إلى أنه هو الذي
قام بذلك وإن لم يكن حاضرا له بنفسه ؛ واعتذر إليه عن الإغياب بمديحه ؛ فقد كانت
الشواغل والقواطع تصدّ عن الانخراط في ذلك :

أَبَقْنَا اللَّهُ الْوَزِيرَ وَحَاطَهُ بَكْتَابِرٍ مِنْ نَصْرِهِ وَمَقَانِبِ^(١)
وَامَعَدَّ وَارْفُ ظِلَّهُ لِعَزِيْهِ وَصَفَتْ مَتُونُ غَدِيرِهِ لِلشَّارِبِ
يَا كَالِي الْإِسْلَامِ إِذْ نَزَلَتْ بِهِ فَرغَاهُ تَشَقُّقٌ بِالتَّجَمُّعِ السَّالِبِ^(٢)
فِي خُطْبَةٍ بَهَاءٍ دِيْنُومِيَّةٍ لَا يَهْدِي فِيهَا السُّلَيْكُ لِلْأَحْبِ^(٣)
لَا يَمْتَلِئُ سِلَاحُهَا مَرْهُومَةً لِلْكَائِبِ جَلَسٌ لَا تَدْرُ لِمَا صَبِرَ
فَرَجَتْ غُرَّتُهَا بِظُلْمٍ ثَابِتٍ فِي حِمَا ذَعْرِي وَرَأَى تَائِبِ
مَا عِبَتْ ذَاكَ الْيَوْمَ عَنْ تَدْيِيرِهَا كَمْ حَاضِرٍ يُقْصَى بِسَيْفِ الْعَائِبِ
عُمَرُ الَّذِي فَخَّعَ الْعِرَاقَ وَإِنَّمَا سَعَدُ حَسَامٌ فِي يَمِينِ الْقَضَائِبِ^(٤)
أَتَيْتُ مَلِكُ ثَنَاءٍ غَسِيرٍ مَوَارِبِ وَأَجِيدُ فَيْكُ اللَّدَحِ غَيْرِ مَرَاقِبِ
وَأَنَا الَّذِي يَهْوَاكَ حُبًّا صَادِقًا مُضَادِمًا ، وَلَرَبِّ حُبِّ كَاذِبِ
حُبًّا مَلَأَتْ بِهِ شُعَابَ جَوَانِمِي يَفْعًا ، وَهَذَا أَنَا ذُو عِذَارِ شَائِبِ

(١) المقاب : جمع مقب : الجماعة من الجبل ما بين الثلاثين إلى الأربعين .

(٢) القرغاه : الطلعة الواسعة .

(٣) البهاء : التي لا يهتدى فيها ، والدينومية : مسبوكة إلى الديعوم وهو القلاة أيضاً . والسلوك أحد
لصوم العرب وذا كهو واللاحب : الطريق الواضح .

(٤) هو عمر بن الخطاب ؛ دعت العراق في عهده ؛ وسعد بن أبي وقاص قائد المسلمين يوم القادسية .

إِنَّ الْقَرِيبَ وَإِنْ أَغْبَ مَعْتَمِدٌ بَلَا ، وَرَبِّ مَجَانِبٍ كَوَاطِبِ
 وَلَقَدْ يَخَالِصُكَ الْقَمِيُّ وَرَبُّنَا يُنْتَقَى بَوْدَ مِمَاقِ مَتَارِبِ
 سَدَّتْ مَسَالِكَهُ هُمُومٌ جَمَعَتْ الْفِكْرَ حَتَّى لَا يَبْقَى لِحَالِبِ
 وَمَنْ الْعَنَاءُ مَغْلَبٌ فِي حَقِّهِ بَيْنَ مَغَالِبَةِ الْقَضَاءِ الْغَالِبِ
 وَهِيَ طَوِيلَةٌ ؛ وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا مِنْهَا مَا لَحِظْتُهُ الْحَالِ .

(١٢٩)

الأصل :

ومن خطبة له عليه السلام في ذكر المكايل والموازن :

يَا أَيُّهَا اللَّهُ ، إِنَّكُمْ وَمَا تَأْمَلُونَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا أَثَوِيَاءُ مُوَجِّلُونَ ، وَتَدِيرُونَ
مُقْتَضُونَ ، أَجَلٌ مُنْقُوصٌ ، وَعَمَلٌ مَحْضُوطٌ ، قَرِيبٌ دَائِبٌ مُضْهِجٌ ، وَرُبُّ كَادِحٍ خَائِرٌ ؛
وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنِ لَا يَزْدَادُ أَنْظَرُ فِيهِ إِلَّا إِذْ بَارَأَ ، وَالشَّرُّ إِلَّا إِيَّالَا ، وَالشَّيْطَانُ
فِي هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا لَعْنًا ؛ فَهَذَا أَوَّلُ قَوِيَّتِ حُدُثِهِ ، وَنَعْتِ مَكِيدَتِهِ ،
وَأَمَكَّتِ قَرِيبَتُهُ .

أَضْرِبْ بِطَرَفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ ؛ فَيَلَّ تَبْصِيرٌ إِلَّا قَلِيلًا يُكَادِي فَقْرًا ،
أَوْ غِنًى بِذَلِّ نِسَةِ اللَّهِ كُفْرًا ، أَوْ بَحِيلًا أَخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفَرًا ، أَوْ مُقَمَّرًا كَانَ
يَأْذِيهِ عَنْ سَمْعِ اللِّوَاعِظِ وَفَرًا !

أَيْنَ أَخْيَارُكُمْ وَصَلَحَاءُكُمْ ، وَأَيْنَ أَسْرَارُكُمْ وَصَمْعَاءُكُمْ ، وَأَيْنَ لِلتَّوَرُّعُونَ فِي
مَكَاسِبِهِمْ ، وَلِلتَّزَهُوْنَ فِي مَذَاهِبِهِمْ ؛ أَلَيْسَ قَدْ ظَلَمْتُمْ جَمِيعًا مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّيْنِيَّةِ ،
وَالْعَاجِلَةِ لِلنَّفْسَةِ !

وَعَلَّ خُلَفَاؤُكُمْ إِلَّا فِي حُلَاةٍ لَا تُلْتَقِي بِذَمِّهِمُ الشَّقَقَانِ ؛ أَسْتِغْنَارًا لِقَدَرِهِمْ ، وَذَهَابًا
عَنْ ذِكْرِهِمْ ! فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ !

ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلَا مُفَكِّرَ مُعَيَّرٍ ، وَلَا زَاجِرَ مُزْدَجِرٍ . أَفَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا
اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ مِنْهُ ؛ هَيْهَاتَ لَا يُخَدِّعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ ،
وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ .

لَقَدْ أَتَى الْمَرِيضَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ، وَالنَّاهِينَ مِنَ النَّسْكِ الْعَامِلِينَ بِهِ !

الشرح :

أثواء : جمع ثوى ؛ وهو الضيف، كقوى وأثواء. ومؤجلون : مؤخرون إلى أجل، أى وقت معلوم .

ومديونون : مقرضون ؛ دنت الرجل أقرضته ؛ فهو مدين ومديون، ودنت أيضا، إذا استقرضت، وصار على دين ؛ فإذا دائن ، وأشد :

ندين ويقضى الله عتاً ، وقد ترى مصارع قوم لا يدينون ضيماً^(١) ومقتضون : جمع مفتضى ، أى مطالب بأداء الدين ؛ كمرتضون جمع مرتضى ، ومصطفون جمع مصطفى .

وقوله : « أجل مقوص » ، أى عمر ، وقد جاء عنهم : أطال الله أجلك ، أى عمرك وبقائك . والمذائب : المجهود ذو الجذ والتعب . والكادح : الساعى .

ومثل قوله : « قرب دائب مضيع » ، رتب كادح خاسر ، قول الشاعر :

إِذَا لَمْ يَكُنْ هَوْنٌ مِنْ اللَّهِ لَفَتَى فَأَكْثَرَ مَا يَحْيِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ

ومثله :

إِذَا لَمْ يَكُنْ هَوْنٌ مِنْ اللَّهِ لَفَتَى أَنْتَهُ الرَّزَايَا مِنْ وَجْهِ الْفَوَائِدِ

وهو كثير ؛ والأصل فيه قوله تعالى : (وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ • عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ •

تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً)^(٢) ويروى : « قرب دائب مضيع » ، بغير تشديد .

(١) اللسان ١٧ : ٢٦ ؛ ولسه الجبر اللولى .

(٢) سورة الناصبة ٢ - ٤

وقوله : « وأمكنتُ فريسته » ، أى وأمكنته ؛ لحذف للفعول .

وقوله : « فاضرب بطرفك » لفظة نصيحة ، وقد أخذها الشاعر فقال :

فاضربْ بطرفك حيث شئت فلن ترى إلا بخيلاً

والوفر : لئال الكثير ؛ أى بخيل ولم يؤد حق لله سبحانه ، فكثر ماله .

والموقر ، بفتح الواو : الثقل فى الأذن . وروى « للنفعة » ، بفتح النين .

الخطبة : الساقط الردى من كل شئ .

وقوله : « لاتلتقى بذمتهم الشفتان » ، أى يأنف الإنسان أن يذمتهم ؛ لأنه لا بد فى

الذم من إطلاق إحدى الشفتين على الأخرى ، وكذلك فى كل الكلام .

وذهابا عن ذكركم ، أى ترفقا ، يقال : فلان يذهب بنفسه عن كذا ، أى يرفقها .

ولا زاجر مزدجر ، أى ليس فى الناس من يكره عن القبيح ويبرجر هو عنه .

ودار القدس : هى الجنة . ولا يندفع الله عنها ، لأنه لا تخفى عليه خافية ؛ ولا يجوز

عليه التفات والتعوي . ثم لعن الأمر بالمعروف ولا يفعله ، والناهي عن المنكر ويرتكبه ؛

وهذا من قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْهَوْنَ عَنْكَ ﴾ .

ولست أرى فى هذه الخطبة ذكراً للموازن والكامل ؛ الذى أشار إليها الرضى رحمه

الله ؛ اللهم إلا أن يكون قوله عليه السلام : « وأين للثورحون فى مكاسبهم » ، أو قوله :

« ظهر الفساد » ، ودلالتهما على للموازن والكامل بعيدة .

• • •

[نبذ من أقوال الحكماء والصالحين]

واعلم أن هذه الخطبة قد اشتملت على كلام نصيح ، وموعظة بالغة من ذكر الدنيا

وذكر أهلها ؛ ونحن نذكر كلمات وردت عن الحكماء والصالحين تناسبها ؛ على ما دوننا في إيراد الأشباه والنظائر .

قال بعض الصالحين : ما أدرى كيف أحجب من الدنيا ! أين حسن منظرها وقبح تحجيرها ، أم من ذم الناس لها ، وتناحرهم عليها !

قيل لبعضهم : كيف أصبحت ؟ قال : آسفًا على أمسي ، كارها ليومي ، منهيًا لندي .
قيل لأعرابي : كيف ترى الدهر ؟ قال : خدوها خلويًا ، وثوبًا غلويًا .

قيل لصوفي : لم تركت الدنيا ؟ قال : لأنني مُنِيتُ صفوها ، وامتنمتُ من كدرها .
وقيل لآخر : لم تركت الدنيا ؟ قال : لأنني علمت الوسيلة إليها إلا بشقها ، وأعشق ما أكون لها أغدرُ ما تكون بي . وأشد ليشر الحلق :

فريق العين لا ولد يموت	ولا حذر يبادر ما يموت
رخي الهال ليس له عيال	خلق من حرمتهم من دهمت
فنى وطر الصبا وأفاد حلا	فنايه التفرد والشكوت
وأكبر همه بما عليه	تذامع من ترى خلق وقوت

قال أبو حيان : سمعت ابن القصاب الصوفي ، يقول : اسمع واسكت ، وانظر واحجب ،

قال ابن المعتز :

ملّ مقام عوده	وخان دمي مُسيدة
وضاع من ليل غده	طوى ليلين تجسده
قلت من المهر يده	بقي ويبقى أبده
والموت ضار أسده	وقاتل من يله

ومن الشعر القديم المختلف في قائله :

قَصْرُ الجَدِيدِ إِلَى يَلَى والوصل في الدنيا انقطاعه
أَيَّ اجْتِمَاعٍ لَمْ يُسَدَّ بفرقني منها اجتماعه
أَمْ أَيْ شَعْبٍ ذِي الشَّامِ لَمْ يَبْدُءْهُ انْصِدَاعُهُ
أَمْ أَيْ مُتَفَنَّعٍ بِشَىءٍ ثم تم له انقضاءه
بَابُوسٍ الدَّهْرُ الَّذِي مازال مختلفاً طباغته
قَدْ قِيلَ فِي مَثَلٍ خَلَا : « بِكَفِّكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ »

قيل لصوفي : كيف ترى الدنيا ؟ قال : وما الدنيا ؟ لا أعرف لها وجوداً ؛ قيل له :
فأين قلبك ؟ قال : عند ربي ، قيل : فأين ربك ؟ قال : وأين ليس هو !

قال ابن عائشة : كان يقال إن مجالسة أهل الديانة تملأ عن القلوب صدأ الذنوب ،
ومجالسة ذوي اللوآات تدل على مكارم الأخلاق ؛ ومجالسة العلماء تزكي النفوس .

ومن كلام بعض الحكماء الفصحاء : كن لنفسك نصيحاً ، واستقبل توبة نصوحاً ،
وازهّد في دار ممّتها ناعم ، وطائرها واقع ؛ وارغب في دار طالبها مُنْجِع ، وصاحبها مفلح .
ومنى حققت وآثرت الصدق ، فإن لك أهما لا يمتنعان ، وأنها كالضدين لا يصطلحان ؛
فجرّد قلبك في تحصيل الباقية ؛ فإن الأخرى أنت فإن عنها وهي فانية عنك ؛ وقد هرفت
آثارها في أصحابها ورفقائها ، وصنّعها بطلانها وعشقائها معرفة حيان ؛ فأى حجة تبقى لك ،
وأى حجة لا تثبت عليك !

ومن كلام هذا الحكميم : فإنّا قد أصبحنا في دار رابحها خاسر ، ونائلها قاصر ،
وعزيزها ذليل ، وصحيحها عليل ، والداخل إليها مخرج ؛ والمطلّ من فيها مزعج ؛ والذائق
من شرايبها سكران ، والواثق بسرّائها ظان ؛ ظاهرها خور ، وباطنها شرور ، وطالبها

مكذوب، وما شقها بمجهود، وتاركها محمودة. المائل من قلاها وتلا عنها؛ والغريف من عافها وأيف منها، والسعيد من غمض بصره عن زهرتها؛ ومصرفه عن نصرتها؛ وليس لها فضيلة إلا دلالتها على نفسها، وإشارتها إلى قصصها؛ ولعمري إنها لفضية لو صادفت قلباً عقولاً، لا لساناً قوولاً، وعملًا مقبولاً، لا لفظاً مقبولاً؛ فإلى الله الشكوى من هوى مطاع، وحر مضاع أفيئده الهداء والمداواة؛ والمرض والشفاء.

قال أبو حمزة: أنبأ بكر بن عبد الله للرّى نموده، فدخلنا عليه وقد قام لحاجته، فجلسنا ننظره، فأقبل إلينا يتهاذى بين رجلين؛ فلما نظر إلينا سلم علينا؛ ثم قال: رحم الله عبداً أعطى قوةً فضيل بها في طاعة الله، أو قصر به ضعف فكفت عن محارم الله.

وقال بكر بن عبد الله: مثل الرجل في الدنيا مثل رجل له ثلاثة حلان؛ قال له أحدهم: أما خازنك خذ مني ما شئت؛ فأعمل به ما شئت؛ وقال الآخر: أنا معك أحبك وأضعك؛ فإذا مت تركتك؛ وقال الآخر: أنا أحبك أبداً؛ حياتك وموتك. فأما الأول فإله؛ وأما الثاني فشيرته، وأما الثالث فعبده.

قيل للزهري: من الزاهد في الدنيا؟ قال: من لم يمنع الحلال شكره، ومن لم يمنع الحرام صبره.

وقال سفيان الثوري: ما عبد الله بمثل القمل، ولا يكون الرجل عاقلاً حتى تكون فيه عشر خصال: يكون الكثير منه مأموناً، والخير منه مأمولاً، يتقدي بمن قبله، ويكون إماماً لمن بعده؛ وحتى يكون القل في طاعة الله أحب إليه من العز في معصية الله؛ وحتى يكون الفقر في الحلال، أحب إليه من العنى في الحرام، وحتى يكون عيشة القوت، وحتى يضل الكثير من عمله، ويستكثر القليل من عمل غيره؛ وحتى لا يشترم بطلب الخواص

قبله ، والعاشرة وما العاشرة إليها شاذ مجده ، وعلا ذكره ؛ أن يخرج من بيته فلا يستقبله أحد من الناس إلا رأى أنه دونه .

قال يونس بن حبيب : كان عددا بالبصرة جندي مابدا ، فأحب الفزو ، فلما خرج شتمته ، قتل : أوصني ؛ فقال : أوصيك بتقوى الله ، وأوصيك بالقرآن ، فإنه نور الليل المظلم ، وهدي النهار الشرف ؛ فاعمل به على ما كان من جهد وفاقة ، فإن عرض بلاء تقدم مالك دون نفسك ، فإن تجاوز البلاء تقدم مالك ونفسك دون دينك . واعلم أن المحروب من حرب دينه ، وللشوب من سلب يقينه . إنه لا غنى مع النار ، ولا فقر مع الجنة ، وإن جهنم لا يهلك أسيرها ، ولا يستغنى فقيرها .

ابن المبارك ، كان قيا مضى جبار يقتل الناس على أكل لحوم الخنازير ، فلم يزل الأمر يترقى حتى بلغ إلى مابدا مشهور ، فأرادته على أكلها ، وهدده بالقتل ، فشق ذلك على الناس . فقال له صاحب شرطته : إني ذابح لك هذا جدي ، فإذا دعاك هذا الجبار لتأكل ، فكل . فإنيما هو جدي ؛ فلما دعاه لتأكل أبى أن يأكل ، فقال : أخرجوه واضربوا عنقه . فقال له الشرطي : ما منعك أن تأكل من لحم جدي ؟ قال : إني رجل منظور إلى ، وإني كرهت أن يأكلني بي الناس في محاسن الله . تقدمه قتله .

سفيان الثوري ، كان رجل يبكي كثيرا ، فقال له أهله : لو قتلته قهلا ثم أتيت ولته فراك تبكي هذا البكاء لعا عنك ؛ فقال : قد قتلته نفسي ، فلمل ولبيها يعنو عني . وكان أيوب السخيتي كثيرا البكاء ؛ وكان يخالط الناس من بكائه ؛ يبكي مرة فبأخذ أخاه ، ويقول : الزكاة ربما عرضت لي ، ويبكي مرة فإذا استبان من حوله بكاءه ؛ قال : إن للشيخ إذا كبر معج^(١) .

(١) المأج : من يسيل لعابه كثيرا وحرما .

ومن كلام أبي حيان التوحيدى فى " البصائر " : ما أقول فى عالم الساكن فيه وجيل ،
والصاحى بين أهله كميل ، والقيم على ذنوبه خجيل ، والراحل عنه مع ثماديه عجيل . وإن
داراً هذه من آفاتنا ومروفتها لمحقوفة بهجرانها وتركها ، والشدوف منها خاصة ؛ ولا سبيل
لساكنها إلى دار القرار إلا بالزهد فيها ، والرضا بالظنيف منها ، كبُلغة النأوى ،
وزاد المنطلق .

(١٣٠)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام لأبي ذر رحمه الله لما أخرج إلى الرُبْدَة :

يا أبا ذر ! إِنَّكَ غَضِبْتَ فِيَّ فَأَرْجُ مِنْ غَضَبِكَ لَهُ . إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ
وَخَفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ ، فَأَتْرُكُ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ ؛ وَاهْرَبُ مِنْهُمْ عَمَّا خَفْتَهُمْ
عَلَيْهِ ؛ فَمَا أَخَوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ ؛ وَأَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ ؛
وَسَقَلَمُ مِنَ الرَّابِعِ غَدَاً ، وَالْأَسْكَرُ حَسْبًا ؛ وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ كَانَتَا عَلَى
عَبْدٍ رَتَقًا ؛ ثُمَّ أَتَى اللَّهَ ، لَجَلَّ اللَّهُ لَهُ مِنْهَا شَرَحًا .
لَا يُؤَيِّسُكَ إِلَّا الْخَلْقُ ؛ وَلَا يُؤَسِّسُكَ إِلَّا السَّاطِلُ ، فَلَوْ قِيلَتْ دُنْيَاهُمْ لِأَحَدٍ ،
وَلَوْ قَرَضَتْ مِنْهَا لَأَمْنُوكَ .

•••

الشرح :

[أخبار أبي ذر الغفاري حين خروجه إلى الرُبْدَة]

واقعة أبي ذر رحمه الله وإخراجه إلى الرُبْدَة ، أحد الأحداث التي نُقِيتْ على
عنان ؛ وقد روى هذا الكلام أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب
" السقيفة " عن عبد الرزاق ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال :
لما أخرج أبو ذر إلى الرُبْدَة ، أمر عثمان ، فنودي في الناس : ألا بُكِّم أحدٌ أبا ذر
ولا بشيء . وأمر مزوان بن الحكم أن يهرج به . فخرج به ؛ ونحماه الناس إلا على

ابن أبي طالب عليه السلام وعقيلاً أخاه ، وحسناً وحسيناً عليهما السلام ، ومهاراً ، فإنهم خرجوا معه يشتمونه ، فجعل الحسن عليه السلام يكلم أبا ذر ، فقال له مروان : يا هذا يا حسن ! ألا تعلم أن أمير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا الرجل ! فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك ! فجعل علي عليه السلام على مروان ، فضرب بالسوط بين أذني راحته ، وقال : تنح لحاك الله إلى النار !

فرجع مروان منضجاً إلى هثان ! فأخبره الخبر ، فلفظ علي عليه السلام ، ووقف أبو ذر فودعه القوم ! ومعه ذكوان مولى أم هاني بنت أبي طالب .

قال ذكوان : فحفظت كلام القوم - وكان حافظاً - فقال علي عليه السلام : يا أبا ذر ، إنك غضبت لله ! إن القوم خافوك على دينهم ! وخشيتهم على دينك . فامتنعوك بالليل ، ونفوك إلى العلا ، والله لو كانت السموات والأرض على حديد رتقا ، ثم اتقى الله لجل له منها مخرجاً . يا أبا ذر لا يؤنسك إلا الحق ، ولا يوحشيك إلا الباطل . ثم قال لأصحابه : ودعوا محكم ، وقال لعقيل : ودع أخاك .

فكلم عقيل ، فقال : ماضى أن تقول يا أبا ذر ، وأنت تعلم أنا محبك ، وأنت محبنا ! فاتق الله ، فإن التقوى نعمة ، واصبر فإن الصبر كرم . واعلم أن استنقاذك الصبر من الجزع ، واستبطائك العافية من اليأس ، فدع اليأس والجزع .

ثم تكلم الحسن ، فقال : يا عماء ! لولا أنه لا ينبغي للودع أن يسكت ، وللمشيع أن ينصرف ، لقصر الكلام وإن طال الأسف ، وقد أتى القوم إليك ماري ! فضع عنك الدنيا بتذكر فراغها ، وشدة ما اشتد منها برجاء ما سدها ، واصبر حتى تلقى نبيك صلى الله عليه وآله وهو عندك راضٍ .

ثم تكلم الحسين عليه السلام ، فقال : يا عماء ، إن الله تعالى قادر أن يغير ما قذرتي !

والله كل يوم هو في شأن ؛ وقد منعك القوم دنياهم ، ومنعتهم دينك ؛ لما أخذك عما
منعوك ، وأحوجهم إلى ما منعهم ! فاسأل الله العبر والنصر ؛ واستعذبه من الجشع والجزع ،
فإن العبر من الدين والكرم ؛ وإن الجشع لا يقدم رزقا ، والجزع لا يؤخر أجلا .

ثم تكلم عمار رحمه الله منقبا ، فقال : لا آس الله من أوحشك ، ولا آمن من
أخافك ؛ أما والله لو أردت دنياهم لأتوكل ؛ ولو رزيت أعمالهم لأحبوك ؛ وما منع الناس
أن يقولوا بقولك إلا الرضا بالله بما هو الجزع من اللوث . مالوا إلى ماسلطان جماعتهم عليه ،
ولذلك لمن غلب ، فهو هو الم دينهم ، ومنعهم القوم دنياهم ؛ ففسرُوا الدنيا والآخرة ،
إلا ذلك هو الخسران للبين !

فبكى أبو ذر رحمه الله - وكان شيخا كبيرا - وقال : رحمك الله يا أهل بيت الرحمة !
إذا رأيتمكم ذكرتُ بكم رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ مالى بالدينة سكن ولا شجن
غيركم ؛ إني قتلت على عثمان بالحجاز ، كما قتلت على معاوية بالشام ، وكره أن أجاور
أخاه وابن خاله بالمصريين ، فأسد الناس عليهما ؛ فسيرني إلى بغير ليس لي به ناصر ولا دافع
إلا الله ، والله ما أريد إلا الله صاحبا ، وما أخشى مع الله وحشة .

ورجع القوم إلى المدينة ؛ فبجاء على عليه السلام إلى عثمان ، فقال له : ما حملك على رد
رسولي ، وتصغير أمري ؟ فقال على عليه السلام : أما رسولك ، فأراد أن يرد وجهي
فرددته ، وأما أمرك فلم أصغره .

قال : أما بلغك نهى من كلام أبي ذر ؟ قال : أو كلما أمرت بأمر ممصية أظعنك
فيه ؟ قال عثمان : أقد مروان من نفسك ، قال : ثم ؟ قال : من شتمه وجذب راحلته ،
قال : أما راحلته فراحلتى بها ، وأما شتمه إياي ؛ فوالله لا يشعني شتمه إلا شتمك
مثلها ؛ لا أكذب عليك .

فغضب عثمان ؛ وقال : لم لا يشتبك ! كأنك خير منه ! قال علي : إني والله ومثلك ! ثم قام فخرج .

فأرسل عثمان إلى وجوه المهاجرين والأنصار وإلى بني أمية ، يشكو إليهم علياً عليه السلام ، فقال القوم : أنت الوالي عليه ، وإصلاحه أجل . قال : وددت ذلك ؛ فأتوا علياً عليه السلام ، فقالوا : لو اعتذرت إلى مروان وأنته اقال : كلا ؛ أما مروان فلا آتية ولا اعتذر منه ، ولكن إن أحب عثمان أتيته .

فرجعوا إلى عثمان ، فأخبروه ، فأرسل عثمان إليه ، فأتاه ومعه بنو هاشم ، فحكّم علي عليه السلام ، فحيد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما ما وجدت علي فيه من كلام أبي ذر ووداعه ، فوالله ما أردت ساءتك ولا اختلاف عليك ؛ ولكن أردت به قضاء حقه . وأما مروان فإنه اعترض ، يريد ردّي من قضاء حق الله عز وجل ، فرددته ردّاً مثلي منه ، وأما ما كان مني إليك ، فإليك أغضبتني ، فأخرج الغضب مني ما لم أريد . فحكّم عثمان ، فحيد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما ما كان منك إلى فقد وهبته لك ، وأما ما كان منك إلى مروان ، فقد عفا الله عنك ، وأما ما حلفت عليه فانت البرّ الصادق ، فأذن يدك ، فأخذ يده فوضها إلى صدره .

فلما نهض قالت قريش وجو أمية لمروان : أنت رجل أجبتك علي ، وضرب راحلتك ، وقد تقاتت وأسل في خرّع ناقة ، وذبيان وعبس في لظمة فرس ، والأوس والخزرج في نسة ! أفحصل لعل عليه السلام ما أتاه إليك ! فقال مروان : والله لو أردت ذلك لما قدرت عليه .

• • •

واعلم أن الذي عليه أكرّ أرباب السيرة وعلماء الأخبار والتفصيل ، أن عثمان نفي

أما ذرّ أولاً إلى الشام ، ثم استقدمه إلى المدينة لما شكّا منه معاوية ؛ ثم ناه من اللذبة إلى الرّبة لئلا عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام .

أصل هذه الواقعة ، أنّ عثمان لما أعطى مروان بن الحكم وغيره بيوت الأموال ، واخصّ زيد بن ثابت بشيء منها ، جعل أبو ذرّ يقول بين الناس وفي الطرقات والشوارع : بشر الكافرين بمذاب اليم ، ويرفع بذلك صوته ، ويحلو قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ آيَاتِنَا وَالْفَيْضَةَ وَلَا يُنْفِقُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَبَشْرُهُمْ نَذَابِ اليم ﴾ ، فرُفِع ذلك إلى عثمان مراراً وهو ساكت .

ثم إنه أرسل إليهم مولى من مواليه : إن أنتم تحا بلغي عنك ، فقال أبو ذرّ : أؤينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله تعالى ، وعيب من ترك أمر الله تعالى ؟ فوالله لأن أرضى الله بسخط عثمان أحب إليّ وخير لي من أن أسخط الله برضا عثمان .

فأغضب عثمان ذلك وأحفظه ، فصار يومئذ ، إلى أن قال عثمان يوماً للناس حوله : أيجوز للإمام أن يأخذ من المال شيئاً قرصاً ، فإذا أيسرّ قضى ؟ فقال كعب الأحبار : لا بأس بذلك ، فقال أبو ذرّ : يا ابن اليهوديين ، أنطمنّا ديننا !

فقال عثمان : قد كثر أذاك لي وتولمت بأصحابي ، الحق بالشام . فأخرجه إليها .

فكان أبو ذرّ ينكر على معاوية أشياء يفعلها ، فبعث إليه معاوية يوماً ثلاثمائة دينار ، فقال أبو ذرّ لرسوله : إن كانت من عطائي الذي حرّمتمونيها طمى هذا أقبليها ، وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها ، وردّها عليه .

ثم بنى معاوية الخضراء بدمشق ، فقال أبو ذرّ : يا معاوية ، إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة ؛ وإن كانت من مالك فهي الإسراف . وكان أبو ذرّ يقول بالشام : والله لقد حدثت أعمالاً ما أعرفها ، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ،

والله انى لأرى حقاً يُطغى ، وباطلاً يحيا ، وصادقاً مكذّباً ، وأثرةً بغير تقى ، وصالحاً مستأثراً عليه .

قال حبيب بن مسلمة القيصرى لمعاوية : إن أبا ذر لمفيد عليكم الشام ؛ فندارك أهلك إن كان لك فيه حاجة .

• • •

وروى شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب " السفهانية " عن جلام بن جندل الفيفارى ، قال : كنت غلاماً لمعاوية على قنشرين والمواصم ، في خلافة عثمان ، فبُعث إليه يوماً أسأله عن حال على ؛ إذ سمعت صارحاً على باب داره يقول : أتتكم القطار تحمل النار ! اللهم العن الأمرين بالمعروف ، التاركين . اللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين . فآزبأت معاوية وتغير لونه وقال : يا جلام أنعرف الصارخ ! فقلت : اللهم لا . قال : من عذيرى من جندب بن جنادة ! يأتينا كل يوم فيصرخ على باب قصر ما بما سمعت ! ثم قال : ادخلوه على ، فجى " بأبى ذر بين قوم يقودونه " ، حتى وقف بين يديه ؛ فقال له معاوية : يا عدو الله وعدو رسوله ! تأتينا في كل يوم فاصنع ما نصنع ! أما إنى لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمد من غير إذن أمير المؤمنين لقتلتك ، ولكنى استأذن فيك . قال جلام : وكنت أحب أن أرى أبا ذر ، لأنه رجل من قومي ، فالتفت إليه فإذا رجل أسمر ضارب^(١) من الرجال ، خفيف العارضين ، في ظهره جناً^(٢) ، فأقبل على معاوية ، وقال : ما أنا بعدو لله ولا رسوله ، بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله ، أظهرتما الإسلام وأبطنما الكفر ، وقد لعنتك رسول الله صلى الله عليه ، ودعا عليك مراتٍ ألا تشبع . سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله ، يقول : « إذا ولي الأمة الأعين ، الواسع البعلوم ، الذى يأكل ولا يشبع ، فلتأخذ الأمة جذرها منه » . فقال معاوية : ما أنا ذاك

(١) الضرب : الخفيف اللحم .

(٢) يقال جن ، جنأ ؛ إذا أشرب كاهله على ظهره حمداً .

الرجل، قال أبو ذر: بل أنت ذلك الرجل، أخبرني بذلك رسول الله صلى الله عليه، وسمعتة يقول - وقد مررت به - : « اللهم الله ولا تشبهه إلا بالتراب » ، وسمعتة صلى الله عليه يقول : « است معاوية في النار » . فضحك معاوية وأمر بحبسه ، وكتب إلى عثمان فيه .

فكتب عثمان إلى معاوية : أن احمل جنديا إلى ، فلي أغلظ مركب وأوجره . فوجه به مع من سار به الليل والنهار ، وحمله على شارب^(١) ليس عليها إلا قتب ؛ حتى قدم به للدينة ؛ وقد سقط لحم نخذه من الجهد .

فلما قدم بمث إليه عثمان : الحق بأبي أرض شئت . قال : بمكة ؛ قال : لا ، قال : بيت المقدس ؛ قال : لا ، قال : بأحد الصريين ؛ قال : لا ؛ ولكني مسيرك إلى رمة ، فسيروا إليها ؛ فلم يزل بها حتى مات .

وفي رواية للواقدي ، أن أبا ذر لما دخل على عثمان ، قال له :

لا أسمع الله يميني عينا - ثم ولا لقاء يوما زينا

• تحية الشريط إذا التقينا •

فقال أبو ذر : ما عرفتُ اسمي « قينا » قط . وفي رواية أخرى : لا أسمع الله بك عينا يا جندب ؛ فقال أبو ذر : أنا جندب ؛ وسماني رسول الله صلى الله عليه « عبد الله » ، فاخترتُ اسم رسول الله صلى الله عليه الذي سماني به على اسمي . فقال له عثمان : أنت الذي تزعم أنا نقول : يد الله مفلوكة ، وإن الله فقير ونحن أغنياء ؛ فقال أبو ذر : لو كنتم لا تقولون هذا لأنفقتم مال الله على عباده ؛ ولكني أشهد أني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه ، يقول : « إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا ، جعلوا مال الله دولا ، وعبادته خولا ، ودينه دخلا » . فقال عثمان لمن حضر : اسمعتموها من رسول الله ؟ قالوا : لا ، قال عثمان : وبلك يا أبا ذر ؛ أنكذب على رسول الله ؛ فقال أبو ذر لمن حضر : أما تدرون أني صدقت ؛ قالوا : لا والله

مانعري ، فقال عثمان : ادعوا لي عينا ، فلما جاء قال عثمان لأبي ذر : أقص من عليه حديثك في بني أبي العاص ، فأعاده ، فقال عثمان لعلي عليه السلام : أسمع هذا من رسول الله صلى الله عليه ! قال : لا ؛ وقد صدق أبو ذر . قال : كيف عرفت صدقه ؟ قال : لأنني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول : « ما أغلقت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر » ، فقال من حضر : أما هذا فممناء كلنا من رسول الله ، فقال أبو ذر : أحدثكم أني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبهونني ! ما كنت أظن أني أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم !

• • •

وروى الواقدي في خبر آخر بإسناده ، عن صهبان ، مولى الأسلميين ، قال : رأيت أبا ذر يوم دُخِلَ به على عثمان ، فقال له : أمت الذي فعلت وفعلت ! فقال أبو ذر : نصحتك فاستغشيتني ، ونصحت صاحبك فاستغشيتني ! قال عثمان : كذبت ؛ ولكنك تريد الفتنة وتجهتها ، قد أملت ^(١) الشام ههنا ، فقال له أبو ذر : اتبع سنة صاحبك لا يكن لأحد عليك كلام ، فقال عثمان : مالك وذلك لا أم لك ! قال أبو ذر : والله ما وجدت لي هذا إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فغضب عثمان ، وقال : أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب ؛ إما أن أضربه ، أو أحسنه ، أو أقتله ؛ فإنه قد فرق جماعة المسلمين ؛ أو أفيء من أرض الإسلام . فتكلم علي عليه السلام - وكان حاضرا - فقال : أشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون : ﴿ فَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَسَتِيرُهُ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصَيِّرْكُمْ بَعْضُ الَّذِينَ يَمْدُحُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ ^(٢) ، فأجابه عثمان بجواب خليف ، وأجابه علي عليه السلام بمثله ، ولم تذكر الجوابين تدعما لهما .

قال الواقدي : ثم إن عثمان حظر على الناس أن يفاعدوا أبا ذر ، أو يكلموه فكث

(١) النفل : الإفساد بين القوم .

(٢) سورة مائدة ٢٨ .

كذلك أيلما ، ثم أتى به فوقف بين يديه ، فقال أبو ذر : وبمك يا عثمان ! أما رأيت رسول الله صلى الله عليه ، ورأيت أبا بكر وصرا ! هل عديك كهديهم ! أما إنك لتبطش بى بطش جبار ، فقال عثمان : أخرج عفا من بلادنا ، فقال أبو ذر : ما أبغض إلى جوارك ! فإلى أين أخرج ؟ قال : حيث شئت ، قال : أخرج إلى الشام أرض الجهاد ؟ قال : إنما حلبتكم من الشام لئلا قد أفستها ، فأردك إليها ! قال : أفأخرج إلى العراق ؟ قال : لا ! إنك إن نخرج إليها تقدم على قوم أولى شئ وطعن على الأئمة والولاء ، قال : أفأخرج إلى مصر ؟ قال : لا ، قال : فإلى أين أخرج ؟ قال : إلى البادية ، قال أبو ذر : أصير بعد المعرة أمراييا ! قال : نعم ، قال أبو ذر : فأخرج إلى بادية نجد ؟ قال عثمان : بل إلى الشرق الأسود : أقصى فأقصى : أضل قلى وجهك هذا فلا تمدون الربدة .
خرج إليها .



وروى الواقدي أيضا عن مالك بن أبي الزبال ، عن موسى بن ميسرة ، أن أبا الأسود الدؤلى ، قال : كنت أحت لقاء أبى ذر لأسأله عن سب خروجي إلى الربدة ، فخطبه فقلت له : ألا تخبرنى ، أخرجت من المدينة طائفا ، أم أخرجت كرها ؟ فقال : كنت فى أمر من ثمر المسدين أعنى عنهم ، فأخرجت إلى المدينة ، فقلت : دار هجرتى وأصحابى ، فأخرجت من المدينة إلى ما ترى . ثم قال : بينا أنا ذات ليلة نائم فى المسجد قلى عهد رسول الله صلى الله عليه ، إذ مررتى عليه السلام فضربنى برجله ، وقال : لا أراك نائما فى المسجد ، فقلت : بأى أمت وأمى ! عبتنى عيبى ، فذمت فيه . قال : فكيف تصنع إذا أخرجوك منه ؟ قلت : إذا ألحق بالشام ، فإنها أرض مقدسة ، وأرض لجواد . قال : فكيف تصنع إذا أخرجت منها ؟ قلت : أرجع إلى المسجد ، قال : فكيف تصنع

إذا أخرجوك منه ؟ قلت : آخذُ سيفي فأضربهم به . فقال : ألا أدلك على خير من ذلك ؟
انتسق معهم حيث ساقوك ، وتسع وتطيع . فسمعت وأطعت وأنا أسمع وأطيع ؛ والله
ليلقين اللهَ عثمانُ وهو آثم في جنبي .

• • •

واعلم أن أصحابنا رحمهم الله قد رووا أخباراً كثيرة ؛ معناها أنه أخرج إلى
الرَّبْدَةِ باختياره .

وحكى قاضي الفصاة رحمه الله في " المعنى " من شيخنا أبي علي رحمه الله ، أن الناس
اختلفوا في أمر أبي ذرٍّ ، وأن الرواية وردت بأنه قيل له : أعمانُ أنزلَكَ الرَّبْدَةَ ؟ فقال :
لا بل أنا احترتُ لنفسى ذلك .

وروى أبو علي أيضاً أن معاوية كتب يشكوه وهو بالشام ، فكتب إليه عثمانُ :
أن صيرَ إلى المدينة . فلما صار إليها ، قال له : ما أخرجك إلى الشام ؟ قال : إنى سمعتُ
رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول : « إذا بلغتَ حمارةَ تلكَ المدينة موضعَ كذا فأخرج منها » ؛
فلذلك خرجت . فقال : أية البلاد أحب إليك بعد الشام ؟ قال الرَّبْدَةُ ، فقال : صيرَ إليها .
وروى الشيخ أبو علي أيضاً عن زيد بن وهب ، قال : قلت لأبي ذرٍّ وهو بالرَّبْدَةِ :
ما أنزلَكَ هذا المنزل ؟ قال : أحبرك أى كنت بالشام ، مدكرت قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ
يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِصَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا ﴾ . فقال لى معاوية : هذه نزلت في أهل الكتاب ،
فقلت : فيهم وفينا . فكتب معاوية إلى عثمان في ذلك ، فكتب إلى : أن أقدم ، فقدمتُ
عليه ، فانتال الناس إلى كأنهم لم يدرفوني ، فشكوت ذلك إلى عثمان ، فغيرنى وقال :
انزل حيث شئت ، فنزلت الرَّبْدَةَ .

ومعنى نقول : هذه الأخبار وإن كانت قد رُوِيَتْ ، لشكها ليست في الاشتهار

والكثرة كفك الأخبار، والوجه أن يقال في الاعتذار عن عثمان وحسن الظن بعمله: إنه خاف الفتنة واختلاف كلمة المسلمين، فغلب على ظنه أن إخراج أبي ذر إلى الرُبْدَةِ أحسنُ الشَّيْءِ، وأقطع لأطباع مَنْ يشرئب إلى شقِّ العصا، فأخرجه مراعاةً للمصلحة، ومثل ذلك يجوز للإمام. هكذا يقول أصحابنا للعترة؛ وهو الأتيقن بمكارم الأخلاق، فقد قال الشاعر:

إِذَا مَا أَتَيْتُ مِنْ صَاحِبِ لَيْلَةٍ فَكُنْ أَنْتَ بِمَحْتَالٍ لَيْلَتِهِ خُذْرًا

ولمَّا جَاوَلْ أَسَابِقًا لِمَنْ يَحْتَمِلُ حَالَهُ التَّأْوِيلَ كَعَمَلَانِ، فَأَمَّا مَنْ لَمْ يَحْتَمِلْ حَالَهُ التَّأْوِيلَ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُ مَحَبَّةٌ سَالِقَةٌ كَمَاوِيَّةٍ وَأَضْرَابُهُ، فَإِنَّهُمْ لَا يَتَأَوَّلُونَ لَهُمْ إِذَا كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ وَأَحْوَالُهُمْ لَا وَجْهَ لِلتَّأْوِيلِ؛ وَلَا تَقْبُلُ السَّلَاحَ وَالْإِمْلَاحَ.



(١٣١)

الأجسل

ومن كلام له عليه السلام :

أَيْتَهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ ، وَالْقُلُوبُ اللَّشَّظَةُ ؛ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانَهُمْ ، وَالْعَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولَهُمْ ، أَظَارُكُمْ عَلَى اتِّخَاذِهِمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ فُورَ الْبَعْزَى مِنْ وَخْوَعةِ الْأَسَدِ ! هَيْهَاتَ أَنْ أَطْلِعَ بِكُمْ مِرَارَ الْعَذَلِ ، أَوْ أَقِيمَ أَفْوَاجَ الْخَلْقِ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِثْلًا مُفَافَةً فِي سُلْطَانٍ ، وَلَا التَّيَاسُّ شَيْءٌ مِنْ فُصُولِ الْخَطَايَا ؛ وَلَسَكِنْ يَرِدُ السَّالِمُ مِنْ دِيَارِهَا ، وَتُظْهِرُ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ ، قِيَامُ الْمَطْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتَقَامُ لِلْعَطْلَةِ مِنْ أَعْدَادِكَ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَتَاكَ ، وَشَمِعَ وَأَجَبَ ؛ لَمْ يَسْتَفِيضْ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّلَاةِ ؛ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَى الْفُرُوجِ وَالذَّمَاءِ وَالْفَنَائِمِ وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ السُّلَاطِينِ الرَّحِيلُ ، فَتَكُونَ فِي أُمُورِهِمْ نَهْمَةً . وَلَا أَتَجَاهِلُ فَيُضِلُّهُمْ بِمَنْفَعِهِ ، وَلَا أَتَجَانِي فَيَقْطَعُهُمْ بِمَقَائِرِهِ ، وَلَا أَتَخْلُفُ لِدَوْلٍ فَيَتَخَذَ قَوْمَادُونَ قَوْمَ ، وَلَا أَلْمُ تُشَى فِي الْحُكْمِ ، فَيَذْهَبَ بِالْحَقُوقِ ، وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْفَاطِحِ ، وَلَا لِلْعَطْلِ لَشْتَةٍ ، فَيَهْلِكَ الْأُمَّةُ .

• • •

البنوع

أطارك : أعطتكم . طارت الناقة طارا : رعى ناقة مظلورة ؛ إذا عطفتها على ولد غيرها ؛

وفي الليل : « العطن يظار » أى يغطى على الصلح^(١) ؛ وظارت الدقة أيضاً إذا غطت على البرء ؛ يتعدى ولا يتعدى ، فمى ظور .

والوهوة : الصوت ، والوهواع مثله .

وقوله : « هيات أن أطلع بكم سرار المدل » ، يفسره الناس بمعنى هيات أن أطلعكم مضيقين ومتوربين لسرار المدل . وللسرار : آخر لينة في الشهر ، وتكون مظلمة ؛ ويمكن عندى أن يفسر على وجه آخر ؛ وهو أن يكون السرار هاهنا بمعنى السرور ، وهى خطوط مضيقية في الجهة ؛ وقد نص « أهل اللغة على أنه يحوز فيها سرور وسرار » ، وقالوا : ويجمع سرار على أسرة ، مثل حار وأحمر ، قال عنزة :

بزجاج صفرأ ذات أسرة قرنت بأزهر في الشمال مقدم^(٢)

يصف الكأس ؛ ويقول : إن فيها خطوطاً بيضا ؛ وهى زجاج أصفر . ويقولون : برقت أسرة وجه وأسار وجهه ؛ فكأن يكون معنى كلامه عليه السلام : هيات أن تطلع بكم لوامع المدل ، وتعلم أوصافه ؛ ويروق وجهه . ويمكن فيه أيضاً وجه آخر وهو أن ينصب « سرار » هاهنا على الظرفية ، ويكون التقدير : هيات أن أطلع بكم الحق زمان استسرار المدل واستخفاته ؛ فيكون قد حذف المفعول ؛ وحذفه كثير .

ثم ذكر أن الحروب التى كانت منه لم تكن طلباً للملك ، ولا مناصرة على الدنيا ، ولكن لتقام حدود الله على وجهها ، ويمرئ أمر الشريعة والرعية على ما كان يمرئ عليه أيام النبوة .

ثم ذكر أنه سبق للدين كأنهم إلى التوحيد والعرفة ، ولم يسبقه بالصلاة أحدٌ إلا رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ وهكذا روى جمهور المحدثين ، وقد تقدم ذكر ذلك .

(١) قى اللسان : « العطن يظار » ، أى يغطى على الصلح ، تقول : إذا حافك أن تغطيه فتغطه : عطفه فلك عليك ، فجاد بهاله الخوف .

(٢) من المظلة — بفتح التبريزى ١٩١ . وحدث أسرة ؛ ذات طرائق وخطوط .

فإن قلت : أي وجه لإدخال هذا الكلام في غضون مقصده في هذه الخطبة ، فإنها مبنية على ذم أصحابه ، وتقرير قاعدة الإمامة ، وأنه لا يجوز أن يلبسها الفاسق ، وأنه لا بد للإمام من صفات مخصوصة ؛ عددها عليه السلام ، وكل هذا لا تعلق لسبقه إلى الإسلام !

قلت : بل الكلام متعلق ببعضه ببعض من وجهين : أحدهما أنه لما قال : اللهم إنك تعلم أني سألتك السيف طلبا للملك ، أراد أن يؤكد هذا القول في نفوس السامعين ؛ فقال : أنا أول من أسلم ؛ ولم يكن الإسلام حينئذ معروفًا أصلاً ، ومن يكون إسلامه هكذا لا يكون قد قصد بإسلامه إلا وجه الله تعالى والقربة إليه ؛ فمن تكون هذه حاله في مبدأ أمره ، كيف يخطر ببال عاقل أنه يطلب الدنيا وحطامها ، ويمرّد عليها السيف في آخر عمره ، ووقت انقضاء مدة عمره !

والوجه الثاني أنه إذا كان أول السابقين ، وجب أن يكون أقرب المقرّبين ، لأنه تعالى قال : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ ^(١) ، ألا ترى أنه إذا قال الملك : « المأمون المأمون هم المختصون بنا » ، وجب أن يكون أعلمهم أشدهم به اختصاصاً ؛ وإذا كان عليه السلام أقرب المقرّبين ، وجب أن تنتفي عنه الموانع الستة ، التي جعل كل واحد منها صاعداً عن الإمامة ، وقاطما عن استحقاقها ؛ وهي البخل والجهل والجفاء - أي الفلظ - المصيبة في دولته - أي تقديم قوم على قوم - والارتماء في الحكم ، والتعطيل للستة ، وإذا انتفت عنه هذه الموانع الستة تميز أن يكون هو الإمام ، لأن شروط الإمامة موجودة فيه بالاتفاق ، فإذا كانت موانعها عنه منتفية ولم يحصل لنبيه اجتماع الشروط ، وارتفاع الموانع ، وجب أن يكون هو الإمام ؛ لأنه لا يجوز خلوه العرش من إمام ؛ سواء كانت هذه القضية عقلية أو سمعية .

فإن قلت : أفتراه على بهذا قوماً بأعيانهم ؟

قلت : الإمامية تزعم أنه رمز في الجفاء والعصبية لقوم دون قوم إلى عمر ، ورمز بالجهل إلى من كان قبله ؛ ورمز بجمليل السنة إلى عتبان ومساوية ؛ وأما نحن فنقول : إنه عليه السلام لم يكن ذلك ؛ وإنما قال قولاً كلياً غير مخصوص ، وهذا هو اللائق بشرفه عليه السلام ، وقول الإمامية دعوى لا دليل عليها ، ولا يندم كل أحد أن يستنبط من كل كلام ما يوافق فرضه وإن خضع ، ولا يجوز أن تُبنى العقائد على مثل هذه استنباطات الدقيقة .

والنبهة : المهمة الشديدة بالأمر ، قد نهم بكذا بالضم ، فهو منهوم ، أي مولى به حريص عليه ، يقول : إذا كان الإمام بخيلاً كان حرصه وجشعه على أموال رعيته ، ومن رواها « نهمته » ، بالصريح فكيف إفراط الشهوة في العلم ، واللأني نهم ، بالكسر .

قوله عليه السلام . « فقطمهم بخنائهم » أي يقطمهم من حاجاتهم لنفائهم عليهم ، لأن الوالي إذا كان غليظاً جافاً أنسب الرعية وقطمهم من مراجعتهم في حاجاتهم خوفاً من بادرته ، وممرته .

قوله : « ولا الخائف للقول » ، أي الظالم لها ، والجائر عليها . والدول : جمع دولة بالضم ، وهي اسم المال للتداول به ، ويقال : هذا الذي مدولة بينهم ، أي يتداولونه ، والمعنى أنه يجب أن يكون الإمام يحسم بالسوية ، ولا يخصص قوماً دون قوم على وجه العصبية لقبيلة دون قبيلة ، أو لإسان من المسلمين دون غيره ، فيتخذ بذلك بطانة .

قوله : « فيقف بها دون اللطام » ، اللطام : جمع قطع ، وهو ما ينتهي الحق إليه ، أي لا تصل الحقوق إلى ما لا أصل لها من الرشوة عليها .

فإن قلت : فما باله قال في النافع السادس : « فيهلك الأمة » وكل واحد من الموانع قبله
ينفضي إلى هلاك الأمة !

قلت : كل واحد من الموانع الخمسة ينفضي إلى هلاك بعض الأمة ، وأما مَنْ يعطل
السنة أصلاً ، فإنه لا محالة مهلك للأمة كلها ، لأنه إذا عطل السنة مطلقاً ، عادت الجاهلية
العملاء كما كانت .

وقد روى : « ولا يخاف الدول » بالخاء المعجمة . ونصب « الدول » أي مَنْ
يخاف دول الأيام وتقلبات الدهر فيتحذق قوماً دون قوم ظهرياً ، وهذا معنى لا بأس به

الأفضل

ومن خطبة له عليه السلام :

يَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى، وَعَلَى مَا أَبْتَلَى وَأَبْتَلَى، الْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ، وَالْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ، الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ، وَمَا تَحْمُونَ الْعُيُونُ . وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيُّهُ وَبَعِيثُهُ، شَهِادَةٌ بِوَأْفِقٍ فِيهَا السُّرُّ الْإِعْلَانُ، وَالْقَلْبُ اللَّسَانُ .



الْبَيْتُ

على ما أبلى ، أى ما أعطى ، يقال : قد أبلاه الله بلاء حسنا ، أى أعطاه ، قال زهير :
جَزَى اللَّهُ بِالْإِحْسَانِ مَا فَعَلَا بِكُمْ وَأَبْلَاهَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْتَلُو^(١)
وأما قوله : « وابتلى » فالابتلاء إزال مضرّة بالإِنسان على سبيل الاختبار ، كالمرض والفقر والمصيبة . وقد يكون الابتلاء بمعنى الاختبار فى الخير ؛ إلا أنه أكثر ما يستعمل فى الشر .

والباطن : العالم ، يقال : بطلت الأمر ، أى خبرته . وتكن الصدور : تستر ، وما تخنون العيون : ما تسترق من المعظفات والرمزات على غير الوجه الشرعى .
والنجيب : اللجج . والبعيث : للبعوث .

(١) ديوانه ١٠٩ ، وروايته : « رأى الله بالإحسان » .

الأصل:

منها:

قَاتِلْهُ وَاللَّهُ الْجِدُّ لَا الْقَيْبُ ، وَالْحَقُّ لَا الْكُذِبُ ، وَمَا هُوَ إِلَّا لِلْوَتِّ اتِّمَعَ
دَائِمِهِ ؛ وَأَعْجَلَ حَادِيهِ . فَلَا يَمُرُّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ قَسِيكَ ؛ وَقَدْ رَأَيْتَ
مَنْ كَانَ قَبْلَكَ يَمُنُّ بِجَمْعِ لُئَالٍ وَحَدِيرِ الْإِفْلَاقِ ، وَأَمِنَ الْمَوَاقِبِ: طُولَ أَمَلٍ وَأَسْتَبْعَادِ
أَجَلٍ ؛ كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْوَتُّ فَأَرْصَجَهُ عَنْ وَطِيهِ ، وَأَحْذَهُ مِنْ تَأْمِيهِ ؛ تَحْشُوا عَلَى
أَعْوَادِ النَّبَا ، يَتَعَامَلُ بِهِ الرُّجَالُ الرُّجَالُ ، تَخْلُقُ عَلَى الْمَنَاسِكِ ؛ وَإِنْسَاكَ بِالْأَنَامِلِ .

أَمَّا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمَلُونَ بَعِيدًا ، وَيَبْتَغُونَ مَشِيدًا ، وَيَجْتَمِعُونَ كَثِيرًا ؛ أَصْبَحَتْ
بُيُوتُهُمْ قُبُورًا ؛ وَمَا جَعَلُوا بُورًا ، وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ ، وَأَرْوَاجُهُمْ لِقَوْمِ
آخَرِينَ ، لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ ، وَلَا فِي سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ .

فَمَنْ أَشْعَرَ النَّفْسِ قَلْبُهُ ، بَرَزَ مَهْلُهُ ، وَفَارَ حَمْلُهُ . فَاهْتَلُوا هَبْلَهَا ، وَاعْمَلُوا لِنَجَاتِهِ
عَمَلًا ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازًا ؛ تَزَوَّدُوا مِنْهَا
الْأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ .

فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَارٍ ، وَفَرِّبُوا الظُّهُورَ لِلزُّبَالِ .

• • •

الشرح:

قوله عليه السلام: «قَاتِلْهُ وَاللَّهُ الْجِدُّ» ، الضمير للأمر والشأن الذي خاض معهم في ذكره
ووعظهم بنزله . ثم أوضعه بعد إجماله ، فقال : إِنَّهُ لِلْوَتِّ دَعَا فَاسْمِعْ ،
وَحَدَا فَأَجَل .

وسواد الناس : عاصمهم .

ومن ها هنا ؛ إما بمعنى الهباء ؛ أى لا يترنك الناس بنفسك ومحتك وشبابك ،
فليس بعد الموت اغترارا بذلك ؛ ف تكون متسقة بالظاهر ؛ وإما أن تكون متعلقة
بمحذوف ؛ تقديره : متمكنا من نفسك ، وراكنا إليها .

والإقلال : الفقر . وطول أمل ، منصوب على أنه مفعول .

فإن قلت : المفعول به ينبنى أن يكون الفعل علة في المصدر وها هنا ليس الأمن علة
طول الأمل ؛ بل طول الأمل علة الأمن ؟

قلت : كما يجوز أن يكون طول الأمل علة الأمن ؛ يجوز أن يكون الأمن علة طول
الأمل ، ألا ترى أن الإنسان قد يأمن المصائب فيطول أمه في البقاء ورجوه للكاسب ؛
لأجل ما عنده من الأمن . ويجوز أن ينصب « طول أمل » على البدل من المفعول
المنصوب به « رأيت » ؛ وهو « من » ؛ ويكون التقدير : قد رأيت طول أمل من كان .
وهذا بدل الاشتمال ؛ وقد حذف منه الصير المائد كما حذف من قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ
أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ • الْقَارِ . . . ﴾ ^(١) .

وأعواد الناي : القمش . ويتعاطى به الرجال الرجال : يتداولونه : تارة على
أكفاف هؤلاء ، وتارة على أكفاف هؤلاء ؛ وقد فسر ذلك بقوله : « حلا على
الناكب ، وإساكا بالأنامل » .

والشيد : المنيق بالشيد ؛ وهو الجمع .

البور : الغناید المهلك ؛ وقوم بور ، أى هلكت ، قال سبحانه : ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْمًا
بُورًا ^(٢) ﴾ ، وهو جمع ، واحده بائر كعائل وحول .

وَيُسْتَعْتَبُونَ هَاهُنَا بِفَسْرِ تَفْسِيرِينَ ، عَلَى اخْتِلَافِ الرَوَايَتَيْنِ : فَمَنْ رَوَاهُ بِالضَّمِّ عَلَى فَعْلٍ مَا لَمْ يَسْمَعْ فاعله ؛ فَمَعْنَاهُ لَا يَحْتَابُونَ عَلَى فِعْلِ سَيِّئَةٍ صَدَرَتْ مِنْهُمْ كَمَا كَانُوا فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِمْ ؛ أَيْ لَا يَحْتَابُهُمُ النَّاسُ أَوْ لَا يَسْتَعِظُمُونَ - وَهِيَ مَوْتِي - أَنْ يَسْأَلُوا إِلَى أَحَدٍ إِسَاءَةً عَلَيْهَا ، وَمَنْ رَوَاهُ « يَسْتَعْتَبُونَ » فَتُفْتَحُ حُرُوفُ الْمَصَارِعَةِ ؛ فَهُوَ مَنْ اسْتَعْتَبَ فَلَانٌ ، أَيْ مَطْلَبٌ أَنْ يُعْتَبَ ، أَيْ يَرْضَى ، تَهْوَنُ : اسْتَعْتَبْتَهُ فَاعْتَبَنِي ؛ أَيْ اسْتَرْضَيْتَهُ فَأَرْضَانِي .

وأشعر فلانُ القوي قلبه : جعله كالشماره ، أى يلازمه ملازمة شمار الجسد .

وبرز مهله ، ويروي بالرفع والنصب ، فن رواء بالرفع جملة فاعل « برز » ، أى
مَنْ طاق شَوَطَه برز الرجل على أفرانه ، أى فاقهم ، والمهل شوط القوس ، ومن رواء
بالنصب جعل « برز » بمعنى أبرز ، أى أظهر وأبان ؛ فنصب حيثن على المفعولية .

واعتبرت غيرة زيد ، أى اختصتها ، والخيال الذى يهتبل الصيد أن يبره
وذئب هبل أى محال ، « هبلها » منصوب على المصدوك أنه من هبل ، مثل غضب غضبا ،
أى اغتموا وانتهزوا الفرصة ؛ الانتهاز الذى يصلح لهذه الحال ؛ أى ليكن
هذا الاعتبال بحدة وهمة عظيمة ، فإن هذه الحال حال عظيمة لا يليق بها إلا
الاجتهاد العظيم .

وكذا قوله : « واعملوا للجنة عملها » ؛ أى العمل الذى يصلح أن يكون ثمرة الجنة .

و دار مقام ، أى دار إقامة . والجواز : الطريق يجاز عليه إلى المقصد .

والأوفاز : جمع وفز بسكون الفاء ؛ وهو الصحة . والظهور : الزكاب ، جمع ظهر .
وبنو فلان مظهرون ، أى لم ظهور ينقلون عليها الأثقال ، كما يقال : منجبون ؛ إذا كانوا
أصحاب نجائب . والزبيل : المفارقة ؛ زابله مزايلة ، وزبيلاً ، أى فارقه .

(١٣٣)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام :

وَانْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَرْزَاقِهَا ، وَقَدَّحَتْ إِلَيْهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُونَ
مَقَالِيدَهَا ، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاصِرَةُ ، وَقَدَّحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا
الدِّيرَانَ الْمُضِيئَةَ ، وَأَتَتْ أَكْلَهَا بِكَمِيَانِ الثَّامَرِ الْبَائِنَةَ .



الشرح :

الضمير في « له » يرجع إلى الله تعالى ؛ وقد كان تقدم ذكره سبحانه في أول الخطبة ؛
وإن لم يذكره الرضى رحمه الله ، ومعنى اقبياد الابل والآخره له نفوذ حكمه فيها ،
وشباع قلمته وعمومها .

وأزمتها : لفظة مستعارة من اقبياد الابل بأزمتها مع قائدها . والمقاييد : المفاتيح .
ومعنى سحود الأشجار الناصرة له تصرفها حسب إرادته ، وكونها مسخرة له محكوما
عليها بنفوذ قلمته فيها ، فجعل عليه السلام ذلك خضوعاً منها لمشيئته ، واستعار لها ما هو
أدل على خضوع الإنسان من جمع أفعاله ، وهو السجود منه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ
يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ
وَالشَّجَرُ وَالْحَدَوَابُ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ﴾ ^(١) .

قوله : « وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا » - بالضم - جمع قضيب ، وهو النصب ، وواللهي أنه بقلوته أخرج من الشجر الأخضر ناراً ، والنار ضد هذا الجسم المخصوص ، وهذا هو قوله صالى : (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ)^(١) بعينه .
وَأَنْتَ أَكَلَهَا : أعطت ما يؤكل منها ، وهو أيضاً من الألفاظ القرآنية^(٢) .

والبيان : الذاضعة . وبكلمات ، أى بقلوته ومشيتته ، وهذه اللفظة من الألفاظ المنقولة على أحد الأقسام الأربعة المذكورة فى كتبنا فى أصول النحوى ، وهو استعمال لفظة متعارفة فى اللغة العربية فى معنى لم يستعملها أهل اللغة فيه ، كقتل لفظة « الصلاة » الذى هو فى أصل اللغة للدعاء إلى عيشت وأوضاع مخصوصة ، ولم تستعمل العرب تلك اللفظة فيها . ولا يصح قول من قال : المراد بذلك قوله « كُنْ » ، لأنه تعالى لا يجوز أن يخاطب المعلوم وقوله تعالى : (إِنَّمَا أَمْرُنَا لَيْشَىء إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَعْمَلَ شَيْئًا فَقُلْنَا لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)^(٣) من باب التوسيع والاستعارة الملوحة ، وهما القرآن والروايدسرحة المواتاة ، ومجلة الإيجاد ، وأنه إذا أراد من أمراه أن كان .

• • •

الأسئل

منها :

وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَخْبَأُ لِسَانُهُ ، وَبَيِّنَاتٌ لَا تُهْذَمُ أَرْكَانُهُ ، وَهَزْمٌ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ .

• • •

(١) سورة يس ٨٠ .

(٢) وهو قوله تعالى فى سورة الفرة ٢٦٥ : (كَمْثَلِ جَنَّةٍ يَرْبَوْنَ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاتَتْ أَكْثَلَهَا ضِعْفَيْنِ) .

(٣) سورة النحل ١٠ .

البُيُوتُ :

يقال : هو نازل بين أظهرهم ، وبين ظهرانيهم ، بفتح النون ، أى نازل بينهم . فإن قلت : لماذا قالت العرب « بين أظهرهم » ، ولم قل : « بين صدورهم » ؟ قلت : أرادت بذلك الإشعار بشدة المحبة عنه ، والرأفة من دونه ، لأن النزول إذا حامى القوم عنه استقبلوا شبا الألفة ، وأطراف السيوف عنه بصدرهم ، وكان هو محروساً مصوناً عن مباشرة ذلك وراء ظهورهم .

ولا يبيأ لسانه : لا يكمل ، عييت بالنطق ، فأناهي ، هل « قميل » ، ويجوز : عى الرجل فى منطقته ، بالتشديد ، فهو « قى » هل « قمل » .



الأصل

منها :

أرسله على حين فترة من الرُّسل ، وتنازع من الألسن ، فحقى به الرُّسل ، وختم به الوحي ، فجاهد فى الله الذيرين عنه ، والعاديين به .



البُيُوتُ :

الضمير فى « أرسله » ، راجع إلى النبي صلى الله عليه وآله ، وهو مذكور فى كلام لم يحكمه جامع الكتاب .

والفترة : زمان انقطاع الوحي ، والتنازع من الألسن ، أن قوماً فى الجاهلية كانوا يعبدون

الشمس ، وقوماً يعبدون الشيطان ، وقوماً يعبدون المسيح ، فكل طائفة تجادل مخالفيها بالسنتها لتفودها إلى معتزدها .

وقفى به الرسل : أتبعها به ، قال سبحانه : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا ﴾^(١) ، ومنه الكلام المقتضى ، ومثبت قولنا الشر ، لأن بعضها يتبع بعضها .

والماديين به : الجاهلين له عديلاً ، أى مثلاً ، وهو من الألفاظ القرآنية أيضاً ، قال الله تعالى : ﴿ يَرْجِعُهُمْ بَعْدَ لُحُونٍ ﴾^(٢) .

• • •

الأصل :



منها :

وَلَا تَأْمُرُوا الدُّنْيَا فَيَمُوتَ بَصَرُ الْأَعْمَى ، لِإِيْضَارِهِمْ وَرَاءَهَا شَيْئًا ، وَالْبَصِيرُ يُنْفِذُهَا بَصَرَهُ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَرَوَّاءَهَا ، فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاطِئٌ ، وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاطِئٌ ، وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَرَوِّدٌ ، وَالْأَعْمَى لَهَا مُتَرَوِّدٌ .

• • •

الشرح :

شبه الدنيا وما بعدها بما يتصوره الأعمى ، من الظلمة التي يتخيلها ؛ وكأنها محسوسة ؛ وليست محسوسة على الحقيقة ؛ وإتمامها عدم الضوء ، كمن يطلع في جب ضيق ، فيتمهل ظلاماً ، فإنه لم ير شيئاً ، ولكن لما عدم الضوء فلم ينفذ البصر تخيلاً أنه يرى للظلمة ؛ فإما من يرى البصريات في الضياء ، فإن بصره ينفذ فيشاهد المحسوسات بيقين ؛ وهذه حال

(١) اللاتمة ٤٦ .

(٢) سورة الأنعام ١٠ .

الدنيا والآخرة ؛ أهل الدنيا منتهى نصرهم دنياهم ، ويظنون أنهم يعمرون شيئاً وليسوا
بمبصرين على الحقيقة ، ولا حواسهم نافذة في شيء ، وأهل الآخرة قد غفلت أبصارهم ،
فراوا الآخرة . ولم يقف إحاسهم على الدنيا خاصة ، فأولئك هم أصحاب الأبصار على الحقيقة ؛
وهذا معنى شريف من معاني أصحاب الطريقة والحقيقة ، وإليه الإشارة بقوله سبحانه :
﴿ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾ ^(١) ، فأما قوله : « قال بصير منها شاخص ، والأهمى إليها
شاخص » ، فن مستحسن التجنيس ؛ وهذا هو الذى يستيه أرباب الصناعة الجناس التام ؛
فالشاخص الأول الراحل ، والشاخص الثانى من شخص نصره ، بالفتح ، إذا فتح عينه
نحو الشيء مقابلته وجعل لا بطرف .

[فصل فى الجناس وأنواعه]

واعلم أن الجناس على سبعة أضرب ^(٢) :

أولها : الجناس التام كهذا اللفظ ، وحده أن تتساوى حروف ألقاظ الكلمتين فى
تركيبها وفى وزنها ، قالوا : ولم يرد فى القرآن العزيز منه إلا موضع واحد ؛ وهو قوله :
﴿ وَبِئْسَ تَقْوَمُ السَّاعَةُ يُحْسِمُ لِلْخَرِيمُونَ مَا لَيْسُوا بِغَيْرِ سَاعَةٍ ﴾ ^(٣) .

وعندى أن هذا ليس بتجنيس أصلاً ، وقد ذكرته فى كتابىسمى " بالفتك الدائر
على المثل السائر " ، وقلت : إن الساعة فى الموضعين بمعنى واحد ، والتجنيس أن يفتق
اللفظ ويختلف المعنى ؛ ولا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازاً ؛ بل يكونان حقيقتين ، وإن

(١) سورة الأعراف ١٩٥ .

(٢) هذا التقسيم ؛ مع معظم الشواهد أورده ابن الأثير فى اللسان السائر ١ : ٢٤٦ وما بعدها .

(٣) سورة الروم ٥٥ .

زمان القيامة وإن طال ، لكنه عند الله في حكم الساعة الواحدة ، لأن قدرته لا يحدّها أمر ، ولا يطول عندنا زمان ؛ فيكون إطلاق لفظ «الساعة» على أحد للوضوح حقيقة ، وعلى الآخر مجازاً ، وذلك يخرج الكلام عن حد التحئيس ، كما لو قلت : ركبت حماراً ، وقمت حماراً ، وأردت بالثاني البليد .

وأبضا ، فلم لا يجوز أن يكون أراد بقوله : «(ويوم تقوم الساعة)» ، الأولى خاصّة من زمان البعث ؛ فيكون لفظ «الساعة» مستعملاً في الومضين حقيقة بمعنى واحد ، فيخرج عن التحئيس ، وعن مشابهة التحئيس بالكلية .

قالوا : وورد في السنة من التحئيس الثام خبر واحد ، وهو قوله صلى الله عليه وآله تقوم من الصحابة ، كانوا يتنازعون جرير بن عبد الله البجلي في زمان فاته : «خلوا بين جرير والجرير» ، فالجرير الثاني الخلل .

وجاء من ذلك في الشعر لأبي تمام قوله

فأصبحت غرر الإسلام مشرقاً ~~بالتصريح~~ تضحك من إمامك المرر^(١)
فالمرر الأولى مستعارة من غرة الوجه ، والمرر الثانية من غرة الشيء ، وهي أكرم .
وكذلك قوله :

من الفؤوم جعداً ~~بص~~ الوجه والندي وليس بآن يجتدي منه بالجعد^(٢)
فالجعد الأول السيد ، والثاني ضد السبط ؛ وهو من صفات البغي .
وكذلك قوله :

بكل فتى صرب برض لفتا ~~محمداً~~ حلي الطمن والمرب^(٣)

(١) الخلل السار ١ : ٢٤٧ ، وليس في ديوانه

(٢) ديوانه ٢ : ١٢١ .

(٣) ديوانه ١ : ١٩٩ .

فالضرب الأول الرجل الخفيف ، والثاني مصدر « ضرب » .

وكذلك قوله :

عَدَاكَ حَرُّ الثُّغُورِ الْمُتَعَامَةِ عَنْ بَرْدِ الثُّغُورِ وَمَنْ مَلَأَهَا الْحَصْبُ ^(١)
فأحدهما جمع « ثغر » وهو ما يتأخم العدو من بلاد الحرب ، والثاني للأُستان .

ومن هذه القصيدة :

كَمْ أَخْرَزَتْ قُصْبُ الْهِنْدِيِّ مُضَاكَةً تَهْتَزُّ مِنْ قُصْبٍ تَهْتَزُّ فِي كُشْبٍ
بِيضٍ إِذَا انْقَضَيْتِ مِنْ حُجْبِهَا رَجَعَتْ أَحَقُّ بِالْبَيْضِ أَبْدَانًا مِنَ الْحُجْبِ ^(٢)
وقد أكثر الناس في استعمال هذا التعنيس وأطنبوا ؛ وعندى أنه ليس بتعنيس أصلاً ، لأن نسبة السوف « قُصْبًا » ونسبة الأعصان « قُصْبًا » كلمة بمعنى واحد ؛ وهو القطع ؛ فلا تجنيس إذا . وكذلك البيض للسوف ، والبيض للنساء ، كلمة بمعنى البيضاء ، فبطل معنى التعنيس ، وأظننى ذكرت هذا أيضاً في كتاب " الفلك الدائر " ^(٣) .

قالوا : ومن هذا القسم قوله أيضاً :

إِذَا الْخَيْلُ جَاءَتْ قَشَطْلَ الْخَيْلِ صَدَّعُوا صُدُورَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكَتَائِبِ ^(٤)
وهذا عندى أيضاً ليس بتعنيس ، لأن الصدور في الموضعين بمعنى واحد ؛ وهو جزء الشيء المتقدم البارز عن سائرهِ ؛ فأما قوله أيضاً :

عَامِي وَعَامُ الْمَيْسِ تَيْنَ وَدِيقَةٍ مَسْجُورَةٍ ، وَتَنُوقَةٍ مَسِيخُودٍ ^(٥)

(١) ديوانه ١ : ٦٨ ، ٧٧ ، ٧٨ . والحصب : القى به صغار الحصى

(٢) ألدانا ، من صفات لساء الروم ، و رواية الدهوان : « أحق بالبيض ألدانا » .

(٣) الفلك الدائر ٩١ .

(٤) ديوانه ١ : ٢١٥ ، وقال في شرحه : يقول : « إذا شفت الخيل عوار الحرب ؛ فإتاهم يلطمون

الأبطال بالرماح حتى يكسروها في صدورهم » .

(٥) ديوانه ٢ : ٣٩٣ ، والردبة : شدة الحر . ومسجورة : مخلوعة بالسراب . وتنوقة : القفر من

الأرض . ومسبخود : صلة .

حَتَّى أَغَادِرَ كُلَّ يَوْمٍ بِالْفَلَاحِ طَيْرٍ مَسْدًا مِنْ بَنَاتِ الْعِيدِ^(١)
فإنه من التحنيس التام ؛ لاشبهه في ذلك لاختلاف المعنى ، فالعيد الأول هو اليوم
للمعروف من الأعياد ، والعيد الثاني غل من حول الإبل .
ونحو هذا قول أبي نواس :

عَبَّاسُ عَبَّاسٍ إِذَا احْتَدَمَ الْوَغَى وَالْمُضِلُّ فَضْلٌ وَالرَّيِّعُ رَيْعٌ^(٢)
وقول البحتري :

إِذَا الْعَيْنُ رَاحَتْ وَهِيَ عَيْنٌ عَلَى الْهَوَى فَلَيْسَ بِسِرٍّ مَا تُسِرُّ الْأَخْطَالُ^(٣)
فالعين الثانية الجاسوس ، والأولى العين للبصرة . ولغزى الشاعر قصيدة أكثر من
التحنيس التام فيها ، أولها :

قَوِّزَارَنَا طَيْفُ ذَاتِ الْخَالِ أَحْيَانًا وَبَحْنٌ فِي حَقَرِ الْأَجْدَاثِ أَحْيَانًا
وقال في آخرها :

تَقُولُ أَنْتَ امْرُؤٌ جَافٍ مَعَالِطَةً قُلْتُ لَا هَوَاتُ أَجْفَانُ أَجْفَانًا
وقال في مديحها :

لَمْ يَبْقَ عَيْرُكَ إِنْسَانٌ بِلَادِهِ فَلَا بَرَحَتْ لَعِينِ الدَّهْرِ إِنْسَانًا
وقد ذكر الفانمي في كتابه من صناعة الشعر باباً سماه ردة الأهجار على الصدور ؛
ذكر أنه خارج عن باب التحنيس ، قال : مثل قول الشاعر :

وَتَشْرِى بِجَمِيلِ الْعَصَةِ عِذْرًا ذَكَرْتُ طَيْبَ النَّشْرِ
وَتَشْرِى بِسَيْفِ الْهِنَةِ مِنْ أَسْرَفِ فِي النَّفْرِ

(١) العيد هنا : ما يستاد .

(٢) ديوانه ١ : ٩٦ ، ولئىل الباهر ١ : ٢٥١ .

(٣) ٠ له ٢٠٠ ٢

وبحري في شري الحد على شاكلة البخر

وهذا من التجنيس ؛ وليس بحارج عنه ولكنه تجنيس مخصوص ، وهو الإتيان به في طرفي البيت .

وعنه ابن الأثير للوصلي في كتابه من التجنيس قول الشاعر في الشيب :

بأيامها أذرى دُموعي حتى عادَ منها سوادُ عيني بيَاصاً
وكذلك قول البحتري :

وأغرَّ في الزمن البهيم مجلٍ قد رحتُ منه على أغرَّ مجلٍ^(١)
وهذا عندي ليس بتجنيس ، لا لخلق المعنى ، والسبب منه أنه بعد إيراد هذا أسكر على من قال : إن قول أبي تمام :

أظنَّ الدَّمْعَ في غَدَى الجبني دُموعاً من بَسْكَائِي في الزَّمومِ^(٢)
من التجنيس ، وقال : أي تجنيس ما هنا والمعنى متفق ١ ولو آمن النظر لرأى هذا مثل البيتين السابقين .

قالوا : فأما الأجناس الستة الباقية ، فإنها حاوجة عن التجنيس التام ومشبهة به .
فإنها أن تكون الحروف متساوية في تركيبها ، مختلفة في وُزنها ؛ فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله : « اللهم كما حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي » ؛ وقول بعضهم :
لن تنالوا غُرَّ العالی إلا بركوب العُرَّ ، واحتيال العُرَّ ، وقول البحتري :

وَمَرَّ الْخَائِنُ الْمَرُورُ بِرَجْوٍ أَمَانًا ، أَيُّ سَاعَةٍ مَا أَمَانُ^(٣)

(١) النحل للسائر ١ : ٢٥٢ ، وذكر منه :

كَالْتِهَيْسَكَلِ اللَّيْلِ إِلَّا أَنَّهُ وَالْحَسَنُ جَاءَ كَصُورَةٍ فِي هَيْسَكَلٍ
ولم أجدهما في ديوانه .

(٢) ديوانه ٢ : ١٦٠ .

(٣) ديوانه ٢ : ٢٧٩ والمخالي : التي قرب حبه .

يَهَابُ الْإِلَاضَاتِ وَقَدْ نَصَدَى لِحِطَّةِ طَرَفِ طَرَفِ السَّانِ
وقال آخر :

قد ذُبْتُ بَيْنَ حُشَاةٍ وَذَمَاءٍ مَا بَيْنَ حَرِّ هَوَى وَحَرِّ هَوَاءٍ
ومنها : أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد
لا غير ، فإن زاد على ذلك خرج من باب التجسس ؛ وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ وَجُودٌ
يَوْمَئِذٍ مَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا غَاظِرَةٌ ﴾ ^(١) . وكذلك قوله سبحانه : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ
وَيَنْتَهِونَ عَنْهُ ﴾ ^(٢) وقوله تعالى : ﴿ دَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ ^(٣) . ونحو هذا ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله من
قوله : « أَتَلْبِزُ سَفُودَ بَهَاسٍ الْهَلْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » ، وقال بعضهم : « لَا تُدَالِ الْمَكَارِمُ
إِلَّا بِالْمَكَارِهِ » .



وقال أبو نعيم :

يَمْدُونَ مِنْ أَبَدٍ حَوَاسٍ حَوَاسٍ تَسْؤُلُ بِأَصَابِ قَوَاضٍ قَوَاضٍ ^(٤)
وقال البهقي :

مِنْ كُلِّ سَاحِجِ الطَّرَفِ أَغْبَدَ أَجِيدٍ وَمِنْهُمْ الْكَشْحِينِ أَحْوَى أَحْوَرٍ ^(٥)
وقال أيضا :

شَوَاجِرُ أَرْمَاجٍ تَقَطُّعُ مِنْهُمْ شَوَاجِنَ أَرْحَامٍ مَلُومٍ قَطُومُهَا ^(٦)

(١) سورة القيامة ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) سورة الأناج ٢٦ .

(٣) سورة طاهر ٧٥ .

(٤) ديوانه ١ : ٢١٤ .

(٥) ديوانه ٢ : ٣١٩ .

(٦) ديوانه ١ : ٧١٧ .

وهذا البيت حسن الصنعة ؛ لأنه قد جمع بين العجيين النافس وبين القلوب ؛ وهو أرماع ، وأرحام .

ومنها : أن تكون الألفاظ مختلفة في الوزن والتركيب بحرف واحد ، كقوله تعالى : ﴿ وَالْقَتَّةِ السَّاقِ السَّاقِ ﴾ إلى رَبِّكَ بَوْمِئِذٍ الْمَسَاكِي ﴿١﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُخْفُونَ صُنْعًا ﴾ ﴿٢﴾ ، وكقول النبي صلى الله عليه وآله : « السلم من سلم الناس من لسانه ويده » وقول بعضهم : الصديق لا يحاسب ، والمدون لا يحاسب ؛ هكذا ذكر ابن الأثير هذه الأمثلة .

قال : ومن هذا القسم قول أبي تمام :

أَيَّامٌ تُدَى عَيْنُهُ تَلَكُ الدَّمَى حُسْنًا وَتَقَرُّ لَهُ الْأَقَارُ ﴿٣﴾
بِئْسَ مَنَ إِذَا رُمِقْنَ سَوَاغِرًا صَوْرٌ وَهَنَ إِذَا رَمَقْنَ صَوَارُ ﴿٤﴾
وكذلك قوله أيضا :

بَذْرًا طَاعَتُ فَيْكِ بَادِرَةٌ الْغَوَى وَلَعَا بِرُشْمٍ ، أُولَتْ يَشَامِسُ ﴿٥﴾
وقوله أيضا :

جَبَلُوا فَلَمْ يَتَكْتَبُوا مِنْ طَاعَةٍ مَعْرُوفَةٍ سَبَاةِ الْأَقَارِ ﴿٦﴾
وقوله أيضا :

إِنَّ الرَّمَاحَ إِذَا غُرِسَ بِمَشْهَدٍ لَفَى الْعَوَالِي فِي ذُرَاهُ مَعَالٍ ﴿٧﴾

(١) سورة الفجاة ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) سورة الكهف ١٠٤ .

(٣) ديوانه ٢ : ١٦٦ ، وروايته : فيها وتقر . ويغنون له : يذمن به .

(٤) ومن إذا رمقن سوار ؛ أي تشبه عيون بحر الوحش إذا نظرت .

(٥) ديوانه ٢ : ٢٤٤ .

(٦) ديوانه ٢ : ٢٠٨ ، والثل السائر ١ : ٢٥٨ ، وذكر فيه :

كَادُوا الْبُيُوتَ وَالْهَدَى فَتَقَطَّتْ أَغْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ الضَّحَارِ

(٧) ديوانه ٣ : ١٤٣ .

وقوله أيضا :

إذا أحسن الأقوامُ أن يخطأوا بلا سمةٍ أحسنت أن تتطوّلا^(١)

وقوله أيضا :

شدّ ما استنزلك عن دمعك الأطلعانُ حتى استهلَّ صوبُ القزالي^(٢)

أى رنح بكذب الدهر عنة وهو ملقى على طريق الأيالي !

بين حالٍ جئت عليه وحول فهو يضو الأء حال والأحوال

أى حسن في الداهين تولى وجمال على ظهور الجبال

ودلالٍ محم في ذرى الخسيم وجعلٍ مقصّر في المحال

فأليت الثالث والخامس هما القصودان بالتمثيل .

ومن ذلك قول علي بن جبلة :

وكم لك من يومٍ رفعت عمادة ذات جفونٍ ، أو بذات جفان^(٣)

وكقول البعضى :

نسسمُ الروض في ربح شمالٍ وصوبُ الرن في راح شمولى^(٤)

وكقوله أيضا :

جديرٌ بأن تنشق عن ضوء وجهه ضبابةٌ نفعٍ نفعها للموت نافع^(٥)

• • •

(١) ديوانه ٣ : ١٠٠ .

(٢) لم أجدها في ديوانه .

(٣) المثل الثاني ١ : ٢٥٩ ؛ وروايته : « رفعت عماده » .

(٤) ديوانه ٢ : ١٦٠ ؛ وقوله :

وَدَّ كَرِيهَكَ وَالذُّكْرَى عَمَاءَ مَشَابِهُ فَيْكَ بَيِّنَةُ الشُّكُولِ

(٥) ديوانه ٣ : ٧٧ .

واعلم أن هذه الأمثلة لهذا القسم ؛ ذكرها ابن الأثير في كتابه ؛ وهو عندى مستدرک ، لأنه حدّ هذا القسم بما يختلف تركيبه ؛ يعنى حروفه الأصلية ؛ ويختلف أيضا وزنه ، ويكون اختلاف تركيبه بحرف واحد . هكذا قال في تحديد هذا القسم ، وليس يقرر والأقارن يختلف بحرف واحد ؛ وكذلك عمارة والأصهار ، وكذلك الموالى والمال . وأما قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَحْتَسِبُونَ أَنَّهُمْ يُخَيَّنُونَ صُنْعًا ﴾ ، نخرج عن هذا بالسكّانية ، لأن جميع أمثلة هذا القسم يختلف فيه الكلمات بالحروف الزائدة ، وهذه الآية اختلاف كلبيها بحروف أصلية ، فليست من التجنيس الذى نحن بصدده ، بل هى من باب تجنيس التصعيف ، كقول البحرى :

وَلَمْ يَكُنْ لِلْعَزِّ بِاللَّهِ إِذْ سَرَى لِحِزِّ وَالْمَسْتَرْزِ بِاللَّهِ طَالِبُهُ^(١)

ثم قال ابن الأثير فى هذا القسم أيضا : ومن ذلك قول محمد بن وهب الجبلى :

قَسَمْتُ سُرُوفَ الدَّهْرِ بَأْسًا وَفِتْلًا فَمَالُكَ مَوْتُورٌ وَسِفْكَ وَاتِرٌ

وهذا أيضا عندى مستدرک ، لأنّ اللفظين كلاما من الوتر ، ويرجمان إلى أصل واحد ؛ إلا أن أحد اللفظين مفعول والآخر فاعل ، وليس أحدهما يقول إن شاعرا لم قال فى شعره : ضارب ومضروب ؛ لكان قد جانس .



ومنها القسم للسكنى بالمكسوس ؛ وهو على ضربين : عكس لفظ وعكس حرف ، فالأول كقولهم : « عادات السادات ، عادات العادات » ، وكقولهم : شيم الأحرار أحرار الشيم .

ومن ذلك قول الأضبط بن قريع :

قَدْ يَجْمَعُ لِلْسَّالِ غَيْرُ آكِلٍ وَيَا كُلُّ لِسَالٍ غَيْرُ مَنْ يَجْتَمِعُ

وَيَقْطَعُ التَّوْبَ غَيْرُ لَابٍ وَيَلْبِسُ التَّوْبَ غَيْرُ مَنْ قَطَعَهُ

ومثله قول المتن:

فَلَا يَجِدُ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ جِدُّهُ^(١)

ومثله قول الرضى رحمه الله من أبيات يذم فيها الزمان:

أَسَفٌ بَيْنَ بَطِيرٍ إِلَى الْعَالِي وَطَلَرٍ بَيْنَ يُفٍّ إِلَى الدُّنْيَا^(٢)

ومثله قول آخر:

إِنَّ الْيَالِيَّ لِلْأَنَامِ مَنَاسِلٌ تَطْوِي وَتُنَشِّرُ بَيْنَهَا الْأَعْمَارُ^(٣)

فَقِصَارُهُنَّ مَعَ الْمَوْتِ طَوِيلَةٌ وَطَوَالُهُنَّ مَعَ السَّرُورِ قِصَارٌ

وليمس شعراء الأندلس يذكر غلامه^(٤):

فَسِيرْنَا بِدُورِ الزَّمَانِ نَحْمَدُ ثَبَتُ وَالْفَتَى

فَسَحَلَّ الْفَتَى دُجَى رَاسِحَالِ الدُّجَى ضَى

وبسبب هذا الضرب التبديل، وقد مثله قدامة بن جعفر الكاتب بقوله: «اشكر

لن أنم عليك، وأنم على من شكرك».

ومثله قول المتن صلى الله عليه وآله: «جار الدار أحق بدار الجار». قالوا: ومنه قوله

نصالي: «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ»^(٥)؛ ولا أراهمه، بل هو من

هلب اللوازة. ومثله أيضا بقول أمير المؤمنين عليه السلام: أما بعد؛ فإن الإنسان يسره

هزك عالم يكن لغوته، ويسوءه فوت عالم يكن لهركه. ويقول أبي تمام لأبي العيثل

(١) ديوانه ٢ : ٢٢ .

(٢) ديوانه . . .

(٣) ابن القيم من غير نسبة .

(٤) نسبة ابن القيم إلى ابن الرواحي الأندلسي .

(٥) سورة الروم ١٩ .

وأبي حميد الضير : فإنهما قالا : لما امتدح عبد الله بن طاهر بقصيدة ، وفي افتتاحها
 نكبات وتمجرف : لم لا تقول ما يفهم ؟ قال لها : لم لا تفهمان ما يقال ؟
 والضرب الثاني من هذا القسم عكس الحروف ؛ وهو كقول بعضهم ، وقد أهدى
 لصديق له كرسيًا :

أهديتُ شيئًا يَقلُّ لولا أخذوتهُ الفالِ والتبركُ
 « كرسي » تفاءلتُ فيه لَمَّا رأيتُ مقلوبه « بركتُ »

وكقول الآخر :

كيف للسرور إقبالٍ وآخره إذا فأملته مقلوب إقبالٍ
 أى لا بقاء ^(١) .

وكقول الآخر :

جاذبتها والريحُ تهذبُ عَفْرًا من فوق خذ مثل قلب العُربِ
 وطفقتُ أليمُ نمرًا فَنَمَتَ ومحببتُ عوى بقلب العُربِ
 يريد « برقبا » ^(٢) .

ومما النوع المسمى المجتب ، وهو أن يجمع بين كلمتين إحداهما كالجنيبة التابعة للأخرى ،
 مثل قول بعضهم :

أبا الفياض لا نحسب بأى لعفري من حلى الأشعار عارٍ ^(٣)
 فلى طبعٍ كسَلَسالٍ مَعِينٍ زلالٍ من ذرًا الأجعارِ جارٍ

وهذا في التحقيق هو الباب المسمى لزوم ما لا يلزم ؛ وليس من باب التجنيس .

ومنها المقلوب ؛ وهو ما ينساوى وزنه وتركيبه إلا أن حروفه تتقدم وتتأخر ، مثل

قول أبي تمام :

(٢) وهو مقلوب لفظ « العرب » .

(١) وهو مقلوب « إقبال » .

(٣) في النسخ المأثرة : « أبا المياس » .

بِیْضُ الصَّفَاحِ لَا سَوْدُ الصَّعَافِ فِي مُتَوَسِّهِنَ جِیْلَاهُ الشُّكَّ وَالرَّيْبَ (١)
وقد ورد مثل ذلك في المنثور ، نحو ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه يقال
يوم القيامة ، لصاحب القرآن : اقرأ وارق .

وقد تكلّمت في كتابي المسمى « بالعبري الحسان » على أقسام الصناعة البديعة نثرا
ونظما ؛ وبيّنت أن كثيرا منها يتداخل ، ويقوم البعض من ذلك مقام بعض ، فلو لمع
من هنالك .

• • •

الأصل :

منها :

وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَبِكَادِّ صَاحِبِهِ يَشْتَعُ مِنْهُ وَيَمَلُّهُ ، إِلَّا الْحَيَاءَ فَإِنَّهُ
لَا يَحْدُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً وَإِنَّمَا ذَلِكَ عَذْرَاءُ الْحِكْمَةِ الَّتِي مِنْ حَيَاءٍ لِقَلْبِ التَّيْتِ ،
وَتَصَرُّ لِقَلْبِ النِّصَاءِ ؛ وَتَمَحُّ لِلْأُذُنِ الصَّمَاءِ ، وَرِيٌّ لِقَلْبِ الْغُلَامِ ؛ وَفِيهَا أَلْفٌ كَلَّةٌ
وَالسَّلَامَةُ .

كِتَابُ اللَّهِ تَبْصِيرُونَ بِهِ ، وَتَنْطَلِقُونَ بِهِ ، وَتَسْتَمُونَ بِهِ ؛ وَيَنْطَلِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ،
وَيَسْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ، وَلَا يَحْتَلِفُ فِي اللَّهِ ، وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنْ اللَّهِ .
قَدْ أَصْطَلَحْتُمْ عَلَى اللَّيْلِ فِيمَا بَيْنَكُمْ ؛ وَبَبَتِ الْمَرْأَى عَلَى دِمَائِكُمْ ، وَتَصَاقَبْتُمْ
عَلَى حُبِّ الْأَمْوَالِ ، وَتَمَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ ، فَقَدْ اسْتَهَامَ بِكُمْ الْخَلِيفَةُ ، وَتَاءَ بِكُمْ
الْعُرُورُ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَنِّى وَأَنْفُسِكُمْ .

• • •

الشيخ :

هذا الفصل ليس بمنظم من أوله إلى آخره ، بل هو فصول مفرقة التقطها الرضى من خطبة طويلة على عادته في التضاط ما يستفصحه من كلامه عليه السلام ، وإن كان كل كلامه فصيحاً ؛ ولكن كل واحد له هوئى ومحنة لشيء مخصوص ، وضروب الناس عشاقاً وضروباً .

أما قوله : « كل شيء محلل إلا الحياة » ، فهو معنى قد طرقة الناس قديماً وحديثاً ، قال أبو الطيب :

وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ أَضْنُ فِي النَّفْسِ وَأَشْمَى مِنْ أَنْ يَمْلَأَ وَاحْتَلَى^(١)
وإذا الشيخ قال أفترها مل حياهم ولكن الضمت ملاء
وقال أيضاً :

أرى كئلاً يرمى المصلحة لله حريصاً عليها مُتَنَاهَاً بها صَبَاً^(٢)
غيب الجبان النفس أوردته البقا وحب الشجاع النفس أوردته الحزباً
وقال أبو الملاء :

فما زحمت في الموت كدراً مسودها إلى الورد يخسأ ثم تشرب من أجنى^(٣)
بصادق صقراً كل يوم وليمة وَيَلْتَقِنُ شراً من غالبة الحين^(٤)
ولا تقات الهل بات كأنها من الأبن والإدلاج بعض القنا الدن^(٥)

(١) ديوانه ٣ : ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٢) ديوانه ١ : ٦٥ .

(٣) سلسل الزند ٧ : ٩١٩ ، ٩٢٠ الكدر من الصلابة : النهر الألوان . والخس : ورود الماء كل حبة أليم . والأجن : الماء العذب .

(٤) الحين : اللحظة .

(٥) من القنات ، حر الوحش : لفظها في البحر للماء .

خَرَيْنَ مَلِيحًا بِالسَّابِكِ أَرْبَا إِلَى السَّاءِ لَا يَخِيرُنْ مِنْهُ عَلَى مَعْنٍ^(١)
وَخَوْفُ الرَّدَى آوَى إِلَى الْكَهْفِ أَحَدَهُ وَكَلَّفَ نَوْحًا وَابَّةَ قَمَلِ الثَّنَنِ
وَمَا اسْتَمَذَبَتْهُ رُوحُ مُوسَى وَآدَمَ وَقَدْ وَجَّهًا مِنْ بَيْنِهِ جَنَّتْ عَمْدُنِ
وَلِي مِنْ قَصِيدَةٍ ، أَخَاطِبُ رَجُلَيْنِ قَرَأَا فِي حَرْبٍ :

عَذَرْتُكُمْ إِنْ الْحَمَامَ لِيَهْضُ وَإِنْ بَقَاءَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ مَحْبُوبُ
وَيُكْرَهُ طَمَ اللَّوْثِ وَلِلْوَتِّ طَالِبُ فَكَيْفَ بِلَذِّ اللَّوْثِ وَلِلْوَتِّ مَطْلُوبُ !
وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ أَيْضًا :

طَيْبُ هَذَا النَّسَمِ أَوْ قَرَى فِي الْأَنْفُسِ أَنْ الْجَمَامَ مَرُّهُ لِلذَّاقِ^(٢)
بِالْأَسَى قَبْلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ هَجْرُ وَالْأَمْسَى لَا يَكُونُ بَعْدَ الْفِرَاقِ
الرَّبْعَارَى :

مَا أَطْلَبَ الْأَيَّامَ إِلَّا أَنْهَا بِأَصَاحِقِ إِذَا مَضَتْ لَمْ تَرْجِعْ^(٣)
وَقَالَ آخَرُ :

أَوْفَى يَسْفُقُ بِالْجَنَاحِ مَغْلًا وَبَصِيحٌ مِنْ طَرَبٍ إِلَى التَّدْمَانِ
يَطْلُبُ لَذَّةَ هَذِهِ الدُّنْيَا لَهَا لَوْ أَنَّهَا بَقِيَتْ عَلَى الْإِنْسَانِ
وَقَالَ آخَرُ :

أَرَى النَّاسَ يَهْوُونَ الْبَقَاءَ سَفَاهَةً وَذَلِكَ شَيْءٌ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
وَمَنْ يَأْمَنُ الْأَيَّامَ ! أَمَا بَلَاؤُهَا لِحْمٌ ، وَأَمَا خَمْرُهَا فَتَلِيلُ

(١) الطَّبِيعُ : الْأَرْضُ الْخَالِيَةُ . وَالنَّسَمُ : النَّفْسُ . الْخَبِيلُ .
(٢) دِيوَانُهُ ٧ : ٣٦٩ ، ٣٧٠ . وَرَوَاتُهُ : « لَا تَبْ هَذَا الْهَوَاءِ » .
(٣) دِيوَانُهُ ٧ : ١٠٠ .

وقال محمد بن وهيب الحميري :

وَمَنْ بَنَى الدُّنْيَا خَلِيقًا لِنَفْسِهِ مَا كُنْتَ مِنْهُ فَبِهِ شَيْءٌ مَحَبَّبٌ
وهذا مأخوذ من قول أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد قيل له : ما أكثر حبة الناس
للدنيا ؟ فقال : هم أبناؤها ، أيلام الإنسان على حبة أمه !
وقال آخر :

يَا مَوْتُ مَا أَفْجَاكَ مِنْ نَازِلٍ تَنْزِلُ بِالْمَرَّةِ عَلَى رُغْمِهِ
تَسْتَلِبُ الْمَذْرَاءَ مِنْ خَيْرِهَا وَتَأْخُذُ الْوَاحِدَ مِنْ أُمِّهِ
أبو الطيب :

وهي معشوقة على المذير لا تمسك بغير عهد ولا تتمم وصلاً^(١)
كل دمع بيل منها علينا وبفك الهمم منها نحلى
شيم العانيات فيها فلا أذرى لها أنت اسمها الناس أم لا !

فإن قلت : كيف يقول : إنه لا يجد في الموت راحة ؟ وأين هذا من قول رسول الله
صلى الله عليه وآله : « الدنيا سجن للمؤمن ، وجنة للكافر » ، ومن قوله عليه السلام : « والله
ما أرجو الراحة إلا بعد الموت » ، أو ماذا يعمل بالصلحين الذين آثروا عراق هذه الماحلة ،
واختاروا الآخرة ، وهو عليه السلام سيدهم وأميرهم !

قلت : لا منافاة ، فإن الصالحين ، إنما طلبوا أيضاً الحياة المستمرة بعد الموت ؛
ورسول الله صلى الله عليه وآله إنما قال : إن الدنيا سجن للمؤمن ؛ لأن الموت غير مطلوب
للمؤمن لقائه ، إنما يطلبه للحياة المتعقبة له ، وكذلك قوله عليه السلام : « والله ما أرجو
الراحة إلا بعد الموت » ، تصريح بأن الراحة في الحياة التي تتمتع الموت ؛ وهي حياة
الأبد ، فلا منافاة إذاً بين هذه الوجوه وبين ما قاله عليه السلام ، لأنه ما نفي إلا الراحة في
الموت نفسه ؛ لا في الحياة الحاصلة بعده .

فإن قلت : فقد نظراً على الإنسان حالة يستصعبها قبور الموت لنفسه ، ولا يفكر فيها
بتعقبه من الحياة التي تشير إليها ولا يحظر بها ؟

قلت : ذاك شاذ فادر فلا يلتفت إليه ؛ وإنما الحكم للأعم الأغلب . وأيضاً فإن
ذاك لا يلتذ بالموت ، وإنما يتخلص به من الألم ، وأمير المؤمنين قال : مامن شيء من
المذات إلا وهو مملول ؛ إلا العياة ، وبين المذات والمخلص من الألم فرق واضح ؛ فلا يكون
ههنا على كلامه .

فإن قلت : قد ذكرت ما قيل في حبة العياة وكراهية الموت ، فهل قيل في عكس
ذلك ونقيضه شيء ؟ قلت : نعم ؛ فمن ذلك قول أبي الطيب :

كُنِّيْ بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِئاً وَحَسْبُ الْمَنَافَا أَنْ يَكُنْ أَمَانِيًّا^(١)
تَمْتِنُهَا لَنَا نَمَتَتْ أَنْ [رَى] سَكِينًا قَاضِيًا أَوْ هَدُوًّا مُدَاحِيًّا
وقال آخر .

قد قلتُ إذ مدحُوا العياة فأسرفُوا في الموت ألف فضيلة لا تعرفُ
منها أمانُ لقائه بلفظه وفراق كلِّ معاشٍ لا ينصف
وقيل لأعرابي وقد احتضر : إليك ميت ؛ قال : إلى أين يُذهب بي ؟ قيل : إلى الله ،
قال : ما أكره أن أذهب إلى مَنْ لم أر الخبير إلا منه .

إبراهيم بن مهدي :

وَأَنْتَ وَإِنْ قَدَّمْتَ قَبْلَ لِعَالَمٍ بَأْتِي وَإِنْ أَسْطَأْتُ عَنْكَ قَرِيبٌ^(٢)
وَإِنْ صَبَاحًا مَلْتَقَى فِي مَسَارِهِ صَبَاحٌ إِلَى قَلْبِي الْفِدَاءَ حَبِيبُ

وقال بعض السلف : مامن مؤمن إلا والموت خير له من العياة ، لأنه إن كان محسناً

(١) ديوانه ٤ : ٢٨٦ ، ٢٨٢ .

(٢) الكامل ١ : ١٨ (طبعة نهضة مصر) .

فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَجْزَىٰ لِقَائِهِنَّ أَتَقْوِينَ﴾ (١) ، وَإِنْ كَانَ مِثْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا يُنْمِلُ لَهُمْ خَيْرٌ لِأَفْسِهِمْ إِنَّمَا نُمِلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ (٢) .

وَقَالَ مِهْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : بَتَ لَيْلَةً عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْمَزِيزِ ، فَرَأَيْتُهُ يَبْكِي وَيَبْكُرُ مِنْ تَعْنَى الْمَوْتِ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّكَ أَحْيَيْتَ صَنَّا ، وَأَمَتَ بَدْعًا ، وَفِي جَانِكَ خَيْرٌ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَمَا بَالُكَ تَعْنَى الْمَوْتِ ؟ قَالَ : أَلَا كُونُ كَالْمُهْدِيِّ لِلصَّالِحِ حِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، وَجَمَعَ لَهُ أَمْرَهُ ، قَالَ : ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِئَةِ الْآخِرَةِ وَالْآخِرَةِ تَوْفِيقِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (٣) .
وَقَالَتِ الْفَلَّاسَةُ : لَا يَسْتَكِيلُ الْإِنْسَانُ حِلَّةَ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا بِالْمَوْتِ ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ الْحَيُّ النَّاطِقُ الْمَيِّتُ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الصَّالِحُ إِذَا مَاتَ اسْتَرَّاحَ ، وَالطَّالِحُ إِذَا مَاتَ اسْتَرْجَحَ .
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

جَزَىٰ اللَّهُ هَذَا الْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ أَبْرَ بِنَا مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَأَرْأَفُ
يَسْجَلُ تَخْلِيصَ النَّفْسِ مِنَ الْأَذَى وَيُدْرِي مِنَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ هِيَ أَشْرَفُ
وَقَالَ آخَرُ :

مَنْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَمِيشَ فَإِنِّي أَصْبَحْتُ أَرْجُو أَنْ أَمُوتَ لِأَعْتَفَا
فِي الْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَوْ أَنَّهَا عُرِفَتْ لَكَانَ سَبِيلُهُ أَنْ يُعْتَفَا
وَقَالَ أَبُو الْعَلَاءِ :

جِسْمِي وَفُتَيْيَ لَمَّا اسْتَجْتَمَعَا صَنَعَا شَرًّا إِلَيَّ ، فَجَعَلَ الْوَاحِدُ الصَّدْدُ ۱

(١) سورة القصص ٦٠ .

(٢) سورة آل عمران ١٧٨ .

(٣) سورة يوسف ١٠١ .

فالجسم يبدل فيه النفس مجتهداً وتلك تزم أن الظالم الجسد
إذا هما يمد طول الصحة افتراقاً فإن ذلك لأحداث الزمان يد
وقال أبو العتاهية :

للمرء يأمل أن يببش وطول عمره قد يضره^(١)
تفتى بشاشته ويبتقى بعد حلو العيش مره
وتخونه الأيام حتى لا يرى شيئاً يسره
كتم شامت بي إن هلكت وقاتل : فهو ذرء !

وقال ابن المعتز :

ألت ترى بأصاح ما أحب الله هراً ففما له .. لكن الخالق الشكراً
لقد حبب الموت البقاء الذي أرى فاحداً مني لمن يكن القبرا



فأما قوله عليه السلام : « وإنا ذلك بمنزلة الحكمة » ، إلى قوله . « وفيها المعنى كله
والسلامة » ، ففصل آخر غير منضم بما قبله ، وهو إشارة إلى كلام من كلام رسول الله صلى الله
عليه وآله رواه لهم ، ثم حضهم على التمسك به ، والانتفاع بمواعظه ، وقال : إنه بمنزلة
الحكمة التي هي حياة القلوب ، ونور الأبصار ، وسمع الأذان الصم ، وري الأكل الجوعى ؛
وفيها المعنى كله ، والسلامة ؛ والحكمة للشبه كلام الرسول صلى الله عليه وآله بها هي المذكورة
في قوله تعالى : (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا)^(١) وفي قوله : (وَلَقَدْ آتَيْنَا

(١) ديوانه ١٢٠ .

(٢) سورة البقرة ٢٦٩ .

لَقَدْ آتَيْنَا الْإِنْسَانَ الْإِسْمَ (١) ، وفي قوله : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ (٢) وهي عبارة عن المعرفة بالله تعالى ، وبما في مبدعاته من الأحكام الدالة على حله ؛ كتركيب الأفلاك ، ووضع العناصر مواضعها ، ولطائف صنعة الإنسان وغيره من الحيوان ، وكيفية إنشاء النباتات والمعادن ، وما في العالم من القوى المختلفة ، والتأثيرات المتنوعة ؛ اراجع ذلك كله إلى حكمة الصانع وقدرته وحله ، تبارك اسمه !



فأما قوله : « وكتاب الله » ، إلى قوله : « ولا يخالف بمصاحبه عن الله » ، فمفصل آخر مقطوع عما قبله ، ومتصل بما لم يذكره جامع " نهج البلاغة " .
فإن قلت : ما معنى قوله : « ولا يختلف في الله » ، ولا يخالف بمصاحبه عن الله ؟ وهل بين هاتين الجملتين فرق ؟



قلت : نعم ، أما قوله : « ولا يختلف في الله » ، فهو أنه لا يختلف في الدلالة على الله وصفاته ، أي لا يفتقد أي ليس في القرآن آيات مختلفة يدل بعضها على أنه يعلم كل المعلومات مثلا ، وتدل الأخرى على أنه لا يعلم كل المعلومات ؛ أو يدل بعضها على أنه لا يرى ، وبعضها على أنه يرى ، وليس وجودها للآيات المشبهة بخادح في هذا القول ، لأن آيات الجبر والتشبيه لا تدل ، وإنما تورم ؛ ونحن إنما نقينا أن يكون فيه ما يدل على الشيء ونقيضه .

وأما قوله : « ولا يخالف بمصاحبه عن الله » ؛ فهو أنه لا يأخذ بالإنسان المعتمد عليه إلى غير الله ، أي لا يهديه إلا إلى جناب الحق سبحانه ؛ ولا يمرّج به إلى جناب الشيطان ؛ يقال : خالفت فلان عن فلان ، إذا أخذت به غير نحره ، وسلكت به غير جبهته .

(١) سورة لقمان ١٢ .

(٢) سورة مريم ١٢ .

فأما قوله : « قد اصطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ... » إلى آخر الفصل ، فكلامٌ مقطوعٌ أيضاً
تَحْقِيقُهُ ، وَالْغِلُّ : الْحِقْدُ .

وَالدِّمْنُ : جَمْعُ دِمْنَةٍ ؛ وَهِيَ الْحَقْدُ أَيْضاً ، وَقَدْ دِمْنَتْ قُلُوبُهُمْ بِالْكَسْرِ ، أَيْ
ضَعُفَتْ . وَنَبَتْ الرَّمْيَ عَلَيْهَا ، أَيْ دَامَتْ وَطَالَ الزَّمَانُ عَلَيْهَا ؛ حَتَّى صَارَتْ بِمَنْزِلَةِ الْأَرْضِ
الْجَامِدَةِ الثَّابِتَةِ الَّتِي تَنْبِتُ النَّبَاتَ . وَيَحْمُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِالْدِّمْنِ هَاهُنَا جَمْعُ دِمْنٍ وَهُوَ الْبَحْرُ
الْمَجْتَمِعُ كَالزَّبْذَبَةِ ؛ أَوْ جَمْعُ دِمْنَةٍ وَهِيَ آثَارُ النَّاسِ وَمَا سَوَّدُوا مِنَ الْأَرْضِ ؛ يُقَالُ : قَدْ دِمْنَتْ
الشَّيْءُ الْمَاءُ ، وَقَدْ دِمْنَتْ الْقَوْمُ الْأَرْضُ ؛ فَشَبَّهَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِلِّ وَالْحِقْدِ وَالضَّغَائِنِ
بِالزَّبْذَبَةِ الْمَجْتَمِعَةِ مِنَ الْبَحْرِ وَغَيْرِهِ ؛ مِنْ سَفَاطَةِ الْبَارِ الَّتِي قَدْ طَالَ مَكْنُهَا حَتَّى نَبَتْ عَلَيْهَا
الرَّمْيُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَقَدْ يَبْدَتْ الرَّمْيُ عَلَى دِمْنِ الرَّمْيِ . وَتَبَقَّى حَرَارَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَ ^(١)

قوله عليه السلام : « قَدْ اسْتَهَامَ بِكُمْ الْخَلِيفَةُ » ، يَعْنِي الشَّيْطَانُ . وَاسْتَهَامَ سَكَمٌ :
جَعَلَ سَكَمًا هَائِلًا ؛ أَيْ اسْتَهَامَكُمْ ، غَمَّاهُ بِحَرْفِ الْجُرِّ ، كَمَا تَقُولُ فِي « اسْتَفْرَتِ الْقَوْمُ
إِلَى الْحَرْبِ » : اسْتَفْرَتُ بِهِمْ ، أَيْ جَعَلَهُمْ نَافِرِينَ . وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الطَّلَبِ
وَالِاسْتِدْعَاءِ ، كَقَوْلِكَ : اسْتَعْلَمْتُ مِنْهُ حَالُ كَذَا ، أَيْ اسْتَدْعَيْتُ أَنْ يَطْلُبَنِي ، وَاسْتَعْنَعْتُ
فَلَانًا ، أَيْ طَلَبْتُ وَاسْتَدْعَيْتُ أَنْ يَمْطِيَنِي ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ : « وَاسْتَهَامَ بِكُمْ الْخَلِيفَةُ » ؛
أَيْ اسْتَدْعَى مِنْكُمْ أَنْ تَهَيَّيُوا وَتَقْعُوا فِي النَّيِّ وَالضَّلَالِ وَالْخَيْرَةِ .

قوله : « وَتَاهَ بِكُمْ الْقَرُورُ » هُوَ الشَّيْطَانُ أَيْضاً ، قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَفَرَّكُمْ بِأَنفُسِهِ
الْقَرُورُ ﴾ ^(٢) . وَتَاهَ بِكُمْ : جَعَلَ كُمْ تَاهِينَ حَاطِرِينَ . ثُمَّ سَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَمِينَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَيْهِمْ .
وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الصَّالِحِينَ : « الْمَهْمُ انْصَرَفِي عَلَى أَقْرَبِ الْأَحْدَاءِ إِلَى دَارٍ ، وَأَدْنَاهُمْ
حَتَّى جَوَارَأَ ، وَهِيَ نَفْسِي » .

(١) النبت لمرمر بن الخثعم . اللسان ١٧١٥١ .

(٢) سورة الحديد ١٤ .

(١٣٤)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو
الروم :

وَقَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحُوْزَةِ ، وَسِتْرِ الْعُوْزَةِ ، وَالَّذِي
نَصَرَهُمْ ، وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ ، وَمَتَّعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَمُتُّونَ ، حَتَّى
لَا يَمُوتُ .

إِنَّكَ مَتَى نَسِرَ إِلَى هَذَا الدِّينِ بِنَفْسِكَ ، فَتَقْتُلَهُمْ فَتَنْكَبُ ، لَا يَسْكُنُ الْمُسْلِمِينَ
كَهْفٌ دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ . لَيْسَ بِمَذَكٍّ بِرَجُلٍ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ ، فَأَيْتَتْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا
يَحْرَبُ ، وَاحْفَظْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ وَالنَّصِيحَةِ . فَإِنْ أَظْهَرَ اللَّهُ فَذَلِكَ مَا نَحِبُّ ، وَإِنْ
تَكُنَ الْآخَرَى ، كُنْتَ رِدَّةً لِلنَّاسِ وَمَتَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ .

•••

الشرح :

توكل لهم : صار وكيلا ، ويروى : « وقد نكفل » ، أى صار كفلا .
والحوزة : الناحية ، وحوزة لك بيئته ؛ ويقول : إنما الذى نصرهم فى الابتداء على
ضعفهم هو الله تعالى ؛ وهو حى لا يموت ؛ فأجدر به أن ينصرهم ثانيا ، كما نصرهم أولا .
وقوله : « فنكب » مجزوم لأنه عطف على « نسر » .
وكهف ، أى وكهف بلجأ إليه . ويروى « كافئة » أى جهة عاصمة ، من قولك :
كففت الإبل ، جعلت لها كنيفا من الشجر تستتر به وتعصم .

ورجلٌ محترَبٌ ، أى صاحب حروب .

وحزرتُ الرجلُ أحفزه : دفعته من خلفه وسنته سوطاً شديداً .

وكنت ردها ، أى عونا ، قال سبحانه : ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴾ ^(١) .

ومتابة ، أى مرجما ، ومنه قوله تعالى : ﴿ مَتَابَةَ النَّاسِ وَأَمْنَا ﴾ ^(٢) ، أشار عليه السلام ألا يشخص بنفسه ، حذراً أن يصاب ، فيذهب للسلوك كلهم لذهاب الرأس ، بل يبعث أميراً من جابه على الناس ، ويقم هو بالمدينة ، فإن هُزموا كان مرجمهم إليه .

فإن قلت : فما بال رسول الله صلى الله عليه وآله كان يشاهد الحروب بنفسه ، ويباشرها بشخصه ؟

قلت : إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان موحوداً بالنصر ، وآمناً على نفسه بالوعد الإلهي في قوله سبحانه : ﴿ وَأَلْقَى بِصَيْبِكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ^(٣) ، وليس محر كذالك .
فإن قلت : فما بال أمير المؤمنين عليه السلام شهد حرب الجمل وصفين والنهر وان بنفسه ، فهلا بعث أميراً محرباً ، وأقام بالمدينة ردها ومتابة ؟

قلت : عن هذا جوابان : أحدهما أنه كان عالماً من جهة النبي صلى الله عليه وآله أنه لا يقتل في هذه الحروب ؛ ويشهد ذلك الخبر لتفق عليه بين الناس كافة : « يقاتل بمدى الناكثين والقاسطين والمارقين » . وثانيهما ، يحوز أن يكون غلب على ظنه أن غيره لا يقوم مقامه في حرب هذه الفرق الخارجة عليه ، ولم يجد أميراً محرباً من أهل البلاء والنصيحة ، لأنه عليه السلام هكذا قال لمر : « اعتبر هذه القيود والشروط ؛ فمن كان من

أصحابه عليه السلام محرمًا لم يكن من أهل النصيحة له ، ومن كان من أهل النصيحة له لم يكن محرمًا ، فدلته الضرورة إلى مباشرة الحرب بنفسه .

• • •

[غزوة فلسطين وفتح بيت المقدس]

واعلم أن هذه الغزاة هي غزاة فلسطين ، التي فتّح فيها بيت المقدس ؛ وقد ذكرها أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في التاريخ^(١) ، وقال :

إن عليًا عليه السلام هو كان المستخلف على المدينة لما شُخص عمر إلى الشام ، وإن عليًا عليه السلام قال له : لا تخرج بنفسك ، إنك تريد عدوًا كليًا ، فقال عمر : إني أبادر بجهاد العدو موت العباس بن عبد المطلب ، إنكم لو قدتم العباس لانتقض بكم الشر كما ينتقض^(٢) الجبل . فمات العباس لست سنين خلت من إمارة عثمان وانتقض بالناس الشر .

قال أبو جعفر : وقد كان الروم عرفوا من كتبهم أن صاحب فتح مدينة إيلياء - وهي بيت المقدس - رجل ، اسمه على ثلاثة أحرف ، فكان من حضر من أمراء المسلمين يسألون عن اسمه ، فيملكون أنه ليس بصاحبهم ، فلما طال عليهم الأمر في حرب الروم ، استمدوا عمر ، وقالوا : إن لم تحضر بنفسك لم يفتح علينا ، فكتب إليهم أن يلقوه برأس الجابية ، ليوم سماء لهم ، فلقوه وهو راكب حمارًا ، وكان أول من لقيه يزيد بن أبي سفيان ، ثم أبو عبيدة بن الجراح ، ثم خالد بن الوليد ، على الخيول وعليهم الدبابج والحرير ، فنزل عمر عن حماره ، وأخذ الحجارة ، ورماهم بها ، وقال : سرعان ما لقيتم عن رأيكم إياي

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٦٠٧ وما بعدها (طبع دار المعارف) .

(٢) الطبري : « كما ينتقض أول الجبل » .

تستقبلون في هذا الزمان ! وإنما شيعتم منذ ساعتين ، سارع ما ترون بكم^(١) البليغة ! وتلقوه
لو قتلتموها على رأس اللاتين ، لاستبدلت بكم غيركم !

فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنما هي بلامقة ، وتحتها السلاح^(٢) ، فقال : فتم إذا !
قال أبو جعفر : فلما علم الروم مقدم عمر نفسه ، سألوه الصلح ، فصالحهم ، وكتب لهم
كتاباً على أن يؤدوا الجزية ، ثم سار إلى بيت المقدس ، فقتل فرسه عن المشي ، فألقى
بيردونه فركبه ، فهرزه وتهلج نحته ، فزل عنه ، وضرب وجهه برذائه ، وقال : قبح الله
من علمك هذا ! ردوا على فرسي ، فركبه وسار حتى انتهى إلى بيت المقدس .

قال : ولم يركب برذوا فله ولا بعده ، وقال : أعود بالله من الخيلاء !
قال أبو جعفر : ولقيه معاوية ، وعليه ثياب ديباج ، وحوله جماعة من العلمان والخلول ،
فدنا منه فقبل يده ، فقال : ما هذا يا ابن هند ؟ وإنك لعل هذه الحال ، مترفة صاحب
لئوس وتنعم ! وقد بلغني أن ذوى الحاجات يلعنون بيا بك ! فقال : يا أمير المؤمنين ،
أما لباس فلان ببلاد عدو ، ومحبة أن يرى أثر نعمة الله علينا ، وأما الحجاب فلان تخاف
من البيضة جراءة الرعية . فقال : ما سألتك عن شيء إلا تركتني منه في أضيق من
الرواجب^(٣) ، إن كنت صادقاً فإنه رأى لييب ، وإن كنت كاذباً ؛ فإنها خدعة أريب .

• • •

وقد روى الناس كلام معاوية لعمر عن وجه آخر ، قيل : لما قدم عمر للشام قدسيا ،
وهو راكب حماراً قريباً من الأرض ، ومعه عبد الرحمن بن عوف راكب حمار قريب
أيضا ، فتلقاها معاوية في كوكبة خشنا^(٤) ، نشئ وركه ، وزل وسلم بالخلافة فلم يرد عليه .

(١) النار : الخيل البدن ، وق الطير . • نعت • .

(٢) البدن : القباء المشقوق الطير : • ولد عليها السلاح •

(٣) الرواجب : ما بين عقد الأصابع .

(٤) خشنا ، أي كثيرة السلاح .

قال له عبد الرحمن : أحصرت الفتي بأمر المؤمنين ، فلو كلمته ! قال : إنك لصاحب الجيش الذي أرى ! قال : نعم ، قال : مع شدة احتجائك ، ووقوفك على الحاجات ببابك ! قال : أجل ، قال : لم ويمحك ! قال لأننا ببلاد عدو كثير فيها جواسيسهم ، فإن لم نتخذ المدة والمدد استغف بنا ، وهجم على عوراتنا ، وأنا بعد عاملك ، فإن استغفصتني قهصت ، وإن استزدتني زدت ، وإن استوقفتني وقفت . فقال : إن كنت كاذباً إنه لرأى أريب ، وإن كنت صادقاً إنه لتدبير لبيب ؛ لمسألتك عن شيء فقط إلا تركتني منه في أضيق من رواجب الفرس ؛ لا أمرك ولا أنهارك . فلما انصرف ، قال عبد الرحمن : لقد أحسن الفتي في إصدار ما أردت عليه ، فقال : لحسن إيراد وإصداره جيشناه ما جشناه .

• • •

قال أبو جعفر : شخص عمر من المدينة إلى الشام أربع مرات ، ودخلها مرة راكب فرس ، ومرة راكب بعير ، ومرة راكب نعل ، ومرة راكب حمار ، وكان لا يعرف ، وربما استغفروه الواحد : أين أمير المؤمنين ؟ فيسكت ، أو يقول : سل الناس ، وكان يدخل الشام وعليه سحق^(١) فرو ومقلوب ، وإذا حضر للناس طعامه رأوا أخشن الطعام .

قال أبو جعفر : وقدم الشام في إحدى هذه المرات الأربع ، فصادف الطاعون بها فاشياً ، فاستشار الناس ، فكل أشار عليه بالرجوع ولا يدخلها ، إلا أبا عبيدة بن الجراح ، فإنه قال : أتفر من قدر الله ؟ قال نعم ، أفر من قدر الله بقدر الله إلى قدر الله ، لو غيرك قالها بأبا عبيدة ! فما لبث أن جاء عبد الرحمن بن عوف ، فروي لهم عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « إذا كنتم ببلاد الطاعون فلا تخرجوا منها ، وإذا قدمتم إلى بلاد الطاعون فلا تدخلوها » ، فحيد الله على موافقة الخبر لما كان في نفسه ، وما أشار به الناس ، وانصرف راجعاً إلى المدينة ، ومات أبو عبيدة في ذلك الطاعون وهو الطاعون المعروف بطاعون حمّواس ، وكان في سنة سبع عشرة من الهجرة^(٢) .

(٢) تاريخ الطبري ٣ : ٦٠٦

(١) السحق : الثوب النالى .

(١٣٥)

الأصل :

ومن كلام له عليه السلام وقد وقعت بيته وبين عثمان مشاجرة ، فقال المنيرة بن الأخنس لعثمان : أنا أكتفيك ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام للمنيرة :

يَا بَنَ الْاَلَمِينَ الْاَبْتَرِ ، وَالشَّجَرَةَ الَّتِي لَا اَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ ، أَنْتَ تَكْفِينِي ؟ فَوَاللَّهِ مَا اعَزَّ اللَّهُ مَنْ أَنْتَ مَا عِزُّهُ ، وَلَا قَامَ مَنْ أَنْتَ مِنْهُ ، أَخْرُجْ عَنَّا أَبَدَ اللَّهُ نَوَاكَ ؛ ثُمَّ أَبْلُغْ بِجَدِّكَ ، فَلَا يَبْقَى اللَّهُ عَنْكَ إِنْ أَجَيْتَ !

(...)

الشرح :

هو المنيرة بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلة التقي ، حليف بني زهرة ؛ وإنما قال له أمير المؤمنين عليه السلام : « يَا بَنَ الْاَلَمِينَ » ، لأن الأخنس ابن شريق كان من أكابر المناققين ، ذكره أصحاب الحديث كلهم في المؤلفة قلوبهم الذين أسلموا يوم الفتح بأسنتهم دون قلوبهم ، وأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وآله مائة من الإبل من غنائم حُنَيْنٍ يتألف بها قلبه ، وابنه أبو الحكم بن الأخنس ، قتله أمير المؤمنين عليه السلام يوم أحد كافرًا في الحرب ، وهو أخو المنيرة هذا . والحقد الذي في قلب المنيرة عليه من هذه العجة . وإنما قال له : « يَا بَنَ الْاَبْتَرِ » ، لأن من كان عقبه ضالًا خيئًا ، فهو كمن لا عقب له بل من لا عقب له خير منه ويروى : « وَلَا أَقَامَ مَنْ أَنْتَ مِنْهُ » بالهمزة . ويروى « أَبَدَ اللَّهُ نَوَاكَ » من أنواء النجوم التي كانت العرب تنسب الطر إلىها ، وكانوا إذا دعوا على إنسان قالوا : أبعد الله نواك ! أي خيرك .

والعهد بالفتح : النابة ، ويقال : قد جهد فلان جهده بالفتح ، لا يحوز غير ذلك ؛ أى انتهى إلى غايته . وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله لمن ثقيفاً .
وروى أنه عليه السلام قال : « لولا عروة بن مسعود لعنتُ ثقيفاً » .
وروى الحسن البصرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله لمن ثلاث بيوت : بيتان من مكة ؛ وهما بنو أمية وبنو المغيرة ، وبيت من الطائفة وهم ثقيف .
وفي الخبر المشهور الرفوع وقد ذكر ثقيفاً « بنسب الثقبية ، يخرج منها كذاب ومبير »^(١)
فكان كما قال صلى الله عليه وآله ؛ الكذاب المختر ، والمبير المحجاج .
واعلم أن هذا الكلام لم يكن بحضرة عثمان ؛ ولكن عوانة روى عن إسماعيل ابن أبي خالد ، عن الشعبي ، أن عثمان لما كثرت شكايته من علي عليه السلام ، أقبل لا يدخل إليه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أحدٌ إلا شكاً إليه عليها ، فقال له زيد بن ثابت الأنصاري - وكان من شيعته وخاصته : أفلا أمشي إليه فأخبره بموجدتك فيما يأتي إليك ؟ قال : بلى : فأتاه زيد ومعه للنهضة بن الأحنس بن شريق الثقفي - فوعده ففعل به ذلك ، وأتمه عمة عثمان بن عفان - في جماعة ، فدخلوا عليه ، فحمد زيد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعدُ فإن الله قدّم لك سلفاً صالحاً في الإسلام ، وجعلك من الرسول بالمسكان الذي أنت به ، فأنت للخير كل الخير أهل ، وأمير المؤمنين عثمان ابن عفان ، ووالى هذه الأمة ، فله عليك حقان : حقّ الولاية وحقّ القرابة ؛ وقد شكّا إلينا أن علياً يمرض لي ، وردّ أمرى عليّ ، وقد مشينا إليك نصيحة لك ، وكرهية أن يقع بينك وبين ابن عفان أمرٌ نكرهه لكما .

قال : فحمد عليّ عليه السلام الله ، وأثنى عليه وصلى على رسوله ، ثم قال : أما بعد ، فوالله ما أحبّ الاعتراض ، ولا الردّ عليه ، إلا أن يأتي حقائقه لا يسمنى أن أقول فيه إلا بالحق ؛ ووالله لأكفنّ عنه ما وسعني الكف .

فقال للغيرة بن الأخرس وكان رجلاً وثقاً^(١)، وكان من شيعة عثمان وخلصائه: إنك والله تكفّن عنه أو لتكفّن؛ فإنه أظفر عليك منك عليه ! وإنما أرسل هؤلاء القوم من المسلمين إعراراً لتكون له الحجة عندهم عليك . فقال له علي عليه السلام : يا ابن اللعين الأبقر ، والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع ، أنت تكفّي أفواه ما أمر الله امرأ أنت ناصره ، أخرج أمد الله نواك ، ثم اجهد جهودك ، فلا أبقي الله عليك ولا على أصعابك إن أبقيتم .

فقال له زيد : إنما والله ما جئتك لتكون عليك شهوداً ، ولا ليكون تمثلاً إليك حجة ؛ ولكن مشيتاً فيما بينكما للناس الأجر أن يصلح الله ذات بينكما ، ويجمع كلمكما . ثم دعا له ولعثمان ، وقام فقاموا معه .

وهذا الخبر يدل على أن اللفظة «أنت تكفّي» ، وليست كما ذكره الرضوي رحمه الله «أنت تكفّي» ؛ لكن الرضوي طبق هذه اللفظة على ما قبلها ، وهو قوله : «أما أكرميك» ؛ ولا شبهة أنها رواية أخرى .

[فصل في نسب ثقيف ، ومطرف من أخبارهم]

وإنما قال له : «والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع» ، لأن ثقيفاً في نسبها طعن ، فقال قوم من النسابين : إنهم من هوازن ؛ وهو القول الذي تزعمه الثقفيون ، قالوا : هو ثقيف ، واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ابن مضر . وعلى هذا القول جمهور الناس .

وبزعم آخرون أن ثقيفاً من إيراد بن زرار بن معد بن عدنان ، وأن النخع أخوه لأبيه

(١) الوفاح : ذو الواحة .

وأُمّه ، ثم افترقا ، فصار أحدهما في عِداد هَوَازَن ، والآخر في عِداد مَذْحِج بن مالك
ابن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .
وقد روى أبو العباس اللبردي " الكامل " لأخت الأشتر مالك بن الحارث
النخعي تبركه :

أبعد الأشتر النخعي تَرَجُو مَكَاثِرَهُ وَقَطَعَ بَطْنَ وَاِدَا^(١)
ونصحبُ مَذْحِجًا بِإِخَاءِ صَدَقِ وَإِنْ نَسِبُ فَنَحْنُ ذُرَا لِوَادِ
تَقِيفٌ عَمَّنَا وَأَبُو أَيْدِيَا وَإِخْوَتُنَا نَزَارُ أَوَّلُ السَّدَادِ

قال أبو العباس : وهجا^(٢) يحيى بن نوفل - وكان هجاء خبيث اللسان - العُربانَ
ابن المهتم بن الأسود النخعي ، وقد كان العربان تزوج امرأة اسمها زباد - مبنى على
الكسر ، والزاي مفتوحة بعدها باء منقطعة بواحدة - وهي من ولد هاني بن قبيصة
الشيباني ، وكانت قبله تحت الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فطلقها ، فأنكحها إياه
أنح لما يقال له زباد ، فقال يحيى بن نوفل :

أُعْرَبَانُ مَا يَدْرِي أَمْرٌ وَسِيلَ عَنْكُمْ أَمِنْ مَذْحِجٍ تُدْعَوْنَ أُمِّ مِ بْنِ الْوَادِ
فَإِنْ قَلِمَ مِنْ مَذْحِجٍ إِنْ مَذْحِجًا لِيَهْضُ الْوَجْهَ غَيْرَ جَدِّ جَادِ
وَأَنْتُمْ صَنَارُ الْمَهَامِ حُدَلٌ كَانَمَا وَجْهَكُمْ مَطْلَبَةٌ بِمَدَادِ^(٣)
وَأِنْ قَلِمَ الْحَيَّ الْيَمَانُونَ أَصْلَانَا وَنَاصِرُنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ جَلَادِ
فَأَطْوِلْ بِأَيِّرٍ مِنْ مَقْدَرٍ وَزَوْجٍ نَزَتْ بِإِيَادٍ خَلْفَ دَارِ مُرَادِ
ضَلَمَ كَا ضَلَّتْ تَقِيفٌ فَمَا لَكُمْ وَلَا لَمْ يَنْ الْقَبِيلَ هَادِ
لَصُرُ بَنِي شَيْبَانَ إِذْ يُنْكَحُونَهُ زَبَادٍ لَقَدْ مَا قَصَرُوا بِزَبَادِ^(٤)

(١) الكامل ٧ : ٦٦ ، ٦٧ (طعة نهضة مصر) .

(٢) الكامل ٧ : ٦٨ .

(٣) جدل : جمع أحجل وهو لئال السبي ؟ وفي الأصول : « حول » وما أتجه من الكامل .

(٤) لقد ما قصرُوا : قال أبو العباس : « ما زالمة » مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا ﴾

أبعد وليد أنكموا عبداً مذحجاً كمنزلة صبراً خلاف جواد^(١)
وأنكمها لا في كفاه ولا غنى زياد ، أضل الله سنى زياد^(٢)

قال أبو العباس : وكان النخيرة بن شعبة ، وهو والى الكوفة صار إلى دير هند بنت
النعمان بن المنذر ؛ وهي فيه عياء مترقبة ؛ فاستأذن عليها ، فقبل لها : أمير هذه اللدرة
بالباب . قالت : قولوا له : من ولد جبلة بن الأيهم أنت ؟ قال : لا ، قالت : أفن ولد
للمنذر بن ماء السماء أنت ؟ قال : لا ، قالت : فمن أنت ؟ قال : أنا للنخيرة بن شعبة الثقفي ،
قالت : فما حاجتك ؟ قال : جئت خاطباً ، قالت : لو كنت جئتني لجمال أو حال لأطلبتك ،
ولكن أردت أن تتشرف بي في محافل العرب ؛ فتقول : نكحت ابنة النعمان بن المنذر ؛
والأفأى خير في اجتماع أعور وعياء .
فبحث إليها : كيف كلن اسمك ؟ قالت : سأختصر لك الجواب ؛ أسيئنا وليس في
الأرض عربي^(٣) إلا وهو يرهبنا أو يرغب إلينا ؛ وأصبحنا وليس في الأرض عربي^(٣) إلا
ونحن نرهبه ونرغب إليه . قال : فما كان أبوك يقول في ثقيف ؟ قالت : أذكر ؛ وقد
اختصم إليه رجلان منهم ؛ أحدهما بشهى إلى لباد ، والآخر إلى هوازن ؛ ففضى
للإيادى وقال :

إن ثقيفاً لم تكن هوازنًا ولم تقاسب عامراً أو مازنا

فقال للنخيرة : أما نحن فمن بكر بن هوازن ، فليقل أبوك ما شاء ؛ ثم انصرف^(٤) .
وقال قوم آخرون : إن ثقيفاً من بني النخيرة ؛ من العرب القديمة التي بادت وانقرضت .

(١) خلاف جواد ، أى بعد جواد .

(٢) يقال : هو كفاؤك في الصرف ، إذا كان عديك .

(٣) السكائل ٦٦ : ٢ (طبعة نهضة مصر) .

قال أبو العباس : وقد قال الحجاج على النبر : يزعمون أننا من بقايا نوح ؛ فقد كذبهم الله بقوله : ﴿وَنُوحًا قَدْ آتَيْنَا﴾ (١) .

وقال مرة أخرى : ولئن كنا من بقايا نوح ؛ لَمَّا نَجَا مع صالح إلا خيارهم .
وقال الحجاج يوما لأبي المَسْوَس الطائي : أيُّ أقدام ، أنزل تقيف الطائف ، أم أنزل طيء الجبلين ؟ فقال له أبو المَسْوَس : إن كانت تقيف من بكر بن هوازن فنزل طيء الجبلين قبلها ، وإن كانت من بقايا نوح ؛ فهي أقدام ؛ فقال الحجاج : اتقي فإني سريع الخطفة للأحق الثهور ، فقال أبو المَسْوَس - قال أبو العباس ، وكان أهرابيا فصحا إلا أنه لطيف الطبع ؛ وكان الحجاج يمازحه - :
يؤدبني الحجاجُ تَأْدِيبَ أَهْلِ فُلُوكَتُ من أولاد يوسف ما عدا
وإني لأخشى ضربةَ تَقْفِيَةٍ يَجْدُّهَا مَنْ عَصَاهُ الْقُلُودَا
على أنفي عَمَّا أَحَازِرُ آمِينَ إِذَا قِيلَ يَوْمًا قَدْ عَصَى الْمَرْءُ وَاعْتَدَى (٢)

وقتل المخيرة بن الأخنس مع هناك يوم الدار ، وقد ذكرنا مقتله فيما تقدم .

تم الجزء الثامن من شرح نهج البلاغة ويليهِ الجزء التاسع

(١) سورة النجم ٥٦ .

(٢) الكامل ٦ : ٦٥ .

فهرس الخطب •

- ٧-٣ من كلام له عليه السلام في حث أصحابه على القتال
- ١٠٤، ١٠٣ من كلام له عليه السلام في الخوارج لما أنكروا تحكيم الرجال ، ويذم فيه أصحابه في التعكيم
- ١٠٩ من كلام له عليه السلام لما عوثب على النسوية في المطاء من غير تفضيل أولى السابقات والشرف
- ١١٣، ١١٢ من كلام له عليه السلام في الاحتجاج على الخوارج والنهي عن الفرقة
- ١٢٥ من كلام له عليه السلام فيما يخبر به عن اللام بالبصرة
- ٢٤٥، ٢٤٤ من خطبة له في ذكر السكايل واللوازين
- ٢٦٢-٢٥٢ من كلام له عليه السلام لأبي ذر رحمه الله لما أخرج إلى الرتبة
- ٢٦٩، ٢٦٨ من كلام له عليه السلام في حال نفسه وأوصاف الإمام
- من خطبة له عليه السلام في تمجيد الله سبحانه
- ٢٨٧-٢٧٢ من خطبة له عليه السلام في صفة القرآن وصفة النبي وأوصاف الدنيا
- ٢٩٦ من كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو الروم
- ٣٠١ من كلام له عليه السلام وقد وقع بينه وبين عثمان مشاجرة

فهرس الموضوعات •

٩ - ١٠٢	عود إلى أخبار صفين
١١٣ - ١١٩	مذهب الخوارج في تكفير أهل الكبار
١١٩ - ١٢٢	فصل في ذكر الغلاة من الشيعة والنضيرية وغيرهم
١٢٦ - ٢١٤	أخبار صاحب الزنج وفتنته وما اتحل به من عقائد
٢١٨ - ٢٤٣	فصل في ذكر جنكزخان وفتنة التتر
٢٤٦ - ٢٥١	نبذ من أقوال الصالحين والحكام
٢٧٦ - ٢٨٧	فصل في الجناس وذكر أنواعه
٢٩٨ - ٣٠٠	غزوة فلسطين وفتح بيت المقدس
٣٠٣ - ٣٠٦	فصل في نسب ثقيف وطرف من أخبارهم